

أبحاث وأعلام 5

جامعة القرويين

وآفاق اشعاعها الديني والثقافي

ندوة تكريمية لعميدها

عبد الوهاب التازي سعود



ندوات تشرف عليها وتصدرها: فاطمة الجامعي الحبابي



بيت آل محمد عزيز الحبابي

ص. ب. 4125، تمارة - المغرب

Tél.\Fax: (07). 74. 12. 56 : الفاكس / الهاتف

Tél. Portable : 02 .15.43.91 : الهاتف المتنقل

Bayt Al Mohammed Aziz LAHBABI

B.P. 4125. Temara - Maroc

أبحاث وأعلام 5

بيت آل محمد عزيز الحبابي

جامعة القرويين
وآفاق إشعاعها الديني والثقافي

ندوة تكريمية للأستاذ

العميد العلامة
عبد الوهاب التازي سعود

1996

□ أبحاث وأعلام

- صدر في هذه السلسلة العناوين التالية:

1 - عبد الله كنون
2 - عبد الهادي بوطالب
3 - الحاج أحمد ابن شقرون
4 - عبد الكريم غلاب

رقم الإيداع القانوني : 96/ 1278

مطبعة فضالة
زنقة ابن زيدون - المحمدية (المغرب)
الهاتف: 32.46.45 (03) الفاكس: 32.46.43 (03)



جلالة المغفور له محمد الخامس، طيب الله ثراه،
يلقي خطاب افتتاح مهرجان ذكرى مرور أحد عشر قرنا على تأسيس جامعة القرويين
(مقر خزانة القرويين، فاس، 8 ربيع الثاني 1380 الموافق 10 أكتوبر 1960)



الأستاذ عبد الوهاب التازي سعود يلقي درساً دينياً في حضرة صاحب الجلالة، دام عزه،
ضمن سلسلة الدروس الحسنية الرمضانية المباركة



الأستاذ العميد عبد الوهاب التازي سعود
بين يدي صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، نصره الله



منظر عام لجامع القرويين

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بتوفيق من الله العلي القدير يصدر الكتاب الخامس من سلسلة أبحاث وأعلام التي تسجل لمرحلة من نضال فكري متواصل أو قفت عليه أسرتك الصغيرة، أيها المفكر الراحل، حياتها حين أخذنا العهد على أنفسنا، يوم تم عقد القران بيننا للعمل يدا في يد لخدمة الفكر والثقافة. لقد كان ذلك العهد قاعدة بنيان أقمناه على تقوى من الله، وترسخت قوائمه بجهاد صوفي على مختلف الجبهات وفي كل ميادين المعرفة وأصنافها. لقد آمنا بوحدة الفكر وتكامل أصناف المعرفة لازدهاره، هكذا تناولت الندوات التي احتضنها بيتك المتواضع مختلف الاختصاصات الفكرية و الأدبية والعلمية والاقتصادية والتقنية... كما شرفت بتكريم العديد من أعلام الفكر والثقافة من الشخصيات المبرزة في شتى العلوم والفنون والمناضلة بعطاءاتها المتميزة على اختلاف التيارات والجنسيات. وظل الهدف الأسمى من تلكم النشاطات خدمة الفكر الانساني في ظل توجه إسلامي سلفي سليم، يستقي من الجذور القويمة للإسلام، متمسكا بالثوابت، وغير رافض للمستجدات مما توفره حضارة التكنولوجيا وتفرضه فلسفة الحداثة المعقلنة.

ألم يجسد قريبك المصلح السلفي الشيخ بلعربي العلوي بالنسبة إليك المثل الأعلى كما حدثتني بذلك ووحيدنا سيدي عادل في كثير من المناسبات؟

ألم تستجذبك جلساته العلمية وهو يحدث ويفتي ويحكم بما أنزل الله في كتابه العزيز و ماجاءت به سنة نبيه المصطفى عليه السلام مرددا أخبار ذلك في جو عائلي وأنت جالس إلى جانبه فتى يافعا في مقتبل العمر، فيزداد إعجابك به ونهمك على الاستفادة من علمه والتمثل بشخصه؟

فإلى روحكما الطاهرتين، أستاذي العزيز، وإلى أرواح كل مشاييخ القرويين وعلمائها وروادها أهدي هذا الإصدار الذي جاء في سياق ذلكم التوجه، هذا الإصدار الذي جاء ليؤكد طموحاتنا المتجاوبة في نهج مسلك الأصالة والمعاصرة بأرواح مجندة لطاعة الخالق وخدمة عباده.

إنه يضم عروض الندوة التي نظمها بيتك المتواضع حول موضوع: "جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي" تكريما لعميدها أخيك الحميم أستاذي الفاضل سيدي عبد الوهاب التازي سعود.

لقد جاءت الجلسة بحق حدثا مشهودا اهتزت له أركان «ندوة تمارة»، كما كان يحلو لك أن تسميها، إذ شرفت أولا بالحديث عن جامعة عتيدة أبت "فاطمتُكَ" إلا أن

تخطو بتطارحه في درب سميتها فاطمة الفهرية اعترافا بفضل القرويين عليها ووفاء وتكريما لأجلة علمائها، وشرفت ثانيا بمشاركة وحضور الثلة المتميزة من الأكاديميين الخالدين والعلماء الأفاضل ورجالات السلك الدبلوماسي الأشقاء المعتمدين وخيرة كبار المسؤولين والإداريين والأساتذة الجامعيين والأدباء والفنانين...

فاستحضر الجميع عبر الكلمة الترحيبية وما تلاها من كلمات آلاء ونعم الدولة العلوية الشريفة على جامعة القرويين، وماحظيت به من اهتمام المغفور له محمد الخامس، طيب الله ثراه، الذي رد لها الاعتبار ضد الاستعمار، وكذا ما نالته وما تزال ترفل به من رعاية وأفضال يخصها بها وارث سره ملكنا الهمام أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني دام له النصر والتأييد.

ولم تأل العروض التي توالت في تلكم الجلسة جهدا في التذكير والإشادة بالدور الذي لعبته جامعتنا العريقة عبر مراحل تاريخها المديد على صعيد الإشعاع الديني والثقافي والسياسي، يغمر أصحابها الإيمان بأن سبر أغوار هويتنا وفهمها في سياق الظروف المعيشة لن يتسنى إلا بمقاومة كل تهميش للثقافة العربية الإسلامية وضمان تكوين معرفي يبرز ما في قيم الإسلام من شمولية وقابلية للتفاعل مع الثقافات والحضارات، وخوض غمار العلوم ومسايرة الأمم المتقدمة، ولن يتسنى ذلك أيضا إلا بنبذ آليات الفكر المتجمد الذي لايؤمن بقيمة التقدم القائم على المثاقفة مستكينا إلى الإنغلاق على النفس في منهج تكراري عقيم. إن غزو الجديد لا يتنافى والتشبث بالأصيل الذي يجب أن تُستَمَدَّ منه الفتوى المطابقة لعبقريتنا كأمة عربية إسلامية لما يلم بنا من مشاكل، والمنهج الجدلي الإيجابي الذي يحرك ديناميكية الفكر ويفتح أبواب الاجتهاد لمسيرة حضارية رزينة في كل المجالات.

لقد جاءت تلكم العروض زخما من الفوائد والمعلومات والرؤى النافذة لما يجب أن يكون عليه إشعاع هذه الجامعة العتيدة، وحاولت تسطير الخطة اللازم نهجها لكي تؤدي رسالتها. ولقد أبدع أصحابها بيانا وحلقوا معرفة وعرفانا فجاءت شاهدا على تمكنهم وبالغ اهتمامهم بهذه الجامعة ومدى حرصهم على أن تحتل الدراسات الاسلامية العربية مكانتها، وتستعيد مجدها، كما جاءت عنوان غيرة على جامعتنا ولسان صدق لجهاد متواصل في رحابها وتعبيرا عن طول باع المسؤولين عن إدارة كلياتها المنتشرة عبر ربوع المملكة في مناطق حساسة ذات أهمية تاريخية عظمى.

وتميزت تلكم العروض، أيضا، بظاهرة قلما تتوافر في فضاءات أخرى، إذ جاءت ناطقة بالصدق في الشهادة وإزاحة الستار عن بعض الحقائق و التنقيب عن خبايا ما يعثر مسيرة الجامعة، سالكة بذلك مسلك الأمانة العلمية التي تحملها العلماء الحق الذين لا يصدهم عن الصداح بالحق لومة لائم، سيرا على نهج أسلاف لهم تركوا بصماتهم الإيجابية بجهادهم العلمي في منابر وزوايا الجامعة القروية وغيرها من المنابر.

إن ما ميز تدخلات السادة العلماء من بعد نظر وثاقبه واستشراف لمستقبل هذه الجامعة العتيدة واقتراحات لإصلاح برامجها وخزانتها ومناهج التدريس بها ومزاولة أعمال البحث العلمي والتحليل والاجتهاد والإفتاء، وتعلق وسهر دائب للعمل على تقعيد ثوابتها وبعث الحداثة والجدة في عروقها كي تواكب ركب الثقافات في مختلف البلاد العربية والغربية على السواء، كل ذلك جعلنا نزداد إجلالا وتقديرا لذوي الهمة العالية من أبناء هذه الأمة المغربية العريقة المجيدة.

وأخيرا، جاءت تلكم العروض، كذلك، عربون صداقة ووفاء وتقدير لروحك، أستاذي العزيز، الذي كان يرفرف فوق جلستنا. لقد كُنْتَ بالفعل حاضرا في قلوب الجميع، ولم يغب ذكر خصالك والثناء عليها عن لسان كل خطيب. وجاءت العروض كذلك عربون صداقة ومحبة وتقدير للمحتفى به أخينا الجليل الأستاذ العميد عبد الوهاب التازي سعود، معبرة عن شيم متأصلة في أشخاص على خلق عظيم، أصفياء السريرة، واضحي المسلك، ومنبئة عن أصالة الجوهر وصدق العاطفة ونبل المقصد، ناطق بعضها، بإخلاص "المريدية" لشيخ ومربٍّ فاضل مثالي، تكن له كامل الوقار، ومنصف بعضها الآخر الجهود الجبارة التي بذلها الأستاذ التازي سعود في تحقيق كتاب "الفصوص" لصاعد البغدادي بأمانة العالم النزيه. ولا غرابة في ذلك، فالاعتراف بالفضل لذويه شيمة عليا مثلت النخبة التي استجابت لدعوة بيتكم المتواضعة أسمى مظاهرها.

لقد حلقت بهم الجلسة في أجواء متناسقة جمعت بين الذكريات اللطيفة وبعد النظر في التحليل وأداء الشهادة وإعطاء كل ذي حق حقه، باعثة الأمل ومجددة الطموح في الجمع بين علم متأصل وتفتح زرين بآليات تحديث تراعي ضبط مقادير ما يجرع من أقراص علاجية تضمن المناعة والقوة وامتلاك وسائل النهوض على قوائم راسخة منضبطة بعيدا عن اللهفة على حداثة بتراء مرتجلة ومقلدة تقليدا أعمى.

إن قراءة الواقع المعيش بكل حقوله الاقتصادية والتربوية والثقافية والسياسية والمجتمعية هو الوصفة الناجعة لإقامة نسيج مهيكل واضح، ذي أبعاد متناسقة ومتناغمة لتفاعلات الواقع ومستجداته مع الموروث التاريخي في أصوله ومكوناته. وإن توافر عمادة في المستوى مع ما يعززها من إشراف قويم على إدارات كلياتها لكفيل بضمان ازدهار محقق لجامعتنا الموقرة ولروادها.

فإليكم، أيها السادة الأفاضل الذين ساهمتم بعروضكم القيمة تلك، وإلى كل الذين شرفوا جلستنا بالحضور والمساهمة أهدي هذا الإصدار الذي حرص على أن يثبت في قسم أول منه تحت عنوان : "جامعة القرويين مشعل فكر الأمة المغربية وقلبها النابض" نصوصا ملكية تسجل الاهتمام السامي بهذه الجامعة، بالاضافة الى قصائد شعرية ومقالات وعروض لكبار شيوخنا وأساتذتنا الموقرين كمعالم بارزة للمراحل التي عاشتها جامعة القرويين في القرن العشرين، وتلخيصا لتنظيراتهم لمستقبلها.

يتلو القسم الثاني من هذا الإصدار الذي يضم عروض الجلسة التكريمية قسم ثالث يقدم شهادات أبى أصحابها إلا أن يساهموا بها، مشكورين، في هذا العمل الذي يدين للجميع بتآزر الجهود وحسن الطوية لتحقيق هدف سام: الإحتفاء بالقرويين ورجالاتها والحث على المزيد من الاهتمام بها.

ولا يفوتني أن أنص على إهداء هذا العمل لأخي وزميلي الفاضل الأستاذ العلامة سيدي محمد الكتاني الذي زادت أفضاله على بيت آل أخيه الفقيد بقبوله رئاسة الندوة وإدارة أعمالها، فكان كالمعتاد، الحكيم المتألق بشعاع الهداية وصدق الإيمان الذي غمر الجلسة نورا ربانيا رفرفت حوله أجنحة ملائكة الرحمن مجسدة في الصفوة من العلماء الأجلة والأساتذة المبجلين الذين أحاطوكم والمحتفى به.

وإليك، أنت أيضا، أيها الفنان الكبير الأستاذ صالح الشرقي أهدى هذا الإصدار، إذ تفضلت وفاء وتقديرا لبيت أخيك الراحل وللسادة العلماء والحضور الكريم فأتحفتنا بمقطوعات رائعة من العزف على القانون طبعت احتفاءنا بوقار وأبهة تزاوج فيها الفن الراقي بتلكم العروض القيمة الرفيعة، فجاءت الجلسة في مستوى جامعة طاولت الزمان بوزنها الفكري والحضاري، وفي مستوى حضور من النخبة المستنيرة.

وأخيرا، إليك أيها الأستاذ الجليل، الأخ العزيز، العميد سيدي عبد الوهاب التازي سعود وإلى أسرتك الكريمة أهدى هذا الإصدار عربون إخلاص وتقدير لأفضالكم في ميدان النضال الفكري واعترافا بجهادكم ووفائكم لبيت اخيكم الراحل. فعسى أن يجد لديكم، على ما به من هفوات، قبولا حسنا، وعساني أن أكون بهذا المجهود البسيط قد ساهمت بقسط رمزي في خدمة الثقافة الإسلامية العربية في هذا البلد الأمين.

وختاما أهدي هذا الإصدار إلى كل القراء الذي يهمهم مسايرة نضال امرأة أوقفت حياتها بصوفية وإخلاص على جهاد فكري ثقافي آمنت به يوم خرجت إلى معركة الحياة، وترسخت جذوره في نسيجها يوم كان من حسن طالعها أن تصبح شريكة حياة أستاذها المفكر الرائد، تغمده الله بواسع رحمته، فتعاونا على حمل هذا العبء طيلة ما يزيد على ربع قرن من الزمان قبل أن يودعها ويدع الأمانة في عنقها وعنق وحيدها اللذين عاهداه على حمل المشعل وتخطي الأشواك والعثرات بعون الله العلي القدير، وبتشجيع ذوي النيات الحسنة والقلوب الطيبة من عباده المخلصين.
﴿وما جزاء الإحسان الا الاحسان﴾،

صدق الله العظيم.

فاطمة الجامعي الحبابي
تمارة : 25 / 11 / 96

جامعة القرويين
مشعل فكر الأمة المغربية
وقلبها النابض



العلم

جريدة يومية اخبارية

السنة الاولى — العدد 22
7 اكتوبر 1946
الثمن 3 فرنكات

المدير المسؤول
عبد الخالق الطريس
الادارة: شارع علال
الرباط المغرب الاقصى

صاحب الجلالة ملك المغرب المفدى يفتتح السنة الدراسية بجامعة القرويين

فاس تستقبل العاهل العظيم بحماس منقطع النظير

(تصويرنا الخاص)

نص خطاب جلالة الملك

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا

الاميرة مولاتنا عائشة

تدشن مدرسة البنات بفاس تشرف بحمل اسمها

«الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

حضرات السادة،

يسرنا كثيرا أن نفتتح في هذا اليوم العظيم الحفلات والمهرجانات المقامة بمناسبة ذكرى مرور أحد عشر قرنا على تأسيس جامعة القرويين.

ويطيب لنا أن نرحب بحضرات الممثلين الجامعيين وكافة الأساتذة المحترمين الذين تجشموا عناء السفر ووفدوا على بلدنا لحضور هذه الحفلات والمهرجانات، مجددين بذلك ما بيننا من صلات علمية، وممهدين السبيل لتعاون أقوى بين بلدنا وبلدانهم في الميدان الثقافي.

حضرات السادة،

إن عظمة الشعوب وتفوقها وحضارتها تعرف من خلال ما لها من تعلق بالروحيات، وتمسك بالاخلاق، وجنوح الى العلم والأدب والفن، واقتباس من إشعاع الفكر والعقل إذ أفضل ما استعمله الانسان إقامة الدين الذي تصفو به السرائر وتزكو النفوس، وإقامة الدنيا التي يتعايش فيها الناس ويتعاملون.

ولقد أُثرَ عن المغاربة في ماضيهم - ومنذ خروجهم الى الوجود كشعب ذي كيان ممتاز - تشبثهم بالدين الحنيف، وهيامهم بكل فضيلة، وتقديسهم للعلم وتقديرهم للعلماء.

ويرجع الفضل في اصطباغهم بهذه الصبغة إلى جامعة القرويين التي كانت لها آثاربعيدة المدى في تكييف الحياة المغربية، وتوجيهها باستمرار، إذ هي التي مكنت للاسلام في نفوس المغاربة، وأطلقت ألسنتهم بالعربية، وخطت لهم النهج الذي ساروا فيه زهاء ألف عام كما يتبين ذلك من الأبحاث والدراسات التي أعدت بهذه المناسبة.

فمنذ تأسيسها سنة 245 هجرية أصبحت المهد الذي تدرج فيه الحضارة الاسلامية والمنبع الذي تتفجر منه الثقافة العربية في غرب العالم الاسلامي. وصارت لها رسالة سامية وقفت نفسها على أدائها في المغرب وما وراءه من أقطار وأمصار، فلا عجب أن صارت مهوى الأفئدة وقبلة الأنظار، واستأثرت بعطف جميع الملوك الذين تعاقبوا على حكم المغرب ورعايتهم وتأييدهم، حتى رجعت مدرسة شهيرة ذات أنصار ومريدين ومذهب معروف، ومنهج

واضح في البحث والتحليل والاجتهاد والافتاء. تسارع إلى التدريس بها علماء الاقطار المغربية والأندلسية، وتسابق الطلبة من الأقطار الافريقية ومن أوربا لطلب العلوم التي كانت تقرأ بها، والتي كانت تعدو علوم الشريعة واللغة الى العلوم المشاعة بين البشر من فلسفة ومنطق وحساب وهندسة وأدب وتاريخ وطب وموسيقى وتنجيم.

ولئن أتت على الجامعة القروية فترة من الزمان تخلفت فيها عن مماشاة التطور العلمي فإنها لم تتخلف، في وقت من الأوقات، عن أداء رسالتها الأصلية إذ انقلبت إلى حصن تلوذ به حضارة الاسلام، وتعتصم به ثقافة العروبة في هذا الجانب الغربي من بلادهما، وصارت تقف موقف الدائذ عن حماهما الحافظ لكيانهما.

ولما وضعت الخطط في عهدنا لانقاذ المغرب مما كان يكابده ويعانيه لم يعزب عن أحد أهمية الدور الذي يُمكن أن تقوم به جامعة القرويين في نهضة المغرب الجديدة لذلك أوليناها عناية خاصة رغم العراقل والأشواك التي بثت في طريقنا، فوضع لها نظام جديد، وأدخلت على برامجها ومناهجها

تحسينات سعيا في إحياء مجدها واسترداد عظمتها وإعدادها لدور جديد.

ولما استعاد وطننا حريته واستقلاله، صار من الضرورات الوطنية الأكيدة القضاء على الفوارق المحدثة في التعليم، واتجهت الأنظار إلى توحيد وتوجيه الثقافة في كافة أرجاء البلد نحو هدف جامعة القرويين، أي منح المكانة المرموقة للثقافة الاسلامية وتكييف التعليم بها. وقد أبينا إلا أن نركز شخصية القرويين الفذة، فأمرنا بإضفاء حلة جديدة عليها تجعل منها جامعة مجهزة بكل المقومات التي تمكنها من مسايرة واقع العالم الحديث، ومواصلة أداء رسالتها، وضمان مستقبل المتخرجين منها.

ومن مظاهر العناية بها والتجديد الذي أدخل عليها إنشاء حي جامعي مجهز أحسن تجهيز، نقلت إليه الدراسة من جامعها العتيق، وتعليم جميع العلوم باللغة العربية الى جانب العلوم الإسلامية، ورفع مستوى الدراسة بها، مما يعين متخرجيها على الاضطلاع بأعباء الماموريات الاسلامية والوطنية التي تنتظرهم، ويجعل الثقافة في البلد وحدة منسجمة.

حضرات السادة،

إننا لمغتبطون بهذه الفرصة السعيدة التي أتيح فيها لعدد من مشاهير الجامعيين وكبار الأساتذة والمربين أن يجتمعوا في مدينة فاس الفيحاء إحدى حواضر الاسلام الكبرى، وقواعد العروبة العظمى، التي ظلت زمنا طويلا المنار السامق الذي يهدي رواد المدنية، والمورد العذب الذي ينهل منه طلاب المعرفة في أقطار المغرب والقارة الافريقية.

ونشكر السادة العلماء على الأبحاث والدراسات التي أعدوها بمناسبة هذه الذكرى، ونخص منهم علماء الأقطار الاسلامية التي اشتركت جامعاتها ومعاهدها مع جامعتنا القروية في خدمة العلوم والفنون ونشر الثقافة الاسلامية العربية، كما نشكر أعضاء اللجنة المشرفة على تنظيم هذه المهرجانات على ما بذلوا من جهود».

جلالة المغفور له محمد الخامس، طيب الله ثراه
(خطاب افتتاح مهرجان ذكرى مرور أحد عشر قرنا
على تأسيس جامعة القرويين،
فاس، 18 ربيع الثاني 1380 / 10 أكتوبر 1960.

انظر انبعاث أمة، ج.5، ص.213-217)

«..فبرزت من أهل القيروان الوافدين على هذه الحاضرة، سيدة فاضلة، هي فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري، المعروفة بأم البنين، وبنت من مالها مسجد القرويين، الذي ما لبث أن أصبح حوضا من حياض المعرفة، وموردا من موارد العلم، طبقت شهرته الآفاق، وسارت بذكره الركبان، وأصبحت بفضله مدينة فاس، مركز إشعاع ثقافي وحضاري في العالم، يؤمه الناس من مختلف الأقطار والأمصار.

[....] لا يكاد الزائر يصل إلى هذه الحاضرة العظيمة، شقيقة القيروان المجيدة، سواء كان مواطنا أو أجنبيا حتى تعود به الذاكرة إلى الأطوار التاريخية التي تقلبت فيها، والأدوار الكبيرة التي قامت بها طيلة ثلاثة عشر قرنا، على مسرح السياسة والاقتصاد، والعلم والثقافة، والأدب والفن، والحضارة والعمران، لا في المغرب الأقصى وحده، ولكن في غرب العالم الإسلامي كله.

فقد عمت شهرة هذه الحاضرة كل زمان، وقوي تأثيرها فيما حولها من أمصار وبلدان.

ولقد كان دور جامعة القرويين من بين هذه الأدوار دور الواسطة من العقد، والحوض من الروض، إذ أنها خدمت بتفان وإخلاص، أنواع المعرفة وفنون الثقافة، فما من مجال علم، أو ميدان فن طرقه العرب والمسلمون إلا وكان لعلماء القرويين فيه جولات موفقة، وصولات ظاهرة».

جلالة الملك الحسن الثاني، نصره الله
(من كلمة ألقاها بمناسبة توأمة مدينتي فاس والقيروان،
فاس، 27 جمادى الثانية 1385/ 22 أكتوبر 1965،
انظر انبعاث أمة، ج. 10، ص. 297)

«يسرنا جدا أن نقتبلكم في هذا البيت الذي إن اعتز بشيء فإنه يعتز بانتمائه إلى العلم وبإعانته لذوي العلم، وبنشر العلم، تبعا لأوامر الخالق سبحانه الذي بدأ كتابه بـ «اقرا بإسم ربك الذي خلق»، وهكذا صارت الأمة العربية وبعدها الإسلامية أولا تتعلم لتعلم، (ولا يأب كاتب أن يكتب، كما علمه الله فليكتب)، وحينما تعلمت ودرست عرفت كيف تعلم وتدرس. ونحن اليوم في القرن العشرين أجدر من كل أمة بأن نحمل راية العلم والعرفان، وذلك لأنها كانت دائما شعارنا الذي حوله نلتف، لأن الإسلام دين عقل ودين تفكير، ودين الإعجاز بالحجة والمنطق لا بالتبعية ولا بالإستهلاك، لذا عليكم معالي العلماء والعمداء أمانة جليلة عظيمة، ذلكم أنكم في مفترق الطرق فيما يخص المناهج التربوية والتعليمية، فعليكم أن تبقوا متشبثين بالأصالة متشبثين بالحنيفية السمحة، ولكن متقمصين أردية جديدة ليست أردية المسخ، ولا أردية النفاق، ولكن أردية تناسب مقامكم وتناسب ما تنشرونه من علم وثقافة، ولاسيما إذا نحن عرفنا وانطلقنا من مبدإ لا خلاف فيه ولا مناص منه أن اللايكية لا وجود لها في الإسلام ولا في العروبة».

جلالة الملك الحسن الثاني، نصره الله
(من خطاب ألقاه لدى استقباله عمداء الجامعات المغربية،
الرباط، 8 ربيع الثاني 1395/17 أبريل 1975،
انظر انبعاث أمة، ج. 20، ص. 57)

«الحمد لله، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

حضرات العلماء أعضاء المجلس العلمي والإقليمي.

إننا متأثرون جدا بالصراحة التي صرحتم بها لإنقاذ خزانة القرويين، ولا أحد يعرف قيمة هذه الخزانة مثل عبد ربه الضعيف هذا، إذ رباني والدي رحمة الله عليه وأسكنه فسيح جناته على احترام العلم والعلماء والمحافظة على الكتب والمصنفات.

فعلا، إن الخزانة الفاسية القروية تحتوي على نفائس من جميع الفنون ومن جميع العصور، ومن جميع أجناس الكتاب والمصنفين.

فلم تعد خزانة القرويين خزانة فاس وحدها، بل يمكن أن نقول: إنها أصبحت خزانة التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية المفتوحة في وجه كل رائد أراد أن يرتوي من مكنونها، وأن يرفع تاج الإسلام والمسلمين في ماضيهم وحاضرهم، وذلك بإبراز ما قاموا به وما نقشوه في صدور من خلفهم من العلماء إلى يومنا هذا من علوم شتى وفنون مختلفة.

وإننا نعلم أن نداءكم هذا هو نداء خطير جداً، لا فيما يخص وزنه وثقله المادي فقط، بل فيما يعنيه من جسامة الأمانة ووجوب الاسترسال في المحافظة والرعاية أيضا. وبعد التفكير الطويل والبحث الدقيق، وحتى يمكن لعبد ربه الضعيف هذا أن يكون وفيّا لكم ولجميع رواد العلم في العالم الإسلامي كان من الواجب أن أتروّى كثيراً قبل أن أعطيكم الجواب.

والجواب، كما تعلمون، لا يمكن أن يكون إلاّ نعَم، إلا أن نعم هذه لا تخرج عفوا ولا تخرج ارتجالاً، بل كانت نتيجة حوار بيني وبين ضميري، وبيني وبين من سأختاره واصطفيه بعون الله سبحانه وقدرته للقيام بهذه الرعاية، وللسهر على استمرار هذه العناية وللجدارة بالصيانة.

إلا انني أطلب منكم مهلة من الزمن لأجد في قصرنا العامر في فاس الذي هو في آن واحد دار جميع المغاربة، فاسيين كانوا أو غير فاسيين، لأجد لها وأهيئ جناحا خاصا يجهز التجهيز اللازم، التجهيز العصري الذي يضمن لهذه الخزانة السعة ويوفر لها جميع شروط المحافظة والإستمرار.

ولابد لنا من إيجاد مختبر خاص، ولابد من خلق معمل خاص بالترميم، ولابد لنا من أن نحيط

هذه الكنوز بجميع وسائل الوقاية إما من الحشرات، وإما من بني آدم. ويجب أن يكون هذا الجناح من القصر الملكي قابلا لأن يكون مفتوحا صباح مساء أمام الزوار وأمام رواد العلم، وأمام من أراد أن ينهل من ذلك المنهل، وأن ينير طريقه وسبيله بتلك النفائس التي خلفها لنا آباؤنا وأجدادنا.

وكثيرا ما نفتخر نحن العرب بهذا البيت:

تلك آثارنا تدل علينا

فانظروا بعدنا إلى الآثار

ونعني بالآثار المبنية أو الهياكل المادية أو الحجارات المنقوشة، وإنني أعتقد أن أثر خزانة القرويين هو أثمن الآثار وأجدر أن نستشهد به نحن المغاربة على أصالتنا أولا، وعروبتنا ثانيا، وتعلقنا بالإسلام ثالثا، وبهويتنا الخاصة رابعا، التي تمتاز بكونها هوية مغربية، وليست هوية مخضرمة، هوية صرفة أراد الله سبحانه وتعالى أن تكون مصاغة في قرارة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

وفقنا الله جميعا إلى الخير، ويسر لنا سبيل النجاح. ومرة أخرى أشكركم على الثقة الغالية التي

وضعتموها في عبد الله الضعيف أمير المؤمنين، والذي من واجبه حماية الملة والدين.

وبعملنا هذا سنحاول، مرة أخرى، أن نكون بارين بقسمنا مدركين ومحترمين لالتزاماتنا الدينية والدستورية. أعاننا الله جميعا على ذلك، وأطال بقاء هذه الخزانة وما يماثلها، وأطال أسرة من سيزورها وينتفع منها، مغاربة كانوا أو غير مغاربة، حتى نعيد لهذا الدين عزته، ولهذه الحضارة أوجها، وحتى نعيد لحرمتنا كمسلمين وكعرب ما يجب للغة الضاد من احترام».

جلالة الملك الحسن الثاني، نصره الله
(من كلمة رد بها على رئيس المجلس العلمي لمدينة فاس، الحاج أحمد ابن شقرون الذي القى كلمة بين يدي جلالته يلتمس فيها الرعاية الملكية لخزانة جامع القرويين بفاس.
الرباط، 10 رمضان 1404/ 10 يونيه 1984،

انظر انبعاث أمة، ج. 29، ص. 225)

«..وقد ظلت هذه المدينة منذ نشأتها، تحتضن أقدم جامعة عالمية، جامعة القرويين التي ستدخل بعد سنوات معدودات قرنها الثاني عشر، والتي عرفت في عمرها الطويل عهود الازدهار والتألق بوصفها جامعة مفتوحة في وجه الطلاب ورواد المعرفة من كل جنس وقارة، بحكم تنوع شعب المعرفة التي كانت تلقنها، والتي كانت لاتوجد في غيرها، حتى لقد كان من بين روادها الطالب الفرنسي «جيلبير دورياك» الذي أصبح فيما بعد البابا سيلفستر الثاني، وهو الذي نقل من جامعة القرويين إلى أوربا ما أصبح يعرف ولايزال بالأرقام العربية.

ومما كان يميز هذه الجامعة العتيقة توفرها على مدارس ملحقة بها لإيواء الطلبة الداخليين من مواطنين وأجانب لما كان يتوفر بها من شروط الإقامة، وهو ماكان يشجع على الانقطاع للدرس والتحصيل، ولايعني ذلك كله إلا أن المغرب كان دائما -وبقي الى اليوم- بلاد الإسلام الحق ذي الصورة المشرقة، المتسم بالسماحة، المطبوع بالتعايش مع الديانات السماوية، المفتوح في وجه الجنسيات والقارات، مصداقا لقوله تعالى: «لانفرق بين أحد من رسله، ونحن له مسلمون».

جلالة الملك الحسن الثاني، نصره الله

(من رسالته الى المشاركين في أشغال المناظرة الدولية للمدن المصنفةتراثا عالميا، فاس، 6 سبتمبر 1993، انظر انبعاث أمة، ج. 8، ص. 328)

صاحب الجلالة والمهابة، أمير المومنين،

أطال الله بقاءكم، وخلد في صحائف المجد ذكركم.

مولاي،

بمناسبة انعقاد مجلس جامعة القرويين بمدينة فاس، حاضرة العلم بمملكتكم السعيدة في دورته العادية، يومي الخميس والجمعة 8 ـ 9 جمادى الثانية 1416هـ الموافق 2 ـ 3 نونبر 1995،

وفي غمرة الاستعداد لإحياء ذكريات أعيادنا الوطنية المجيدة، تتصدرها ذكرى المسيرة الخضراء المظفرة وذكريات عيد الاستقلال الخالدة،

يتشرف عميد جامعة القرويين أصالة عن نفسه، ونيابة عن أعضاء مجلس الجامعة أساتذة وطلبة وإداريين، برفع أسمى آيات الحب والوفاء، وأخلص مشاعر الصدق والولاء، إلى مقام أمير المومنين وحامي حمى الوطن والدين، وسبط الرسول النبي الأمين، فخر الدولة العلوية، وواسطة عقد ملوكها، وناشر راية المعرفة وباني صروحها ومعاهدها، مبتهلين إلى الباري سبحانه وتعالى أن يعجل بشفاء مولانا الإمام ويمن على

جلالته بالصحة الدائمة، والعافية الشاملة، مكلوء بعين الله التــي لاتنام، ومحروسا بكنفـه الذي لايـرام، حتى يواصل بنجاح مسيراته الإصلاحية الظافرة، وفتوحاته العلمية الظـاهرة، مستلهمين من صـادق عزمه وسـديد توجيهه مـا يثبت منا القدم، ويحفز الهمـم على مواصلة الخطــو في مســار الصـــلاح والإصـــلاح، والترشيــد والتصحيح، حتى يتبـوأ مغرب الحسن الثـاني العظيم مقـام الصـدراة، حاضرا ومستقبـلا، على نحـو مـا درج عليه في مجيـد عصور الازدهار، محافظـا في غير انغلاق ولا تحجر، ومنفتحا مجددا في غير انبهار ولا تهور.

مولاي،

إن جامعــة القرويين المشمولـة بموصــول عنايتكم ومتجدد حــدبكم، لتعاهد اللــه وتعاهـد جلالتكم على أن تظل كما كانت، وفية لرسالتها، قائمة في موقعها حصنا حصينا للإسلام، منبرا وكهفا أمينا للغة القرآن، ومنهلا عـذبـا تَـردُه الأجيال وتصـدُر عنــه، مـا تعـاقب الليل والنهار، وتَـوالت القرون والأعصـار، وترتـوي من مدد فيضه أمجادنـا الدينيـة والوطنيـة، وقيمنا الأخـلاقية والحضـارية، استمـرارا لـوجـودنا المعنـوي، وتمكينـا لثقافتنـا في معترك الحياة، وتحقيقا للمقـاصد السـامية

التي تتوخاها الجلالة الشريفة الهادفة إلى حسن الجمع بين العلم والعمل والإيمان، وبين الموروث التليد، والطارف الجديد من إبداعات الإنسان الخالدة.

أمد الله في عمر سيدنا الإمام لخير الصالح العام، ومتع الأمة بشفائه، وحفظها فيه تاجا فوق جبينها ونبراسا ينير سبيلها، قرير العين بولي عهده الجليل سمو الأمير سيدي محمد، وصنوه السعيد سمو الأمير المولى الرشيد وسائر آل بيته الطيبين.

والسلام على أمير المومنين ورحمة الله وبركاته.

رئيس مجلس جامعة القرويين

عميد الجامعة

الدكتور عبدالوهاب التازي سعود

المقرر

الكاتب العام

محمد يناني زبير

(نص البرقية التي رفعت إلى مقام
صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، نصره الله،
في اختتام اجتماع مجلس جامعة القرويين
في دروته العادية الأولى،
فاس 9جمادى الثانية 1416هـ الموافق 3 نوفمبر 1995)

القصيدة العصماء*



الزعيم علال الفاسي

لمن الــــوفــــود تبــــادل الترحيبــــا	وتــؤم روضـــا مــــايــــزال رحيبــــا
ولمن جموع الشعب يحشــــدهــــا الهوى	ويهيج منهــــا شــــوقهــــا المشبــــوبــــا
ولمن أنـــاشيـــد الحماس نعيـــدهـــا	فتثير منـــا البـــاطن المرهــــوبـــا
ولمن ذه الـــرايـــات تخفق في الفضـــا	حتى تهز جـــوانحـــا وقلــــوبـــا
ولمن شبـــاب كـــالملائك لم يـــزل	يـــولي الهتـــاف ويتبع التـــويبـــا
لمن البنـــات الطـــامحات إلى العـــلا	يعلن حبـــا في الشبـــاب غـــريبـــا
ولمن قبـــائل لم تـــزل فـــرســـانها	تهتـــاج فيك وقـــد رأتك قـــريبـــا
لمن التعلق والمحبــــــة والفــــــدا	مـــن كل قلـــب مـــا يـــزال منيبـــا
لجلالـــــة الملـــك الهمام محمـــــد	مـــن لايـــزال عهادنـــا المرقـــوبـــا

*) قصيدة ألقاها الزعيم علال الفاسي في حضرة صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس، بجامعة القرويين يوم تفضل جلالته فحضر إعادة فتحها في أكتوبر 1946، وقد نشرت القصيدة بجريدة **العلم** بتاريخ 7 أكتوبر 1946. شكرنا الجزيل وامتناننا لمؤسسة علال الفاسي والمشرف عليها الأستاذ الجليل السيد عبد الرحمن بن العربي الحريشي الذي مكننا من هذه القصيدة ومن المحاضرة القيمة للزعيم سيدي علال الفاسي حول «رسالة القرويين في الماضي والحاضرة والمستقبل» وأبلغنا موافقة المؤسسة وإذنها في السماح لنا بإعادة نشرهما في هذا الإصدار التكريمي حول جامعة القرويين نظرا لقيمتهما التاريخية والمكانة السامية الفكرية والنضالية التي يحتلها شيخنا وأستاذنا الكبير سيدي علال ورغبة منا في المزيد من الاستفادة من آرائه النيرة.

العاهل الفذ الذي فاق الورى مجدا وبز السابقين وثوبا
فخر البلاد ورمز وحدتها الذي قد فاق في أخلاقه المكسوبا
من أيقظ الوطن العزيز وقاده كي ما يعيد مقامه المنسوبا
إن تفتخر مصر بعاهلها الفتى فبك انتقينا العاهل المطلوبا
أو تزدهر بغداد من أملاكها وتنال من تجديدها المرغوبا
فلقد أعدت إلى البلاد يقينها وبعثت فيها وعيها المسلوبا
أنت المليك وقد أبيت شهامة أن لاتكون زعيمها المحبوبا
مازلت تحدوها إلى غاياتها وتبثها مما وُهِبْتَ نصيبا
ولقد أهبت بها إلى إنقاذها فغدا الجميع إلى نداك مجيبا
وهديتها التعليم وهو سبيلها لتنال آمالها وتصيبا
فبك المدارس فتحت أبوابها وغدت رياضا بالعلوم خصيبا
مازلتَ توليها عنايتك التي صارت حديثا بالثناء رغيبا
وَدَّ الكبارُ وقد رأوا ما شدته لبنيهم وجعلته موهوبا
أن لو أعيدوا للصبا كي ينعموا بلباس عطف مايزال قشيبا
وضربت بالكرم المثال وإنما في الكل صرت مثالثا المضروبا
إن جاء غيرك بالضيافة والقرى فلقد وهبت الفكر والتدريبا
وبأي وصف من صفاتك أكتفي مهما مدحتك مخلصا ومنيبا
وبأي يوم من مواقفك التي أظهرت فيها للوجود عجيبا
أشدو وقد عرف الجميع مكانها ورأى بها تدبيرك الموهوبا
فلقد جمعت على المحبة والوفا لك أنفسا لم تجتمع وقلوبا
فالتف حولك شعبك السامي وقد أذكيت فيه من الحماس ضروبا
قده إلى غاياته وابلغ به أملا لقلبك ما يزال حبيبا
هذي الوفود تجمعت من كل صو ب ، تبتغي رضوانك المطلوبا
تدنو إليك وقلبها متحرق من وجدها ما إن يجف وجيبا
قد أكبرتك مهابة لما رأت فيك الجمال من الجلال مشوبا
لكنها صمدت لطرفك علّه يبدي لها مما يكن غيوبا
نفذ المنى منه إلى أعماقه فأنار منها الحالك الغريبا

لا غرو أن طمحت إلى أنواره ... وتطلعت تستوهب التقريبا
فابسم لها تشرق لها آمالها ... وانظر لها تستفعل المكتوبا
واصل لها أيامك الغر التي ... تحيي النفوس وترجع المنهوبا
وأعد لها ما شاده الأسلاف من ... قدر بدا في العالمين رهيبا
وأزح لها غماتها واكشف لها ... بالجد فيما تبتغيه خطوبا
وانظر إلى الإبداع من ميراثها ... فابعث به التجديد والتصويبا
مولاي هذا المعهد القروي قد ... أوليته من عطفك المرغوبا
مازلت تعمل لانتظام وجوده ... وتقاوم التصعيب والتشغيبا
يكبو فتنهضه بكل تدارك ... وتنيله الاصلاح والتهذيبا
ولقد عرفت مكانه في أمة ... جعلته مشعل فكرها الملهوبا
فأردت منه رسالة عصرية ... يسري بها روح الحياة دبيبا
وأتيت تفتح بابه متفضلا ... كي ما تمد له يديك طبيبا
وبنوه حولك خشع ورجاله ... يبدون حبا في الصميم رقيبا
والشعب في طول البلاد وعرضها ... من خلفهم يولي الدعاء منيبا
بك كل آمال البلاد وأهلها ... تغدو يقينا في النفوس صليبا
فاسمح لطلاب المعارف يرفعوا ... لك مطلبا مستعجلا مرقوبا
ضاقت ببعثات البلاد مدارس ... قد كان مسكنها الوطيء رحيبا
سمع المواطن بالذي أسديته ... للمعهد الديني فهب طروبا
وترددت أصداء دعوتك التي ... تسمو به فأتى إليك مجيبا
حاشاك أن يبقى بلا متوى وقد ... ناداك يرجو فضلك الموهوبا
فأشد له دورا تناسب نهضة ... ما زلت أس بنائها المضروبا
وافسح له فيها المجال ليرتوي ... من فيض علم لم يزل محبوبا
وارفع بها للمعهد القروي ذِكْـ ... ـراً، يوجب الإقبال والترغيبا
حتى يعود محط أنظار الألى ... من قبلنا هبوا إليه هبوبا
ويعود فينا للشريعة والديا ... نة ، والثقافة حصنها المطنوبا
ويؤمه من كل صوب مسلم ... زمر تردد شكرك المكتوبا
هذي أياديك العديدة لم تزل ... للطالبين مشجعا ومهيبا

فـــــاضت على العــــافين رفــــدك مثلما أملـت علي مـــن المديـح ضروبــــــــــا
سجلت فيـك من الخرائد مـــــا اغتــــدى في المدح نهجــــا واضحـــا ملحــــوبــــا
عـــلال خــــادم عـــرشـك العلـــوي لا ينفـك ينشر مجدك المنســــــــوبـــــــا
عــــاهــــدت شعبك أن أكـــــون وفيــــه فخــــدمت عـــرشك حـــاضرا وغـــريبـــا
لا زلـت ملجأ قـــــاصــــــد ومحطــــة آ مــــال ومطمح روحنــــا المرقــــوبــــا
وعـــلا بك الـــوطـن العـــزيـــز وحققت غــــايـــــاتــــه وغـــــدا ذراه مهيبـــا
وسما بك العـــرش العلي وصــــاحب الــــــعلم المنيف العــــز حيث أصيبـــــا
وحبــــا بنيـك من المعــــــزة والهنــــا ومن الـــرضى مـــا تــــرتجيــه قـــريبـا
وأدام مـــــولانـــــا أمير الأطلس الـــــــمـــــحبوب حتى يكمـل الموغـــوبـــا



● «إن الجامعة الإسلامية الكبرى التي نطمح أن تكون متفردة، شكلا ومضمونا، والتي ندعو إليها يتعين أن تكون جامعة تقليدية وعصرية في آن واحد، فيها وعليها تنعكس الصورة الحقيقية لتغيرات العصر الذي نحياه.

فالقرويين كانت، وعليها أن تصبح من جديد منهلا للرجال والأفكار ومصدرا للحلول والمقترحات والقياسات والاجتهادات التي تصلح ذات البين في علاقات الإنسان مع دينه ودنياه، ومع عصره ونفسه. لن تكون هناك أية بدعة إذا ما رجونا إقرار «التحاور» الموسع والنظامي بين الديانات الكتابية الأخرى من خلال برامج جامعة القرويين في المستقبل.

● إن الجامعة التي أجيز لنفسي، بكل تواضع وبكثير من الإيمان برسالتها، أن أدعوكم إلى العمل من أجلها هي جامعة تدرس العلوم الدقيقة إلى جانب العلوم الإسلامية، وتدرس العلوم الإنسانية بما فيها المعارف الكلاسيكية المتعارف عليها، وتعتمد اعتمادا متينا على التكنولوجيا ومستحدثاتها بحيث لاينحصر نشاطها في الحفاظ على تدريس الموروث من العلوم الإسلامية، وإنما يمتد إلى تطوير هذه العلوم لتصبح الصبغة الشاملة المستوعبة لجميع ما يعايش الحضارة الراهنة من أنماط المعرفة النظرية والتطبيقية والتجريبية.

● إن الغاية المتوخاة اليوم هي غير ما كان عليه الشأن من قبل، لأن علوم العصر وثقافته والأهداف التي نحاول رسمها للقرويين في المستقبل هي جميعا جديدة ومن شأنها، إذا تم الأمر، أن تجعل منها جامعة مستعدة:

1- لتكوين علماء الإسلام الجدد وقادة الفكر الإسلامي في التربية المثلى التي تجمع بين أخلاق الإسلام ودقة العلم.

2- لإعداد حماة الإشعاع الثقافي والإسلامي بالمغرب وخارج المغرب.

3- للتحاور مع الديانات الأخرى.

4- للتفتح اللغوي والتبادل على أعلى مستوى التبليغ، والتسرب والتغلغل في الفكر الأجنبي علميا وفلسفيا ولا هوتيا، ولا سيما للرد والدحض والتعقيب.

5- للتفتح العلمي والتقني والعمل على توفير الاكتفاء الذاتي للبلدان الإسلامية في شتى مجالات العلم والتكنولوجيا.

وهذه الوظائف ليست حصرية، وإنما ذكرناها على سبيل المثال».

محمد علال سيناصر - وزير الشؤون الثقافية
(انظر «مستقبل القرويين وإشعاع الثقافة الإسلامية»،
محاضرة ألقاها تحت إشراف جمعية فاس - سايس،
فاس ، 13 نوفمبر 1992)

البيت المظلم *



محمد الحلوي

فهل لي أن أبشرها بعهد — جديد لا يشوهه استلاب ؟
وهل لي أن أرى بغداد تحيا — ودعوة من بنى فاسا تجاب ؟

* * *

مودعة وليس لها إياب — وراحلة تناساها الصحاب !
أهذي أنت ؟ أم أضغاث حلم — تهاوت من شوامخك القباب
وأجدب روض أنسك بعد خصب — وناح على منابرك الغراب
مضت للضاد فيك عصور مجد — مضيئات معارفها عباب
وحج لبيتك المعمور خلق — ظماء لم تنهنهم صعاب
أتوك وكلهم شوق وحب — يهون به العناء والاغتراب
عهدتك روضة غناء تشدو — بلابلها ويمطرها السحاب
وأروقة بها للضاد حصن — دعائمه الشريعة والكتاب

*) الوصف الذي أعطاه الجنرال اليوطي، المقيم العام الفرنسي في عهد الحماية، لجامعة القرويين شعورا منه وإدراكا لرسالتها وخطرها على وجوده البغيض. شكرنا الجزيل لأستاذنا الشاعر محمد الحلوي على تفضله بهذه القصيدة التي رغبنا في ضمها إلى هذا الإصدار، كذكرى لمحطة كفاح في تاريخ جامع القرويين الحديث.

ومنطلق الجهاد إذا تداعى ‏ ‏ ‏ له وطني وداهمه مصاب
ومنبر دعوة الحق تعلو ‏ ‏ ‏ ولا يخفي أشعتها حجاب
يضيء منارها والليل داج ‏ ‏ ‏ على دنيا يحيط بها اكتئاب
وكنت خلية تغلي نشاطا ‏ ‏ ‏ لها بالدين والعرب انتساب
ومنهل كل ظمآن شغوف ‏ ‏ ‏ ترويه جداولك العذاب
عرفت رحابها أسواق علم ‏ ‏ ‏ إلى حلقاتها يهفو الشباب
وأبصرت العمائم في جلال ‏ ‏ ‏ وتقوى لا يدنسها اكتساب !
هداة بالفضائل لا بعلم ‏ ‏ ‏ ورسل في إشارتهم خطاب !
رضعت لبانها والعمر غض ‏ ‏ ‏ وآمال الشباب بها رحاب

* * *

دخلت رحابها الفيح الخوالي ‏ ‏ ‏ وطفت بها وفي نفسي عتاب
سألت الكراسي الخرساء عمن ‏ ‏ ‏ ترنمها فأخرسني الجواب
مضوا لسبيلهم فوجا ففوجا ‏ ‏ ‏ وهيل على مآثرهم تراب !
ولم يسمع عليها بعد دا ‏ ‏ ‏ ع إلى قيم وليس له ثواب !
كراسي العلم فيها جامدات ‏ ‏ ‏ وبغداد التي ازدهرت خراب
وفردوسي التي اخضلت وهبت ‏ ‏ ‏ على الدنيا نسائمها يباب
وآمال معلقة عليها ‏ ‏ ‏ تراءت مثلما يبدو السراب

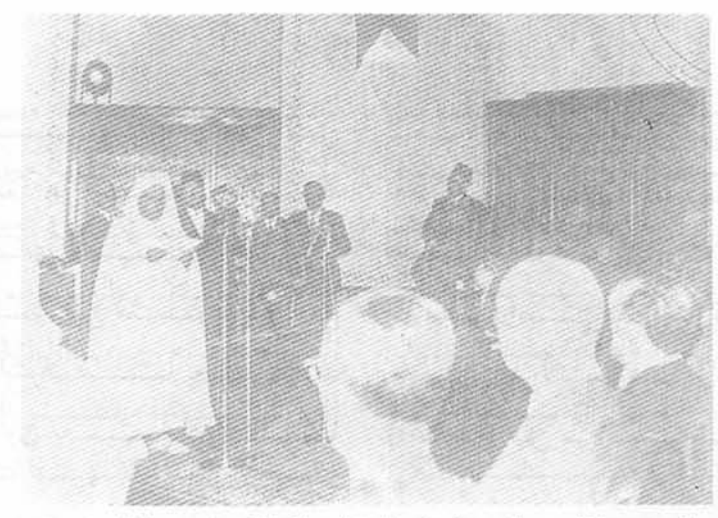
* * *

رآها الأجنبي مشار شر ‏ ‏ ‏ وبيتا مظلما خطرا يهاب
فكاد لها ولم يعدم نصيرا ‏ ‏ ‏ وعاثت في مراتعها الذئاب !
وعق جهادها الغالي بنوها ‏ ‏ ‏ وكان جزاءها الأوفى العقاب
وما أحد وليس عليه فضل ‏ ‏ ‏ لمن خضعت لهيبتها الرقاب
وليس لمبصر في الشمس شك ‏ ‏ ‏ وليس لمنصف فيها ارتياب !
ولم أعجب لمنقلب وخيم ‏ ‏ ‏ فطبع الدهر قلبٌ وانقلابُ

وليس لها سوى الحسن المثنى ... ليبعث مجدها فهو المثاب
عسى أن تسترد على يديه ... حضورا كان عتمه الغياب
فكم أسدى لأمته وأجدى ... وما وهنت عزائمه الصلاب
سجايا من ملوك بني علي ... إذا مست أصالتنا غضاب !
فهل لي أن أُبشرها بعهد ... جديد لايشوهه استلاب ؟
وهل لي أن أرى بغداد تحيا ... ودعوة من بنى فاسا تجاب ؟

* * *

فيا نهرا أحيل إلى سواقي ... بغيرك لن يدوم لها انسياب !
ويا أيامنا الغراء فيها ... ورياها ربيع مستطاب
سهرنا ليلها في ضوء شمع ... ومصباح وأفكار تذاب
نعاني من معالجة المعاني ... ونسعد حين ينبلج الصواب
ذكرتك والليالي مسرعات ... وللأشواق والذكرى التهاب
وظل العمر يدبر في انتقاص ... وشعري في قوافيه انتحاب
وليس لشاعر غير القوافي ... ضياء حين يكنفه الضباب
ويا أماه لو ترجمت حبي ... بغير الشعر ما وفى خطاب
ففيك كتبت أبياتي العذارى ... وعنك رويت فامتلأ الوطاب
وفيك عبدت ربي في قنوت ... وفتح لي إلى الإيمان باب !
إذا افتخرت بما أعطته فاس ... فإنك في جواهرها اللباب !
على أيامك الزهر الغوالي ... سلام الله ما تلي الكتاب



الأستاذ محمد الفاسي رئيس الجامعة المغربية يلقي كلمته في افتتاح مهرجان ذكرى مرور المائة بعد الألف على تأسيس جامعة القرويين، (فاس - أكتوبر 1960).

أضاعوها (قيلت بمناسبة إبعاد الأستاذ محمد الفاسي عن المدرسية التونسية إبان الحماية)

يؤم الوكر المهني ثراه، ربيعا؟ *
ومن كان الوداع له مريعا؟

أضاعوها، وأي تراث مجد
أضاعوا! لا رعى الله المضيعا

أرضيها يا محمد، أن تولي
لغير بنيك مقودها المنيعا؟

وما عرفتك، مذ عرفتك، إلا
مجدد عهد سؤددها الرفيعا

وما فيشيف ظلال ذراك حتى
غدا شمل الجميع بها جميعا

طلعت على شبيبتها هلالا
بكلية النور مكتملا سطوعا

أجل، وعلى يديك سعت إليها
شرود العلم مرتاضا مطيعا

أماني يا الشباب المشرقات
وعهد لم يكن إلا ربيعا

لئن أنأتك أيدي الظلم عنها
فإن صدات لآيا لو ربيعا

يطوف على مجالسها ربيعا
أبى الإجهاد إلا أن يضوعا

لعمر الله ما ودعت إلا
نفوسا بات نائبها فظيعا *

الأفلم تقف عهدا حميدا
تورشت، بعد، بشراه الجموعا

ودام إبا مع الغرور يعفو
حماك، ودمت راعيه الوديعا

*) بقية من قصيدة صودرت ضمن جملة قصائد من طرف قوات الشرطة الاستعمارية، أثناء الهجوم المباغت على بيت الشاعر شهورا بعد نفي جلالة المرحوم محمد الخامس يوم 20 غشت 1953

أضاعوها *



علي الصقلي

بم الوكر الهني، تراه، ريعا ؟ ومن كان الوداع له مريعا ؟

أضاعوها، وأي تراث مجد أضاعوا ! لا رعى الله المضيعا

أترضى ، يا محمد، أن تولي لغير يديك مقودها المنيعا ؟

وما عرفتك، منذ عرفتك، إلا مجدد عهد سؤددها الرفيعا

وما غشيت ظلال ذراك حتى غدا شمل الجميع بها جميعا

طلعت على شبيبتها هلالا يهيج النور، مكتملا سطوعا

أجل، وعلى يديك سعى إليها شرود العلم مرتاضا مطيعا

أماني كالشباب الغض أودت وعهد لم يكن إلا ربيعا

لئن أنأتك أيدي الظلم عنها فإن صداك لا يألو رجيعا

يطوف على مجالسها أريجا أبى إلا بحمدك أن يضوعا

لعمر الله ما ودعت إلا نفوسا بات نائيها فظيعا

ألا فلترتقب عهدا حميدا تؤمن، بعد، بشراه الجزوعا

ودام الجامع القروي يقفو خطاك، ودمت راعيه الوديعا

(*) بقية من قصيدة قيلت بمناسبة إبعاد الأستاذ محمد الفاسي عن مديرية القرويين إبان الحماية ثم صودرت، ضمن جملة قصائد، من طرف قواة شرطة الاستعمار الفرنسي، أثناء هجوم مباغث على بيت الشاعر، شهورا بعد نفي جلالة المغفور له محمد الخامس وأسرته يوم 20 غشت 1953.

شكرنا الجزيل لأخينا الفاضل الشاعر مولاي علي الصقلي على تفضله بهذه الوثيقة التاريخية قصد إثباتها في هذا الإصدار.

«إن الدور الذي لعبته جامعة القرويين ببلادنا كان من الاهمية بحيث أن تاريخ المغرب يرتبط ارتباطا متينا بهذه الجامعة التي كان لها الفضل، زيادة على نشر العلم ونرقيته، في تكوين كل إطارات الدولة في سائر المناحي. وقد كانت محل عناية من كل الدول التي تعاقبت على عرش المغرب بتوسيعها والزيادة في مبانيها وتأسيس المدارس لايواء طلبتها وخزانات الكتب لدراستهم وإغداق العطايا على أساتذها.

ولئن كان طرأ علهيا نوع فتور في القرون الاخيرة تبعا للركود العام الذي استولى على العالم الاسلامي في تلك الحقبة من تاريخه فقد قيض الله لها ملوكا من أسلافكم الكرام ،منذ مولاي الرشيد الذي درس بها وأسس أكبر مدرسة بفاس الى جدكم العظيم مولاي الحسن، أولوها اهتماما خاصا حتى أمكنها ان تنتعش وتستمر في تأدية رسالتها.

إلا أن تطور الدراسات العليا في العالم المتمدن في عصرنا الحاضر، والتنظيمات الراقية التي أدخلت عليها جعلت من الضروري أن تطبق بالقرويين كذلك هذه الاصلاحات لتستطيع أن تساير التقدم، وهذا ما ادخره الله لجلالتكم حيث اتجهت عنايتكم إلى إصلاح نظام هذه الجامعة. وقد صرفتم في ذلك جهودا جبارة حينما

جامع القرويين
وأرجوزة الحاج أحمد ابن شقرون*



عبد الله كنّون

الأمين العام لرابطة علماء المغرب

هـذه الأرجـوزة هي العمل الأدبي الـذي كـان ينقص تـاريخ القـرويين، الجامعـة الخالدة التي هي أول جـامعة في المغـرب، وأقدم جامعـة في العالم، لا ينـافسها في ذلك جامعة في الشرق أو الغـرب. وعلى ما كتب عنها قديما أو حديثـا، بقي تسجيل تاريخها نظما، في ذمـة الأدباء ولا سيما من كـان من أبنائهـا وخريجيهـا الذين هم أعـرف بها من غيرهم. ولقـد نظم أدبـاؤنا، وعلماؤنـا، تـواريخ الملـوك، والبلدان، والعلماء الصـالحين. وأصبح نظم، الفوائد، وقواعد العلـوم والفنون شيئا معهودا في دواوين المعارف، والآداب العربية، وتميز في ذلك علماء المغرب وأدباؤه، وسلكوا فيـه مناهج خاصة بهم، من الرمز والإشـارة والتلميح والتـوريـة، وذلك كما في نظم الشاطبية لعلـوم القـراءة، **والخزرجية** للعروض ومنظومة ابن فرح **لاصطلاح الحديث**، ونظم ابن جابر لعلم تعبير الرؤيا ونظم في السيرة النبويـة الكثير، ونظم في صلحاء فاس كما فعل ابن عيشـون، وغير ذلك مما لا يدخل تحت حصر ولكن العجب الغـريب، هو أن القرويين التي خرج منهـا كل هؤلاء أو جلهم، من أصحاب المنظومات المذكورة، لم يعن أحد بنظم تاريخها الحافل، وماضيها

*) من رسالة العلامة سيدي عبد الله كَنون إلى العميد الحاج أحمد بنشقرون يمتدح فيها **أرجوزته** التي نظمها في تاريخ جامع القرويين، وما قام به عبر القرون من أمجاد لم تستطع العواصف أن تعفى عليها منـذ أكثر من أحـد عشـر قـرنا. (انظر افتتاحية **مجلة كلية الشريعة**، العدد 12، يونيه 1983).

العريض الطـويل، في رفع راية العلم، والمعـرفة والفن، والأدب، ونصرة الـدين، وحماية الملـة، وإنجـاب المآت بـل الآلاف من عبـاقـرة الفكـر، وأسـاطين البحث، وعظماء المدرسين، والكتاب، والمؤلفين وقد مضى عليها أحد عشر قرنا ونيف في هذا الميدان، وما يرجى لها من ذلك أطول وأدوم، وأبقى، حتى أتاح القدر لها إبنا بارا، من أبنائها ونابغة فذا من نبغائها، وهو العالم، الأديب الشاعـر، الناثر المجيد، المبدع، أبو العباس السيد الحاج أحمد ابن شقرون، وكأن القدر يتحين الفرصـة، ليجد الخبير المتمكن من أمر هذه الجامعة وممن عمل فيها بعد التخرج منها، وشارك في إقرار نظامها، واطلع على خفاياها وما في زواياها من أخبار، وآثار، ومزايا، وأسرار لينظمها عقدا فريدا، ويقلدها درا نضيدا من كـلامه : السهل الممتنع، السلس العـذب، ويطرب التـاريخ الأدبي، والعلمي لهذه الجامعة الزاهرة، بمنظومته هذه، وأرجـوزته التي زادت على ماعرف عن الجامعة تاريخيا، من ماض زاهر، بالمفـاخر والمآثر، ما سجلته حديثا من مواقف لعلمائهـا وأبنائها الأبرار، في النهضة العلميـة الحديثة والكفاح الوطني، والـوقوف بوجه الاستعمار الـذي كان يطلق عليها، (البيت المظلم)، لأنه كان كالخفاش يعشيه نور المعرفة الوهاج، الذي تشعه على العالم، والذي يخشى منـه على وجوده، ويتهدده، فيما كان يـؤمل من مستقبل له في هذه البلاد، وكـذلك كان. لقـد لفظته بـلاد المغرب، ورمت بـه إلى البحر من حيـث جاء، وذلك بعزيمة علماء القرويين وطلبتها وجهـادهم ونضالهم وصبرهم ومصابرتهم. والأمثال الرائعـة التي ضربوهـا للعالم في التضحية، وتحمـل الأذى، وتحدي كل المؤمرات والخطط الجهنمية التي كان يـدبرها للقضاء على العروبة والإسـلام في المغرب، وفي شمال إفريقيا على العموم. وهكـذا تم سجل القرويين في العصر الحاضر بما تضمنته هذه المنظـومة من سطور ذهبية، ومقـاطع عبقرية، في عطاء القرويين وأبنـاء القرويين، في ميادين العلم، والعمل، والدعـوة إلى الله. وإني أهنيء أخي وصديقي الأستـاذ الحاج أحمد ابن شقرون بهذا العمل المتقن، البـالغ النهايـة في الجودة، والذي سـد فراغـا كنت ألمحه في خـزانتنا العلمية والأدبية، والله يجزيـه أحسن الجزاء ويبقيه للعلم، والفضل، والأخلاق، إن الله لايضيع أجر المحسنين.

مقتطفات من أرجوزة
العميد الحاج أحمد ابن شقرون في تاريخ جامعة القرويين

وجـــامـع منـــذ زمن ســـالف　　فهـــريـــة بنتـــه للمعـــارف
فعـــاش منـــذ الألف بل ونيف　　وزيـــد قـــرن بعـــد ذاك النيف
مشتغـــلا بـــالـــدرس والتصـــوف　　متـــزينـــا بـــالعلم والتعـــرف
والحلقـــات في الصبـــاح، والمســا　　معقـــودة لبحـــر علم درســـا

* * *

وفقـــه مـــالك هـــو المعتمـــد　　وكلهم فيـــه فقيـــه مـــرشـــد
والأشعـــري عنـــدهـم عقيـــدة　　وسنـــة متبـــوعـــة محمـــودة
وفي تـــلاوة الكتـــاب المنـــزل　　فضـل مـــذهـب لـــورش منجلي
وقلـم قـــد نسبـــوا لفـــاس　　بـــه الحســـاب في رســـوم النـــاس
وعـــرف النـــاس بشكل العـــالم　　مـــا ابيض مـن كسى ومـن عمائم
جـــامعنـــا لا يعـــرف التعطيـــلا　　وإنما يـــواصل التحصيـــلا
قـــد ذكـــروا في حقـــه مقـــولـــة　　نثبتهـــا فـــائدة جليلـــة
كـــانـــوا إذا عصفـت الصمائم　　لم يلتجـيء لظل نـــوم نـــائم
وإنما تنقلـب الليـــالي　　نهار مـن يهيم بـــالمعـــالي
والحمل في الصـــدر أجـل قـــدرا　　من حمل مـــا يثقل منك ظهـــرا

* * *

فـأنت إنســـان بـــروح تعلـم　　ولست إنســـانـــا بجسـم يطعم

* * *

للعلم عيـــد في الـــربيع النـــامي　　خـص بـــه الجامـع في الآنـــام
سنـــه مـــولاي الـــرشيـــد مغنما　　يـــزهى بطـــلاب وعلـم العلما
سلطـــان طـــلاب يلـــوح فيـــه　　لفترة مستكمـل الترفيـــه

* * *

وأوقـع اللـــه بـــالاستعمار　　وفتـح اللـــه بـــالانتصـــار

* * *

وعمت الفـــرحـــة كل كـــائن　　وجـــاء الاستقـــلال بـــالمحـــاسن
والحسـن العـــاهـل خير حسـن　　لشعبـــه ودينـــه، والـــوطـن
وانعطـف الجامع بـــالتـــاء إلى　　جـــامعـــة لطـــالـب إذا عـــلا
فـــاشتغلت بـــالبحث والتعليم　　في الكليـــات الجمـــة المعلـــوم
ذات الفصـــول، والمدرجـــات　　ذات الفنـــون، وذوي اللغـــات
فعـــوضـــوا الكتـــاب بـــالمحـــاضرة　　والعلماء عـــايشـــوا الـــدكـــاتـــرة
وبـــدلـــوا الجلـــوس بـــالـــوقـــوف　　لنشر معلـــوم على الصفـــوف
وقبلـــوا الطـــلاب بـــالمراسلـــة　　وأحـــدثـــوا طـــريقـــة المعـــادلـــة

وضعتم لها برنامجا إصلاحيا شاملا، وسهرتم بنفسكم على تطبيقه حتى انكم كنتم تسايرونه أسبوعيا مدة سنين عديدة، وهكذا أدخلتم في برنامجها فنونا جديدة وعلوما كانت مزدهرة بها في عصورها الغابرة وانقطعت فاحييتموها، وجعلتم لها نظما إدارية ثابتة، وزودتموها بالاطارات الكافية لتسيير شؤونها، وحسنتم الأحوال المادية لأساتذتها وطلبتها.

ولما بزغ فجر الاستقلال كان اول ما اعتنيتم به أن أمرتم بتسوية شهاداتها ومرتبات موظفيها بالشهادات التي تخولها المعاهد الحديثة والمرتبات التي يتقاضاها أساتذتها. ولم تزل محل عنايتكم واهتمامكم إلى أن أمرتم بإقامة هذا المهرجان العظيم تمجيدا للعلم وإظهارا لما تعلقون من أهمية على تعميمه في البلاد، واعترافا بفضل هذه الجامعة على الثقافة العربية الإسلامية وقد توفقت في المحافظة علهيا طيلة القرون العديدة من تاريخها المجيد».

محمد الفاسي - رئيس الجامعة المغربية
(انظر الكتاب الذهبي لجامعة القرويين
في ذكراها المائة بعد الألف:
245-1379 / 859-1960، ص. 31)

إحياء كراسي العلم بجامع القرويين*



الحاج أحمد ابن شقرون
عضو أكاديمية المملكة المغربية

تحيـــــة لك مني، سيـــــد البشر
يـا مـن دنـا قـاب قـوس، وانثنى بهدى
يــا من حبــاه إلاه الكــون معلمــة
يــا من أطــاح بكسرى في مسيرتــه
يــا من تــدفق مــاء من أنــاملــه
أميــــة أفحمت من كــان ذا لسن
في سنـــة، جمعت دينـــا، وواكبهـــا
هــذا اليتيم الــذي آواه خــالقــه
نبــوة المصطفى من فيض خــالقنــا
ومنهج، مــالــه في الكــون من شبــه

يــامنبع الجود، والإحســان، والظفــر
ينجـاب في الكـون مثل الشمس، والقمــر
من المنــاقب، والآيــات، والغــرر
وجــاء بــالبشر بعـد الجهل والكــدر
وفــاه بــالكلم الفصحى عن القــدر
ومنطق، ذرب، نــــاء، عـن الحصر
نــور، ونــور تجلى زينــة النظــر
ففــاز بــالخُلق الأعلى بــذي ســور
رســالــة لم تــدع خيرا، ولم تــذر
سطـا على الكفـر، فـاستخذى بمنحـدر

---

*) قصيدة ألقـاها فضيلة العميـد الجليل العلامة الحاج أحمد ابن شقرون بمنـاسبة تدشين عمليـة إحياء كراسي العلم بجامع القـرويين بأمر من أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني، دام لـه العز والتأييد، وذلك تحت الـرئاسة الفعليـة لمعالي وزيـر الأوقاف والشـؤون الإسلاميـة الأستاذ الجليل عبـد الكبير العلوي المدغري (الجمعة، 9 محرم الحرام 1405 الموافق 5 اكتوبر 1984).
شكرنا الجزيـل للعميـد المحتـرم على تفضلـه بهـذه المساهمـة القيمة وإذنه بإعـادة نشر القصيـدة في هذا الإصدار.

في هجـــرة مأثــــرات، جـــد مشرقـــة ... أتـــــت، لتفصـــــل بين الجد، والخور
قـــد عــــزز اللــــه بــــالأنصــــار، سيـــدنـــا ... محمـــــدا : خير مبعـــــوث، ومنتظـــــر
وقـــد أتـت هجـــرة منـــه بمكـــــرمـــة ... جلت عن الـــوصف، في قـــول، ومستطـــر

* * *

يـــا جـــامع القـــرويين الـــذي حفلت ... سنـــوه بـــالعلم، والمحمـــود من سير
يحيي كـــــراسي علم فيك عـــاهِلُنـــا ... قطـــب العلى، وسليـــل المصطفـــى المضري
فتـــــابع السير في أمـن، وفي دعـــــة ... ولُـــذْ بظل يـــرعـــاك بـــالـــوطـــر
وافسح لجمهـــور طـــلاب، قـــد استبقـــوا ... إليك، صـــدر حنـــو، نـــاعـم الـــوزر
فـــالعلم مـــا لم يصر ملكـــا لحاملـــه ... فإنـــه ســـوف يبقـى نـــائم السحـــر
فـأنت بيـت الحجـــا، والشرع، من زمـن ... وأنـت بيـت الهدى، للبـــــدو، والحضر

* * *

بنتك فهـــريـــة فضلى، قـــد ادخـــرت ... عنـــد الإلاه، ثـــواب الـــراحل، النخـــر
فعـــاش فيك رجـــال مـن فطـــاحلنـــا ... يعلمـــــون، بـــلا عنـف، ولا بطـــر
وخلفـــوا فيك لـــلأجيـــال قـــاطبـــة ... مخطـــوط مـــا قطفـــوا من يـــانع الثمـــر

* * *

بـــالمتـن والسنـــد العـــالي تأثـل مـــا ... حفظـت للشرع مـن آيـــــــاتـك الكبر
بـــالفقـه، والنحـو، والتجـويـد، يغمـره ... تـــوحيـــد خـــالقنـــا الهادي لمذكـــر
وبـــالحديـث، وبـــالآداب عـــاليـــة ... والفلسفـــات، التي جـــادت بمنهمـــر
من لـب معقـــولهم، شعَّتْ، ومنقـــولهم ... شمسُ المعـــارف، تهدي لب مـــزدهـــر
وبـــالأصـــول، وبـــالصرف الـــذي بهرت ... فنــــونــــه، وحســـاب متقـن النظـــر
وبـــالفـــرائض، في الميراث قـــد بـــرعت ... أقـــلام جلتنـــا، والمنطق العطـــر
وبـــالبـــلاغـــة، والتفسير، يجمع مـــا ... وعت فنـــون، من الأعـــلاق، والصـــور
أفـــدت طـــلاب علـم، من دنـــا بشر ... أتـــوك، يـــا جـــامع الموزون من فكـــر

* * *

ولم تضرك صروف جمة عصفـــــــــت ... فلـم تبـــــال بها في ســـــالـف العصر
يهدي لسلطـــان طـــلاب، بنـــزهتـــه ... ســـاعـــات سلطنـــة، ممتـــازة الأطـــر
رفعـــا لشأن علـــوم الـــدين، مـن زمن ... يـــا جـــامعـــا مفـــردا، في عـــالم البشر

يا جامعا كنت في قلب الكفاح، شجى ... في حلق مستعمر، مخشوشن، خطر
والسادة العلماء الغر، ديدنهم ... تبليغ ما حملوا في الصدر : من غرر
وفي السمائم، يلقون الدروس على ... طلابهم، في ليالي الأنس، والسهر
وهذه ملكات العلم، مطلب من ... يغدو، ويمسي، شغوف الورد والصدر

* * *

وزارة الوقف، لم تبرح مواكبة ... تجود بالقوت، والسكنى، لكل حري
ومذ قرون خلت، كانت مصالحها ... للهائمين بعلم الدين، حضن ثري

* * *

يا جامع القرويين، استعز بها ... يجد من سند، يفتر عن زهر
تهدي، وتستقبل الأعلام، من وطن ... للصالحات من الأعمال مدخر

* * *

هذا اتحاد له في قلب مغربنا ... وقلب ليبيا، مكين الوقع من أثر
منبعان، قد نطقا جهرا بقول: نعم ... أنعِمْ بشعبين صانا وحدة النظر

* * *

يا جامع القرويين، الذي عمقت ... بحوثه، وتجلت غرة الغرر
يا جامع القرويين، الذي شملت ... دروسه، كل علم، يانع الشجر
في كل لفظ، ومعنى أنت جوهرة ... في تاج إسلامنا، يا حصن مبتكر

* * *

تترى عليك صلات العرش من زمن ... أكرم بعرش، أثيل، في الورى، نضر
فديت بالروح، عرشا، لم يزل قبسا ... فديت بالروح، شرعا، خالد الأثر
دعاؤنا للمليك، مصلح، حسن ... نراه مسك ختام، طيب، عطر
وللأثيل : ولي العهد مقتديا ... بسيد، ولصنوه ريق العمر

«من أبرز المواقف الوطنية لبعض فقهاء القرويين :

- جوابهم لمحمد بن عبد الله السعدي عند استعانتهم بالبرتغاليين (القرن 10هـ /16م).

- ومعارضتهم لمحمد الشيخ في تسليم العرائش للإسبانيين (11هـ/17م).

- وتأييدهم للمجاهد العياشي(11هـ/17م).

- ومطالبتهم بتحرير بقية المناطق المحتلة كسبتة ومليلية - بمناسبة تحرير العرائش - (12هـ/18م).

- ودعوتهم لتأييد الجزائر تأييدا مسلحا عند الاعتداء الفرنسي (13هـ/19م).

- ومطالبتهم بتنظيم الجيش المغربي على النظام الحديث - بعد هزيمة إيسلي (13هـ/19م).

- واستنكارهم احتماء المغاربة بالدول الأجنبية (14هـ/20م).

- ودعوتهم لتحرير وجدة والدار البيضاء، وغيرهما مما احتله الفرنسيون والإسبان (14هـ/20م).

- ومقاومتهم للحماية المفروضة على البلاد، مقاومة مسلحة أحيانا وسلمية أحيانا أخرى (14هـ/20م). ففي القرويين كانت تقع التجمعات وتلقى الخطب في القرويين للاحتجاج على تصرفات السلطات الأجنبية وأعمالها واستنهاض همم المومنين وتحريضهم على مقاومة العدو وتحديه.

ومن طلبتها ومتخرجيها كان الدعاة ينتشرون لبث الفكرة الوطنية والتبشير بها وتكوين الحلقات السرية في البوادي والجبال والصحاري والقرى النائية متعرضين للسجن والضرب والاضطهاد».

محمد إبراهيم الكتاني

(انظر الكتاب الذهبي لجامعة القرويين، «حظ القرويين في الدفاع عن السيادة الوطنية»، ص. 134)

رسالة القرويين
في الماضي والحاضر والمستقبل*



المرحوم الأستاذ الكبير علال الفاسي

منذ نيف وثلاثين عاما، وأنا طالب في جامعة القرويين، كان قد تقرر عقد المؤتمر الأول لطلبة شمال افريقيا المسلمين بتونس، وقررنا نحن الطلبة العاملين داخل الجامعةإيفاد أخينا السيد محمد بن عبد الله ليمثلنا في المؤتمر، وليقرأ بالنيابة عني تقريرا كان عنوانه : «ماضي القرويين وحاضرها ومستقبلها». وقد كان لهذا البحث أثره في التعريف بجامعتنا، تناقلته مختلف الصحف، ولخصه صديقنا المرحوم الشيخ عبد القادر المغربي في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق.

لم أفكر في الرجوع إلى هذا الفصل، لأني أذكر اشتماله على مجمل تاريخي للقرويين وعلى أسماء جمهرة النوابغ الذين تخرجوا من هذه الجامعة التاريخية، علاوة على الملاحظات التي يمكن أن يبديها طالب فيما يجب أن تكون عليه الجامعة العتيقة في العصر الحديث. لم أفكر في ذلك لأني أحببت أن أقصر حديثي معكم الليلة، على رسالة هذه الجامعة التي قامت بها في الماضي أحسن قيام، ونرجو أن تمارسها في الحاضر وفي المستقبل بنفس الروح التي مارستها بها من قبل.

وتعتبر " القرويين" أقدم جامعة قائمة الآن فيما نعلم، وقد أسست سنة 245 هجرية، بنتها فاطمة أم البنين بنت محمد الفهرية، من مالها الحلال الذي ورثته عن

*) النص أصلا محاضرة ألقاها الزعيم الراحل في بداية الستينات، وسبق نشره في مجلة الإيمان، عدد 7، السنة 4، نوفبنر 1967.

والدها وعن زوجها، ولم تزل صائمة قائمة مدة بنائها رجاء أن يبقى مسجدها عامرا بالعبادة والمعرفة، وقد استجاب الله دعاءها فبقي ذلك المقام الذي بنته معهدا دينيا وعلميا مليئا بالذكر والعلم مزودا العالم الاسلامي بأقطاب كبار وشيوخ أيمة.

ولا شك أن كل أدلة التاريخ التي راجعناها مرارا تشهد بأن أم البنين هي التي أسست القرويين، حتى أنه لا يصح أن يوضع هذا موضع الشك بحال، وما زعمه السيد عبد الهادي التازي فيما كتبه في مختلف المجلات من كون الباني هو داوود الإدريسي لا يستقيم، وكل ما نعتقد أنه جدد البناء أو رممه أو زاد في المسجد.

ومسجد القرويين بني قبل (الأزهر الشريف) لأن هذا الأخير أسس سنة 359 هـ، فتكون القرويين سبقته بستين عاما. ولعل جوهر الصقلي الذي بنى الأزهر ليكون مركز دعوة فاطمية، إنما جعله مقابلا للمعاهد التي كانت في القيروان وفي فاس.

وهي أقدم من مدرسة بولونيا في إيطاليا التي أسست سنة 1119م، وما بنيت هذه إلا اقتفاء للجامعات التي كانت منتشرة في طليطلة وغرناطة وشمال افريقيا، وقد بينت فيما كتبته من تاريخ التشريع الإسلامي أن هذه المدرسة إنما تكونت من تلامذة معهد طليطلة الذين نقلوا علوم العرب الفقهية والفلسفية، واتخذوها نواة نهضة قانونية تدون على إثرها الفقه الروماني على النهج العربي، وتسربت إليه في أثناء بحثه فصول من الفقه ما نزال نرى آثارها في القوانين الغربية إلى الآن.

على أن القرويين سارت على غرار مسجد (القيروان)، ولا يبعد أن تكون السيدة أم البنين التي قدم والدها من تلك المدينة التونسية أحبت أن ترى في هذا الجامع امتدادا لمسجد عقبة بن نافع الذي أسس سنة 50 هـ، والذي ظل مركزا لنشر الثقافة الاسلامية في الشمال الإفريقي حتى قسا الحكم الشيعي الفاطمي على علماء المسلمين فتقلصت مكانته.

على أن مسجد القيروان وشقيقه مسجد القرويين لم يكونا إلا غرسا من غروس الدعوة الاسلامية التي جعلت من المسجد مثابة للناس وجامعا لهم يصلون فيه، ويقرأون القرآن ويتدارسون العلم.

وبهذا الاعتبار فإن المسجد النبوي أول جامع وجامعة أسستا للناس، وكان محمد ﷺ المعلم الأول الذي لقن الدعوة وربى المومنين، وفتح أذهانهم للمعرفة وقلوبهم للوعي الذاتي.

وكانت في المدينة على عهده ﷺ تسعة مساجد أخرى، كلها يؤمها المسلمون للصلاة وللدراسة أيضا.

قال مكحول : حدثني عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : "كنا ندرس العلم في مسجد قباء إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : تعلموا ما شئتم فليس ياجركم الله حتى تعملوا".

ومن المعلوم أن النبي ﷺ كان يقوم بكل أعماله في المسجد، فكان يؤم بالناس في أوقات الصلاة، ويعلمهم أحكام الدين، ويفتي السائلين، ويقضي بين الناس في المسجد كذلك. وكان إذا حزب أمر أو دعت حاجة أرسل بلالا ينادي : الصلاة جامعة، فيجتمع الناس، ويخاطبهم النبي في الأمر أو يستشيرهم فيه.

وكذلك كان الصحابة يفعلون في المساجد الأخرى، وكذلك استمروا يفعلون في المساجد بعد وفاة الرسول، سواء منهم الأمراء أو كبار أيمتهم، ولا سيما الفقهاء أمثال عبد الله وعروة وقاسم وسعيد وأبو بكر وسليمان وخارجة، وكان لأبي ذر مجلس يتحدث فيه إلى الناس بأفكاره الخاصة في الزهد ومنع الملكية.

وليس صحيحا ما زعمه بروكلمان وقلده فيه بعض المؤلفين العرب من كون الصحابة الذين يئسوا من أخذ نصيبهم من السلطة هم الذين واظبوا على التعليم في مساجد مكة أو المدينة، فالصحابة جميعا كانوا يعملون بقول الرسول : «نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها».

ورسالة المسجد إذن هي التي حددها بالفعل الرسول (ص)، أي أداء الرسالة الإسلامية على وجهها الأكمل، وهذه الرسالة في جانبها التعليمي بينها القرآن حينما يقول لنا :

" لقد من الله على المومنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة".

فالرسالة، إذن، هي تلاوة الآيات البينات، أي قراءة القرآن ودراسته التي تزكي المومنين أي تنمي عقولهم وإدراكهم بما تعمرهم به من المعرفة الربانية التي لا توجد في

غير الـوحي، ثم بعـد ذلك تعليم النـاس الكتـاب، والمراد بـه العلـوم المدونـة في الكتب المختلفة، وليس المراد بـه القرآن، لأن كتاب اللـه قد ذكر من قبل بـاسم الآيات، وإنما المقصود العلوم المختلفة وأخبار الماضي، وكـان ذلك يدخل في العلوم النقلية، ثم الحكمة وهي العلوم النظـرية ومـا نسميه اليوم بـالعلوم الفلسفيـة، وتشـمل علم الكـلام وأصول الفقه وقوانين المنطق والجدليات وآراء االمفكريـن وآلات الصناعة والآداب، وكل ما نسميه نحن بعلوم المعقول.

هذه الـرسالة كلهـا كان يؤديها ﷺ وأصحـابه من بعـده فـي المسجد ؛ فقـد تلا عليهم الآيات، وأرشدهم لتعلم الكتـاب، وذكرهم بقصص الأولين، ونظريات المشركين والكفـار وهداهم إلى دحضهـا بـالحجـة والبرهان، ولقنهم وسـائل العمل لصـالح دينهم ودنياهم، فساروا على ذلك المنهج من بعده حتى ابتكروا لخدمـة هذه الغايات كل العلوم التي عرفها المسلمون. فـلا غرابة إذا رأينا المسجد يتحول بسرعة إلى جامعـة عامة تدرس فيها علوم الـدنيا والدين، في الوقت الذي تربي الـدارسين على التسنن بأخلاق الصالحين والطاعة لأوامر الدين.

كـان المسجـد الجامع هـو أصل الجامعــة، وكـان وصف الأول هـو أصل الإسم الثاني، فالجامعة إنما هي مكان يجمع له النـاس بقصد الدرس لمختلف العلوم التي توجد بها، والجامع أيضا هو المسجد الذي يجمع له النـاس لصلاة الجمعة، وللدراسة والمعرفة، وهكذا لا يرى في المفهوم الاسلامي حد فاصل بين مهمة الجامع ومهمة الجامعة .

وهذه هي الـروح التي كانت تملأ أم البنين وعصرها حينما أسست القـرويين، فلا غرابة أن نرى هذا الجامـع يزدهر بالمعرفة ويصبح مناطا لكبار العلماء الـذين يدرسون به العلم ويستمدون منه المعرفة.

وكما كان الناس يفهمون مهمة الجامع، كـذلك كانوا يفهمون مهمة المسلم، وهي أن ينتقل لدراسة العلم في مراكزه المهمة، ويقرأون فيها يقرأون من كتاب الله "فلولا نفر من كل فـرقـة منهم طائفـة ليتفقهـوا في الـدين ولينذروا قـومهم إذا رجعـوا إليهم لعلهم يحذرون" ويـروون فيها يروونـه من حـديث الـرسول : "طلب العلـم فريضـة على كل مسلم"، و"اطلبوا العلم ولو بـالصين". وبذلك سرعان ما انتشر نبأ مدينـة فاس ودعاء إدريس أن يجعلهـا الله دار علم وديـن إلى يوم القيـامـة، وسرعان مـا تأكـدت استجابـة الدعوة إذ أصبح في هذه المدينة مركز إشعاع عقلي وروحي هو جامع القرويين، ولم تمض

خمسون سنة على تأسيس المسجد حتى أخذت تتبلـور من حوله صبغة الجامع العلمي أو المعهد الذي يـؤمه الناس للدراسة والاستفادة. وفي منتصف القـرن الرابع كان دراس بن إسماعيل عالم فاس وصالحها يجذب إليه كبـار الدارسين أمثال أبي زيد القيرواني صاحب **الرسالة** وأحـد أئمة المذهب المالكي ليأخـذ عنه، ويغـرف من معين ابن فارس والـذي طابق اسمه مسماه، وقد توفي دراس عام 357 هـ. ومن نجوم القرويين في هذا العصر أبو جيدة بـن أحمد، الذي تـولى قيادة المدينة في كفـاحها ضـد عامل المنصـور بن أبي عـامر وتحريرهـا من سلطته، وقـد أصبح أبو جيدة مثـلا أعلى في نظر طـلاب القرويين اتخذوه راعي الطلبـة، ولا يزال بهذا الاعتبـار إلى اليوم. وحسبنا أن نـرجع إلى جهـوده في تحرير فاس من ظلم عامل المنصور لنعلم السر في هذه الحظوة التي نالها، من بعد، من الطلبة والمتعلمين منذ ذلك العصر.

ومن هنا تعلمـون أن للقرويين وطـلابها وعلمائها رسـالة أخـرى زيادة على رسـالة المعرفة، وهي قيادة الشعب للتحرر كلما كان في الأفق ما يمس الوطن أو المواطنين.

لقد قامت جـامعة القرويين بالرسالتين معا في عصـورها المختلفة، فأنجبت علماء أفذاذا في مختلف العلـوم الدينية والدنيويـة، كما أخرجت أبطالا قادوا الـوطن في أحرج أوقـاته وحـرروه من عادات، ولا أريـد أن أنقل قـوائم العلماء التي يمكن مراجعتهـا مع تراجم حياتهم في سائر كتب التراجم، وفي مقدمتها **درة الحجال** لابن القاضي، **وسلوة الأنفاس** للكتاني. ويكفي أن أذكر منهم أبا عمران الفاسي الذي أحيا العلم وبلغ درجة الاجتهـاد في المذهب، وأنجب تلامـذة كانـوا السبب في تنظيم الوطن على أسس متينـة، وقد توفى سنة 450هـ. ويكفي أن نقول إن الدولة المرابطية التي أنقذت المغرب ووحدت مناطقه ونشرت فيه المعرفة وحسن النظام كانت من آثار غرس هذا العالم وطلبته.

وفي عهد المرابطين اتحدت الأندلس مع المغرب، وتكون ذلك العصر الذهبي الذي نرى فيه طلبتـــنا يغرفـون من معيـن كبار فلاسفتنـا أمثـــال ابن باجـة وابن زهـر وابنه أبي مروان.

وكان المهدي بن تومـرت من الذين يدرسون في أحد المساجـد بالطالعة، ولا شك أنه كان يتصل بـالعلماء لمجادلتهم والاستفادة منهم. وقد كان لثـورة الموحدين المنبثقة من تعاليم المهدي أثرها في توجيه القرويين نحو توحيد العقيدة على طريقة الأشعري والقضاء على شتى الاختلافـات التي كانت امتـدادا للمناقشات الأولى في علم الكـلام وللطوائف التي نشأت عنها.

ومن تلامذة ابن تومرت ومريديه عبد المومن بن علي الذي ورث الخلافة من بعده، وجلب إليه أمثال ابن رشد الفيلسوف الشهير وصاحب المدرسة الرشدية التي كان لها تأثير في نهضة العقل الأوربي.

وفي عصر الموحدين، أيام الخليفة يعقوب المنصور، قامت نهضة سلفية ترمي إلى الرجوع لدراسة الكتاب والسنة، وترك كتب الفروع، فكان لها أثرها في توجه علمائنا إلى العناية بالسنة ونبوغ طائفة من الفقهاء الذين ساروا على منهج ابن حزم وأضرابه.

وإذا دل هذا كله على شيء فإنما يدل على أن القرويين كانت تساير دائما روح التطور الخلاق، وتواكب النهضات العلمية التي يكون، في الغالب، مبتكروها من أبنائها أو دعاتها من رجالها، وهي في كل ذلك تحافظ على استقلالها وتأخذ مركز القيادة في توجيه الفكر العربي والثقافة المغربية.

إن الحديث عن عصور النهضة العلمية في زمن المرابطين والموحدين والمرينيين يستدعي وقتا طويلا ويستوجب منا كتابة تاريخ حافل لحضارة المغرب وللفكر المغربي في سائر العصور.

ولكن هذه الإشارات التي ذكرت، تدل على ما وراءها من المجهود الذي أسهم به أبناء القرويين، طلابا وعلماء، في بناء تلك النهضة وتدعيم تلك الحضارة، أي أداء رسالة المسجد كما أرادها الاسلام أن تكون.

وتأتي العصور المتخلفة نوعا ما، فتزدهر مع ذلك القرويين في دراستها وفي أنواع معرفتها، ويحدثنا ابن الوزان، أو ليون الإفريقي كما يسمونه، عن حالة الثقافة في فاس ومناهج الدراسة ومركز العلماء في الإدريسية السعيدة في القرن التاسع الهجري، فإذا بنا أمام مدينة علمية حافلة بشتى العلوم والفنون.

ونجد آثار الزوايا الدلائية والناصرية والفاسية في شتى العلوم في المغرب في هذا العهد وما بعده، فنقف معجبين كيف احتفظت هذه الأمة بحيويتها وعبقريتها حتى في أوقات الاضطراب والخوف.

ونرى يوسف الفاسي يجاهد في وادي المخازن، وابن عاشر يقاتل في صف العياشي، ثم نجد الجميع ملتفا لتوحيد المغرب وتحريره حول آل علي ابن الشريف، فيستقبل علماء القرويين المولى إسماعيل وهم سعداء بما حققه من فتوح وما ناله من نصر.

ولكن ذلك كله لا يمنعهم من أن يواجهوه في مسائل السياسة والدين بما واجهوا به من قبل المنصور السعدي، وقبله محمدا الشيخ وأمثاله ممن وجدوا في علماء القرويين وطلبتها كل المعارضة التي يلزم أن يلقاها من ينحرف عن السبيل.

وقف اليوسي من المولى إسماعيل موقف الجدل من أجل حرية حمل السلاح في القبائل، وحرية العالم في أن لا يركن إلى الدولة إذا شاء. وكتب في ذلك رسالته الشهيرة المشتملة على حواره مع ملك المغرب، ووقف محمد بن عبد القادر الفاسي من ذلك الملك العظيم أيضا موقف المحاور الثابت، دفاعا عن حرية الذين اعتبرتهم الدولة عبيدا لها، وقام محمد عبد السلام جسوس بدور العالم المناضل في سبيل الحرية حتى استشهد في سبيلها رحمه الله.

وسارت الجامعة تواكب الأجيال، وهي تكافح للمحافظة على التراث وتبليغ دعوة السلف للخلف، فقرعت بعد هزيمة إيسلي جرس الإنذار، ونادى علماؤها كالكردودي والعمراوي وعلال الفاسي وأمثالهم بضرورة التجديد في النظام العام للدولة والجيش، وأدخل واحد منهم المطبعة الحجرية الأولى في ذلك العهد، وبدأ نشر التراث الذي طبع في هذه المرحلة زهاء الثلاثة آلاف كتاب، بين قديم وجديد.

ومع ما للرجعية من هيمنة في الأوساط، عاقت عن إنجاح المساعي الأولى، فقد واصلت الجامعة دعوتها، وأدت دائما رسالتها، فهي التي قادت الثورة الحفيظية، وطالبت بالدستور، وشرطت في بيعتها للمولى عبد الحفيظ أن لايربط عقدا مع الدول الأجنبية إلا بعد استشارة الأمة وموافقتها.

ووقعت الواقعة وتقدم أبناء القرويين يكافحون في كل الجهات، فكان منهم البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي بلور الثورات المغربية ضد الاستعمار في نموذج عصري جدد الغايات وعرف الوسائل.

وقام عبد الله السنوسي وشعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي من علماء الجامعة بدعوى للسلفية وللثورة على التقاليد وتربية الطلبة على روح المقاومة التقليدي في الجامعة.

ومع انتصار القوة الاستعمارية الغاشمة ندخل في مرحلة الجامعة لإنقاذ المغرب وتحرير الوطن وتحقيق الاستقلال.

لقد كونا نحن الذين مثلنا مقدمة الكفاح الطلائعي ضد الاستعمار في هذه الجامعة ومن أبنائها نخبة لا هم لها إلا تأييد المجاهدين الذين يعملون في الجبل، ومقاومة رجعية

الطـرقيين وأذناب السلطـة القائمـة، والتشهير بهم إلى الحد الذي لمس الشعب خيـانتهم وعرف الاتجاه الـذي يرمون إليـه من خدمـة المستعمر وهو الإثـراء على حساب الشعب واقتعاد المناصب ولو خربت الأوطان. وإلى ذلك أيضا، قامت هذه النخبة بتنوير الوسط القروي خصـوصا والوسط المغـربي عمومـا بموضوعين مهمين، أحـدهما يرجع إلى بعث الـوعي السلفي الذي يـرمي إلى تجديد الثقـافة الإسـلامية، وفتح عقـول المسلمين حتى يمحى عنها مـا علق بها من خرافات الماضي والجمـود والخمول، والثاني يـرجع إلى تعبئة الطلبة لكفاح قوي من أجل تنظيم الجامعة وإضفاء حلة التخصص العصري عليها.

وكـان العمـلان معـا يسيران جنبـا إلى جنب في محاضرات محدودة للجمهـور، وفي نشرات توزع على الأصـدقاء أو تذاع في السر، إلى منـاقشات مثمرة مع الـذين يحبون أن يظهـروا بمظهرالمحـافظـة على الماضي كيفما كـان، إلى صراع مع الذين يتنمـرون لـدينهم وقومهم ويعملون لحساب الأجنبي المستعمر.

لقد أسسنا لخدمة هذه التيارات مجلة كانت تحمل اسم "**أم البنين**" تقديرا لمؤسسة الجامعة، كنا نصدرها في أربعين صفحة مرة في الشهر، نكررها على البالوطة ونوزعها على أصدقائنا في فاس وفي غيرها من مدن المغرب وقراه المهمة.

وعملنا، إلى جانب كل ذلك، على المسـاهمة في تأييد القضايا العربيـة والإسلامية والإفريقيـة، فمـــن عـرائض ومظاهرات لمنـاصرة فلسطين، إلى تأييد لعمل إخـواننا في الهنـد وفي مصر والشـام والعـــراق، إلى ربط صـلات متينـة بـرجـــالات الجهـاد العـربي والإسلامي، إلى تعـاون مع مختلف العناصر التي تظهـر في وطننا، ونرى فيهـا استعدادا لخدمة الصالح العام.

أما عملنا لنشر الثقافة العربية بين إخواننا الدارسين في المدارس الفرنسية والإسبانية فكان دائما، ومع حرص شديد على تمييز العربية وإبراز جمالها لمواطنينا ورفقائنا.

وطبيعي أن هـذه الحركـة في جملتهـا ما كـانت تـرمي إلا لأداء رسـالـة الجامع أو الجامعة التي بيناها : تنقية العقيدة الإسـلامية من الخرافات، وتحرير العقل من الجمود، والمعرفـة من الفوضى، وتـوحيد النخبـة المثقفة في مبدإ واحـد هو إحيـاء العربيـة وتحرير الوطن من هيمنة الأجنبي.

ولم تحل سنة 1930 حتى كـانت هذه المرحلـة قد آتت ثمارهـا منذ صـدر التنظيم الجديد للقرويين، وإن لم يكـن إلا خطوة مهمة في النظام الحقيقي الذي مـا زالت تنشده الجامعـة، وكانت السلفيـة قـد انتشرت في الأوساط حتى أصبحـت مقبولـة من الجميع،

وتوالى الغليان ضد استعمار الأرض واغتصاب الماء من الإدارة الأجنبية لصالح المعمرين.

ومن جهة أخرى، فقد كانت القوة الاستعمارية بلغت غايتها من قمع الحركات المسلحة والقضاء على بقايا المكافحين في جنوب المغرب وفي الصحراء، وتبارزت الغاية الاستعمارية ضد الاسلام والعربية وضد الوجود المغربي، باستصدار ظهير 16 ماي 1930، المتعلق بمحاكم العرف وما إليها، مما أصبح معروفا بالسياسة البربرية، وظن الأجانب أن الشعب الفلاح الحربي قد انهزم أمام القوى الكبرى ولا سبيل إلى انطلاقه بصورة أو بأخرى .

ولكن عملنا الطلائعي أثبت جدواه وفعاليته ؛ فقد قام الشباب المثقف، ومن رجاله أبناء القرويين، يتظاهرون ضد الظهير البربري ويطالبون بتحرير الوطن من عبث المستعمرين.

وفي جامع القرويين بدأ الناس يقرأون اللطيف، ويستمعون إلى خطب بعض طلبة الجامعة الذين يبينون لهم المغزى الحقيقي من الاجتماع والغاية من التظاهر.

وبدأت السجون تمتلىء هنا وفي كل البلاد بالمواطنين الذين ساروا من خلف الشباب المغربي وفي طليعته قادة تخرجوا من القرويين، وآخرون درسوا في معاهد أجنبية ولكنهم لم ينقطعوا عن الاتصال بأساتذة المسجد وروح المعرفة الدينية.

والصفة الواضحة لرد الفعل الذي ظهر في المغرب تبين بحق مقدار الدور الذي قام به الوعي الإسلامي في نفوس المحتجين والمتظاهرين. لقد كانت الصدمة عنيفة، ولكن الذين بلوروا غايتها هم الذين عبروا عن إرادة الشعب في المطالب الأولى التي قدمها وفد منتخب من مدينة فاس برئاسة عالم جليل من علماء القرويين هو السيد عبد الرحمان ابن القرشي إلى جلالة محمد الخامس رحمه الله.

لقد أثر الطلبة في نفوس آبائهم وأساتذتهم، وكانت المطالب هذه عبارة عن ما نشرناه في مجلة "أم البنين" وفي غيرها ؛ اهتمام بالعربية والثقافة الإسلامية في عموم القطر، إقفال مراكز التبشير وتربية اليتامى واللقطاء التي يشرف عليها مبشرون مسيحيون، وتركيز السلطة في يد رئيس الدولة برد كل الموظفين العموميين إلى نظره وإعادة اختصاصات المحاكم العرفية إلى المحاكم الشرعية.

لقد كانت هذه المطالب قنطرة الارتباط بين حركة السلفية الأولى وبين الحركة الوطنية التي انبثقت من يدينا والتي انتظمت في كتلة العمل الوطني وفي الحزب الوطني

ثم في حزب الاستقلال، ولن أطيل عليكم بالحديث عن مراحل الكفاح الوطني التي أدت إلى استقلال الوطن ووحدة أراضيه وجلاء الجيوش الأجنبية عنه، لأنكم تعلمون نبأ ذلك الكفاح، وفي وسطكم من عاش طرفا منه، ويكفي أن نتذكر الذين استشهدوا أو سجنوا من أبناء القرويين طلبة وعلماء لنعرف مقدار الدور الذي قامت به الجامعة في سبيل الحرية.

أما الجامعة نفسها فقد عانى العلماء والطلبة في توجيهها الوجهة الصحيحة اتعابا شتى، ويكفينا شرفا أن نذكر كون الإدارة الفرنسية كانت تقتطع مرتباتهم المدة الطويلة علهم يرعوون فلا يرعوون.

ولقد أسسنا "معهد أم البنين"، أعني قسم البنات، وكان أول معهد بناتي داخل الجامعة، كما كانت الجامعة القروية أول معهد ديني سبق إلى قبول الطالبات وإعطائهن شهادة العالمية الدينية. ولقد بقي هذا المعهد ثلاث سنوات دون أن تعترف به الحماية، وتلقى أساتذته طيلة تلك المدة المكافآت التي كان حزبنا يقدمها لهم، وقد أصبح اليوم قسما ثانويا من القرويين، بينما أصبحت كليات الجامعة تقبل الطلبة والطالبات في صفوفها، ولا شك أن أم البنين لو عاشت لقرت عينها بهذه النتيجة من الذكور والإناث الذين يتبارون في دراسة العلوم الدينية والحديثة بجامعة القرويين.

تلكم أيتها الأخوات والإخوان رسالة القرويين في الماضي البعيد والقريب، وهي رسالتها التي تجاهد من أجلها اليوم، فقد عشنا في السنة الماضية مرحلة كفاح عانى الطلبة الجامعيون والثانويون وغيرهم شدائدها، ومع عدم فهم المسؤولين لغايتكم فإنكم كافحتم من أجل انتصار العربية في كل ميادين التعليم، ومن أجل المحافظة للقرويين على مركزها الممتاز.

ومنذ بضع سنين احتفلت الدولة بمناسبة مرور ألف ومئة عام على تأسيس القرويين باعتبارها أقدم جامعة في العالم اليوم، وقد حضر هذا الاحتفال مختلف ممثلي الجامعات الصديقة والشقيقة، ولكنهم ارتاعوا لمقاطعة العلماء هذا الاحتفال، مع أن الحق كان مع العلماء الذين أبوا أن يقيموا احتفاء اعتبروه تأبينا للقرويين، وبفضل موقفهم وثباتهم وتأييد الحركة الوطنية لهم استطعنا أن نحصل على الظهير الذي يعطي مرة أخرى للقرويين اسم "الجامعة القروية"، ويعترف لها باستقلالها. وحرصا على توحيد الكلمة حول هذه الغاية، فقد قبلنا أن تكون كليات الجامعة متفرقة على تطوان ومراكش وفاس، وهكذا أصبحت للجامعة ثلاث كليات، هي أصول الدين بتطوان، واللغة العربية بمراكش، وكلية الشريعة بفاس.

وإذا كانت هذه النتائج في حد ذاتها هزيلة فإن هنالك ما يشير لتحسينها وهو الاعتراف بثانوية القرويين وفروعها وإعطائها المعادلة لشهادة الباكالوريا في المدارس الرسمية.

ولكن المعركة في سبيل تجديد الجامعة ما تزال مستمرة، وإنما يجب أن نعرف حقيقة ماذا نريد بجامعة القرويين ؟

إن هناك جامعات تقليدية في بلدان أوروبا وقعت في نفس الموقف الذي نحن فيه، أي في ملتقى الطريق إزاء التيارات العصرية المختلفة، ولكن كلا منها عالج المشكلة بحسب ما رآه أليق بالمعرفة في بلاده ؛ فالسربون التي كانت جامعة كاتوليكية في فرنسا تطورت تدريجيا حتى أصبحت جامعة لا دينية، وعلى العكس جامعات أخرى في بريطانيا وألمانيا حافظت على صفتها الدينية في الوقت الذي وسعت فيه آفاقها وفتحت صدرها لكل الكليات المختلفة.

ويمكننا أن نؤكد قبل - كل شيء - متيقنين أن أحدا منا لا يريد أن تصبح القرويين لا دينية، وإنما نود أن تبقى لها صفتها كجامعة حارسة للغة العربية وللثقافة الإسلامية في الوقت الذي تفتح صدرها تدريجيا لشتى الكليات التي ترى أن البلاد محتاجة إليها.

فالمستقبل الثقافي لوطننا يتسع إلى جامعات عديدة، لابد أن تكون القرويين من كبرياتها، أما في الوقت الحاضر فليس من مصلحتها أن تزاحم جامعة محمد الخامس التي تشرف على كليات متنوعة لأنها لو فعلت ذلك لضيعت مهمتها الأساسية في حفظ اللغة العربية وثقافة الإسلام، ولكن لا ينبغي أن يكون هنالك حد فاصل بين الجامعتين، فالعلوم كلها إسلامية، وجامعة محمد الخامس أيضا إسلامية.

إن القرويين ينبغي أن تكون لها كلية شريعة قوية وكلية أصول دين متينة أيضا، وكلية لغة متشعبة الجوانب فيها قسم للآداب وقسم للتاريخ والجغرافية وقسم للفلسفة، ولاسيما الإسلامية منها، وقسم لفقه اللغة وفلسفتها وخصائصها، وفوق ذلك يجب أن تكون أقسام للعالمية ثم للدكتوراة.

وإلى جانب هذا وذاك يجب أن يؤسس معهد للأبحاث يحتوي على أساتذة مختصين في ميادين الدراسات القروية.

وينبغي أن يرجع إلى التقليد القروي في دراسة النصوص، وذلك لتخصيص مجموعة من العلماء الكبار يدرسون بصفة حرة، ولمن شاء من الطلبة المتخرجين، ما

يختارونه من أمهات الكتب في ميادين المعرفة التي ذكرنا، ولا سيما في التفسيرو الحديث والنحو واللغة والتصوف وأصول الفقه والفلسفة وعلم الكلام.

وإلى هذا الجانب الأعلى ينبغي تأسيس معهد البحوث الإسلامية الذي كنت على وشك إنجازه في وزارة الشؤون الإسلامية، والغرض منه قبول من شاء من أفراد الشعب ومن الواردين على فاس من الشعوب الإسلامية قصد التفقه في الدين وتعلم العربية وآدابها، ولا يتجاوز أمد الدراسة فيه ثلاث سنوات، يحصل المواظب عليها على شهادة حضور.

ربما أن جامعة القرويين إسلامية فينبغي أن تهتم بمستقبل الثقافة في جميع بلاد الإسلام وغيرها، وأن توفد أيضا رسلا لمختلف البلدان الأجنبية وتؤسس مراكز إسلامية لنشر الثقافة العربية في القارة الإفريقية على الخصوص، وبذلك تصبح الجامعة منبع نور يشع على إفريقية كما كان في الماضي.

إن الدور الذي قام به المغرب في نشر الإسلام ونقل حضارته ولغة العرب وآدابها إلى إفريقيا وأوربا طيلة تاريخه الإسلامي، جعل منه محط أنظار الكثير من الشعوب التي اعترفت بفضله، وما زالت تشعر نحوه بجاذبية لا موجب لها إلا تذكر الماضي المجيد. واليوم وقد أصبحت لهذه المهمة وسائلها الجديدة، فمن حقنا أن نطالب بإعطاء جامعة القرويين الفرصة والوسيلة التي تمكنها من أداء رسالتها على الشكل العصري المطلوب.

إن هذه هي الرسالة العصرية التي نتطلبها من القرويين، والكفاح من أجل تحقيقها هي الرسالة الجديدة التي أعتقد أن طلبة القرويين مطالبون ببذل الجهد بالوسائل المشروعة حتى نصل إلى ما نريده بجامعتنا ولقومنا.

إن القرويين تشتمل في أقسامها الإبتدائية والثانوية على زهاء السبعة آلاف طالب في مدينة فاس فقط، فإذا نظرنا إلى أعداد الذين يدرسون في المعاهد الثانوية، غير الكليات، في المغرب نستطيع أن نقول إن ذلك سيتجاوز العشرين ألف تلميذ وطالب، دون أن نحسب الأطفال الذين في المدارس القرآنية أو في الكتاتيب التقليدية. ولا شك أن هذه الآلاف من الطلاب إذا صبرت ولم تتعجل النتيجة ولم تفعل ما اعتاد الكثيرون فعله لحد الآن، أي الخروج بقصد التوظيف السريع، أقول إذا صبرت حتى أخذت شهادتها الثانوية، وإذا انخرط قسم منها في الكليات القروية فإنها ستعطي للمغرب مجموعة من علماء العربية وآدابها، والفقه الإسلامي، وأصول الدين، تعوض النقص الحاصل في هذه الإطارات الدينية التي لا تكاد تجد اليوم من يسد حاجاتها، وإذا واظب

قسم من هؤلاء الخريجين على الدراسة والتخصص فسيعيدون للجامعة مركزها الممتاز الذي يفتخر به تاريخ الثقافة في وطننا.

إن كفاحنا من أجل المعرفة والجامعة لا ينبغي أن ينحصر في مطالبة الدولة وانتقاد أعمالها، ولكن يجب أن يشمل كفاح نفسنا الأمارة بالتخلف والانقطاع عن الدرس، وعلينا أن نثبت في مواقفنا وأن نصبر على ما نلاقيه من صعوبات، فالعلم لا ينال بغير الكد والعناء، وهذا الثبات نفسه جزء من رسالتنا في هذه المرحلة من تاريخنا.

ولكن رسالة القرويين لا تنحصر في هذا، فالمفروض أن علماءها هم رجال الدين وحراس الشريعة، وحماة العربية، فعليهم وعلى طلبتهم أن يعملوا جهدهم حتى تنتصر أخلاق الإسلام ويعود للشريعة مكانها في قوانيننا وفي محاكمنا، وتعود للعربية مكانتها في إدارتنا وفي مدارسنا. وإذا كانت هذه، في الواقع، مهمة كل مواطن مخلص لبلاده وكل مثقف يريد أن لا يعيش وطنه على خبز الصدقة (أي التعليم الأجنبي) فإن أبناء القرويين مطالبون أكثر من غيرهم بأن لا يغفلوا عن الإرشاد لهذه الحقائق والنضال في سبيلها.

ولا أحب أن أختم دون الحديث عن جمعية قدماء القرويين، هذه الجمعية التي طالما حاول أبناء الجامعة المتخرجون تأسيسها، ولكن الحماية كانت تمنع ذلك، على الرغم من سماحها بتأسيس جمعيات لقدماء المدارس بفاس وبغيرها، وقد حاول الأخ عبد المجيد الفاسي وغيره من الطلبة تأسيس هذه الجمعية منذ زهاء ثلاثين عاما فمنعوا، ولذلك أنا سعيد حين أرى هذه الجمعية قد تم تأسيسها بعد الاستقلال، وأنها بدأت نشاطها الجديد بما ينبغي أن يبدأ به، وهو معرفة الرسالة التي يضطلع بها أبناء القرويين.

وبما أنني من قدماء الجامعة فإنني أقترح عليكم أن تدعوا لعقد مؤتمر يضم قدماء القرويين الموجودين اليوم في مختلف أنحاء المملكة لمدارسة أوضاع الجامعة والبحث عن حلول لمشاكلهم المهمة، فإذا استطعتم تحقيق هذا الاقتراح فستكونون قدتم للجامعة القروية وللثقافة الإسلامية في المغرب أعلى الخدمات،

حياكم الله، وأعانكم، والسلام عليكم ورحمة الله.

«في رحبات جامع القرويين، وفي ربى مدينة فاس الخضر، وفي كهوف جبالها كان يتنقل ويعيش في أواخر القرن السادس الهجري الصوفي الكبير الشيخ ابو يعزي يلنور. وكان الناس يفدون اليه من جميع أنحاء المغرب والأندلس، يأخذون عنه، ويستمعون إليه، ويلتمسون عنده البركات، وفي مقدمة من وفد عليه القطب الغوث أبو مدين التلمساني، فعاش معه سنين يقتبس من طريقته بالإقبال، كل الإقبال، على الصوم والزهد والصلاة والتقشف والعبادة، حتى إذا قبس قبسة من روح استاذه أبي يعزي رحل الى المشرق ليقبس قبسات أخريات من شيوخ المتصوفة هناك، ومن سيدي عبد القادر الجيلاني قطب العراق بوجه خاص، وعاد أبو مدين إلى المغرب فأقام في بجاية، وفاقت شهرته أبي يعزي، ولقبه القوم هناك بالغوث، وتتلمذ عليه العشرات من كبار العلماء، وفي مقدمتهم الفيلسوف المتصوف الكبير محي الدين ابن عربي والشيخ أبو عبد الله محمد ابن حرازم احد شيوخ ابي الحسن الشاذلي».

جمال الدين الشيال
(انظر الكتاب الذهبي لجامعة القرويين،
«الصلات الثقافية بين المغرب والإسكندرية»، ص. 98)

جامعة القرويين
موحدة البلاد الاسلامية
ومصدر الإشعاع الثقافي*



عبد الهادي بوطالب
عضو أكاديمية المملكة المغربية

ما كادت الثقافة الاسلامية تخرج من طور التلقي عن الرسول الكريم وصحابته حتى انكب على دراستها وفهمها ووضع أصول وقواعد لعلومها، تشاركهم في ذلك الشعوب التي اعتنقت الاسلام واهتدت بهديه، وبذلك قدر لهذه الثقافة أن تنتشر بسرعة وأن يسهم في إشعاعها من اعتنقوا الاسلام دينا سواء من العرب أو غيرهم من الأمم، فكان لذلك تأثير مباشر ساعد على ذيوع اللغة العربية والتمكن من فهم لغة القرآن المبين في مختلف الأمصار والبلاد.

وقد لعبت المساجد دورا هاما في إشعاع الثقافة الاسلامية إذ اتخذها العلماء والفقهاء واللغويون مراكز للبحث والتدريس فتطورت رسالة المساجد لتصبح، زيادة على وظيفتها الأساسية، بيوتا للدراسات الدينية والعلمية، ينتظم فيها المسلمون على اختلاف قومياتهم ولغاتهم قصد العبادة وتلقي المعرفة. وانتشرت هذه المساجد والمعاهد في كل البلاد، إذ كان الفاتحون الأولون لا يكادون يستقرون في أي بلاد حتى يشيدوا فيها مسجدا للعبادة فيستحيل في نفس الوقت الى مدرسة للتعليم والتثقيف، وينتظم في صفوفه العباد المتعلمون والعلماء والمثقفون.

---

*) جزيل شكرنا وامتناننا للأستاذ العلامة سيدي عبد الهادي بوطالب لتفضله بالسماح لنا بإعادة نشر عرضه القيم هذا ضمن هذا الاصدار، رغبة في المزيد من تعميم الفائدة (انظر مجلة **القرويين**، العدد الاول، 1989، ص. 21-23).

ولم يكد الاسلام يصل إلى القيروان حتى أسس عقبة بن نافع مسجده المشهور بها، ليصبح مدرسة إسلامية تلتقط العلم من مكة والمدينة، ومساجد دمشق والبصرة والكوفة وتبثه في أنحاء إفريقيا. ثم جاء الأدارسة الى المغرب وأسسوا مسجد القرويين ليصبح كذلك مركز نشاط علمي وثقافي أخذ عن القيروان ما أخذته من الشرق وعن قرطبة ما استقطبت من ثقافة الأندلس.. وبهذا كانت القرويين تمثل مركز إشعاع ثقافي وحضاري يتميز بحيوية متجددة مستمرة بفضل أساتذة علماء أجلاء أتوا لتلقين المعرفة فيها من كل حدب وصوب، وعندما ضاق علماء قرطبة بسياسة الأمويين في (الربض) لجأوا إلى فاس ليصبحوا أساتذة بالقرويين. وحين حلت الأزمات بالأغالبة بتونس فزع علماؤها إلى فاس ليجدوا لهم في القرويين ملجأ علميا ينشرون فيه المعرفة ويذيعون العلم، وبذلك ورثت القرويين علم قرطبة والقيروان في وقت مبكر من إنشائها وأشعته في أوروبا وإفريقيا حتى ما وراء الصحراء الكبرى، ناشرة العلم والمعرفة ومحصنة الشعوب ضد التخلف والجهل، فكانت بحق جامعة الإسلام والمسلمين.

ومهما يختلف الباحثون في بداية تاريخ التعليم في القرويين فإن طبيعة تأسيسها كمسجد كانت تفرض على العلماء أن يلقنوا فيه المعرفة الاسلامية للمؤمنين، ولهذا وجد العلماء في مسجد القرويين أكبر منتدى تزدهر فيه حرية التفكير والقول، الشيء الذي لم توفره الكنائس للرهبان ولا المدرجات الجامعية لعلماء الغرب بسبب رقابة الالكليروس الشديدة على الناس.

وإذا كانت الأكاديمية الإغريقية استعملت اللغة الإغريقية في مدارسها الفلسفية، فلم تتمكن شعوب أخرى من متابعة الدراسة بها، كما كان حكماؤها اليونان يشرحون نظريات فلسفية مستعصية على فهم الجمهور فلم يحفل الناس بتعاليمهم مما كان عاملا على عدم ازدهار ثقافة اليونان، وإذا كانت الفلسفات المسيحية تُلْقَى بلغة خاصة في مدارس الاسكندرية وكنائس الروم، وتُؤَطَّر بأساتذة متزمتين لم يتحرروا مما خطط لهم الكهنة ورجال الدين من معارف جامدة متوارثة لا تقبل الجدل، وبلغة لا يعرفها إلا قليل من المتخصصين، فان العالم الاسلامي وحد منهاجيته التربوية وأغناها بتحديد الوسيلة والهدف أي اللغة القرآنية الواحدة، والهدف الديني الواحد، وجعل من مساجد المسلمين جامعات عامة يهوي إليها العلماء والطلاب من كل حدب وصوب، تتيح

للأساتذة أن يبحثوا بحرية كاملة في مختلف العلوم، بعيدا عن ضغوط أية سلطة دينية توجه أبحاثهم ودراستهم، لا يستمدون معارفهم إلا من القرآن والسنة والاجتهاد، ولا تبريز لعالم على آخر إلا بما له من علم وتقوى وصلاح وإخلاص.

هذه بعض الخصوصيات التي جعلت من القرويين جامعة إسلامية كبيرة منذ تأسيسها، وملاذا للعلماء والطلاب في وقت واحد، وجعلت منها مختبر نظريات ومعارف، وميدانا للبحث والجدل والمناظرة. وهكذا استطاع علماؤها أن يرسوا علوم الاسلام ومعارف البشرية، وفي رحابها وضعوا أسس المذهب المالكي في المغرب والأندلس، وألفوا أمهات الكتب التي انتشرت في مختلف المعاهد والكليات في العالم الاسلامي من المغرب إلى الهند فكانت عامل وحدة بين الشعوب الاسلامية وأداة لتطوير اللغة العربية وازدهار المعرفة.

لقد كان العالِـمُ المحاضر يملي درسه بالقرويين وعندما يكون في طريقه إلى الشرق لأداء فريضة الحج يملي محاضراته في بجاية، والقيروان، وتونس، وبرقة، والأزهر، والقدس، ودمشق، وبغداد. وبذلك تبادل علماء المسلمين المعارف والكتب والإجازات، فأبو عمران الفاسي يعلم بالقيروان، والقالي يملي أدبه في قرطبة، وسابق المطماطي ينشد قصائده في بلاط دمشق، ويحيى الليثي يدرس عن الإمام مالك ويتولى قضاء الأندلس، وأبو بكر بن العربي يتتلمذ للغزالي ويكتب تأليفه في الأندلس والمغرب، ويكتب ابن أجَرُّوم المغربي كتابه في النحو، فيشرح في القاهرة وبغداد، ويؤلف الشيخ خليل المصري كتابه في الفقه ويشرحه الرهوني في المغرب. ويعسر أن نتتبع أسماء العلماء والكتب والإجازات التي كانت جميعها أساسا لوحدة الثقافة التي هي بدورها أساس الوحدة السياسية والاقتصادية.

وجاء عهد الاستعمار، وهدفه الأول تحطيم نواة الثقافة الاسلامية التي تجمع المسلمين كافة في صف متراص.. وقد نجح أن يُضَيِّق الخناق، ولم يستطع أن يحطم النواة، فقد بقيت القرويين معقلا للثقافة الاسلامية وحصنا منيعا تحطمت على أبوابه أحلام المُسْتَعْمِر، بل تطورت وظيفتها لتصبح مركزا للمقاومة. فمن منابرها دعا علماؤها الأجلاء كافة المسلمين إلى الجهاد من أجل إعلاء راية الحرية والاستقلال، فشحذوا العزائم وضموا الصفوف الى أن استرجع المغرب استقلاله وسيادته. غير أن الظروف

الخاصة التي تجتازها الثقافة العربية الاسلامية لم تساعد السفينة على المسير. فقد تغيرت مفاهيم المعرفة وتطورت مضامنها، كما تغيرت أساليب التعليم والتعلم وطريقة نشر العلم وإذاعته، وكان على القرويين أن تعمل الكثير لملاحقة التطور. . . ومازال في طريقها جاهدة لتعيد مكانتها العلمية ورسالتها الاسلامية، وترسي الوحدة الثقافية في المغرب العربي والعالم الاسلامي. فلها من تاريخها، ومن عناية جلالة الملك الحسن الثاني بها، ومن كفاءة علمائها ما سيزيد من قوتها وصلابة عودها لتصبح في القرن الخامس عشر الهجري، كما كانت من قبل، أعظم جامعات العالم الإسلامي.

وما من شك أن القرويين كمثيلتيها الزيتونة والأزهر حلقة وصل هامة ربطت بين أجزاء العالم الاسلامي وساهمت في بناء وحدته الثقافية، وعيا من رجالاتها بوحدة المصير والهدف وبأن أساس الوحدة الشاملة هو وحدة الفكر والثقافة. لذا أصبح من الضروري أن تتظافر جهود هذه الجامعات في عمل علمي، يكمل بعضها البعض، من أجل إرساء الوحدة الثقافية في العالم الاسلامي مساندة مئات الجامعات الاسلامية المستحدثة في كل مكان.

وقد ضَمَّنَتْ منظمة الايسيسكو خطة عملها الحالية برامج لمعادلة الشهادات بين جامعات العالم الاسلامي، وبرنامج اتحاد الجامعات الاسلامية، الشيء الذي سيساعد القرويين المعاصرة على أن تكون أداة الوحدة الثقافية في العالم الاسلامي، يمكنها من أن تستكمل ما فقدته منذ الهجمة الاستعمارية التي أرادت أن تصل المغرب الحديث بتاريخ الرومان والإغريق، وتربطه بالفكر المسيحي متجاهلة قرونا من العمل الاسلامي الدائب في رسالة القرويين الاسلامية الخالدة.

«وأما القرويين فمنذ دخلت في طور التاريخ وهي تبعث أنوار الهداية إلى القلوب وتنمي القرائح بمختلف الدروس وأنواع البحوث وتبث في النفوس كلمة الحق وقوة الإيمان التي تدحض الباطل وترد الكيد وتدفع الضلال.

• وليس من المغالاة في القول والمبالغة في الحكم إذا أثبتنا أن الحركة العلمية بالمغرب كانت تتداول بين القرويين وابن يوسف من عهد الازدهار والاستقرار، وأن لذلك علاقة شديدة بدار الإمارة وقاعدة المملكة، فعندما كانت بمراكش بلغت النهضة الثقافية أسمى أطوارها وعندما كانت بحاضرة فاس نمت وترعرعت حتى بلغت القمة والذروة، فأنشئت المدارس وأجريت الجرايات وانعقدت المجالس العلمية وقصدها الناس من كل حذب وصوب. وكانت فاس بهجة الناظرين وجنة الحاضرين وحجة المناظرين، يجد فيها كل واحد لذته وهواه، وما أحسن هذا القول في معناه.

(إن جبت أفقا فأُفقا - وجلت غربا وشرقا - ولم تمر بفاس - فلن ترى الأرض حقا).

وكان لبني مرين وللبيوتات التي عاش العلم فيها زمنا طويلا فضل وأثر في ازدهار الحركة، واكتساب الشهرة، حتى بات من السنن المعتادة عند الناس ولو درسوا بمراكش أن يرحلوا إلى فاس لالتقاط ما تبقى من جواهر العلوم واقتطاب ما تأتى من أنوار الفهوم، وللقاء أهل الفضل والكمال من علمائها والتبرك بآثارهم والأخذ بأسانيدهم والتعرف على حياتهم ومناقبهم، وقد كان ذلك شائعا من وصايا الشيوخ لطلبتهم عندما يتممون دراستهم ويوشكون على الرحيل إلى أوطانهم.

وبالإجمال كانت القرويين يرتادها القاصي والداني ويرتع في خصبها الصادر والوارد ويأخذ من معارفها الحاضر والغائب...

والأشياخ الذين عرفناهم وعرفهم أشياخنا وأشياخ أشياخنا من قبل كلهم استقوا من حياضها وشدوا الرحلة إلى ديارها فكانت آخر المطاف لكل من تاقت نفسه إلى المزيد من العلم أو التعمق في النظر».

الرحالي الفاروقي

(انظر الكتاب الذهبي لجامعة القرويين،
«العلاقات بين القرويين وابن يوسف»، ص 129).

تاريخ جامعة القرويين المعماري والفكري *



عبد الهادي التازي
عضو أكاديمية المملكة المغربية

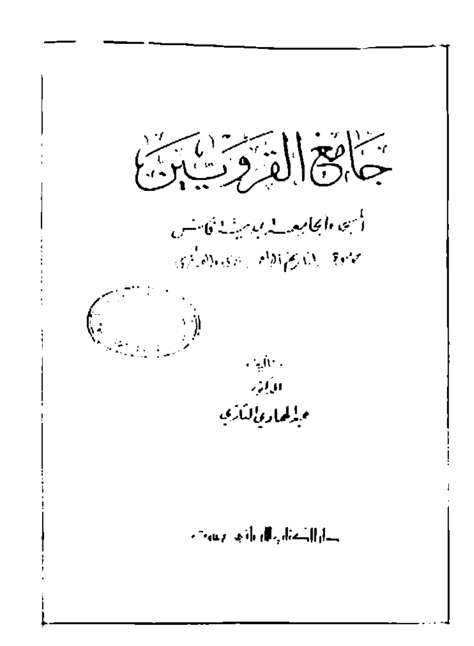
كيف نشأ اسم القرويين :

عرف المغرب، منذ كان، لاجئين اتخذوا منه وطنا ثانيا، فمنهم آلاف وردوا من الأندلس أيام الحكم بن هشام، ومنهم مئات وردت من القيروان أيام دولة الأغالبة. وعني الإمام إدريس الثاني بضيوفه، فكان أن خصص القطاع الشرقي من فاس للسادة الأندلسيين في ربيع الأول 192هـ (يناير 808م)، فعرف بعد «بعدوة الأندلس»، ثم في ربيع الثاني من السنة الموالية خصص لإقامته هو مع فريق آخر من القيروانيين الجانب الغربي، ونسب هذا الجانب من المدينة لهؤلاء السادة. هكذا أصبحت فاس مدينتين: مدينة الأندلس، والمدينة العظمى التي يسكنها القيروانيون، هؤلاء الذين تدعوهم الكتب القديمة بـ«القرويين» ميلا للتخفيف من بعض الحروف.

ولقد كان في عداد المهاجرين الإفريقيين الذين التجأوا إلى فاس، منذ بداية القرن الثالث الهجري، محمد بن عبد الله الفهري القيرواني الذي توفي بعد وصوله، فترك ثروة طائلة لكريمتيه : فاطمة ومريم، فحققتا بها مشروعا ظل إلى اليوم شاخصا ناطقا يرفع من شأن المرأة المسلمة إلى الأبد. لقد كثر الواردون على مدينة فاس، وأمسى الناس

*) شكرنا الجزيل للأستاذ العلامة الدكتور سيدي عبدالهادي التازي لتفضله بهذه المساهمة القيمة في هذا الإصدار، إذ لم يتمكن من الحضور بيننا في هذه الندوة نظرا لتزامن وقتها مع دورة مجمع اللغة العربية بالقاهرة وانشغاله بأعمالها، (انظر **مجلة القرويين**، العدد الأول، 1989، ص : 5).

في حـــاجـــة إلى مسجـــد كبير جـــامع، فإن "مسجد الشرفاء" بالعـدوة الغربية و "مسجد الأشياخ" بالعدوة الشرقية، المؤسسين من لدن إدريس الثـــــاني، كل منهما أضحـى لا يفي بحاجة النـاس، فلتتطوع فاطمة ببنـاء مسجد في تلك المنطقـة، ولتقم أختهـــا مـريم بنفس المهمة في هذه المنطقة.



I - التـــاريخ المعـمـاري

القرويين الأولى : (245هـ/859م)

وقع اختيـار فـــاطمـة على حقل شرقي المدينة القروية ورثـه من أبيه شاب فاضل من هوارة، فدفعت «نصيبـا مهما» من مالها الحلال الطاهر، وأخذت - بمطالعة السلطان والعلماء والفقهـاء - تستعد للبنـاء في جزء مـن الأرض. لقد كـان الشروع في حفر الأسـاس أول رمضان سنة 245 هـ (30 نونبر 859م)، والتـزمت أن تستخرج مـواد البنـاء من نفس المكان حتى لا تكون هناك ريبة فيها يقوم عليه المسجد. وكان مما أدخل البهجة على قلبها أن وجـــدت بالمكـان معـدنا للحجـر وآخـر للرمـل وأنبطـــت إلى جـانب هذا بئـرا ظل المسجد يعتمـد عليها طـوال سنواتـه الأولى، ونتيجـة لهـذا " الالتزام " لم ينته البنـاء إلا بعد هـذا التاريخ . . .

ولقد كان تصميم هـذه القرويين مربعا على نحـو ما عرف في المساجـد الاسلامية الأولى، إلا أن تربيعه لم يكن تاما، فطوله من شرق إلى غرب يعادل تسعة وثلاثين مترا، ويعادل عرضـه اثنين وثلاثين ميترا أي 248 . 1م^2. لقد كان يتألف مـن أربعة أساكيب تمتد من الغرب إلى الشرق، واثني عشر بلاطا تمتد من الجنوب إلى الشمال.

القرويين الثانية : (322هـ/934م)

ولكن القرويين أصبحت بعـد نحو قرن من تأسيسها تشكـو الضيق وتتوق إلى يد الاصلاح، وكان المتعهد هذه المرة هو الأمير أحمد بن أبي بكـر الزناتي، لقد كان في صدر ما توج به أيامه أن قرر الزيادة في الجامع، وقد كتب إلى أمير المؤمنين عبد الرحمان الثالث يقترح عليه أن يسهم في المشروع، واعتبرهـا العاهل الأموي تكريما وتشريفـا من حليفه، فبعث بقدر مهم من الجبـاية المخصصـة للبناء. وهكذا زيـد فيه من نحـو ثمانية وأربعين

وسبعمائة وألفي ميتر مربع في الجهات الثلاثة : الشرقية والغربية والشمالية بعد أن غيروا- دون شك- من معالم القرويين الأولى. لقد أصبح المسجد من ثلاثة عشر أسكوبا . . . وثمانية عشر بلاطا، ومن مساحة تبلغ 996 .3م²

القرويين الثالثة : (531 هـ/1137م)

وعلى إثر مؤتمر ضم العلماء والفقهاء استقر الرأي في أوائل القرن السادس الهجري على أن يعهد للقاضي عبد الحق ابن معيشة بأمر إصلاح القرويين وتوسيعها، وبعد إخطار العاهل المرابطي، أمير المسلمين علي بن يوسف ابن تاشفين، قام القاضي بشراء كثير من الأملاك المجاورة لجنوب القرويين، وكذا طائفة من العقار الذي يوجد شرقي القرويين وغربيها. وعلى العادة المتبعة فإن الشراء كان بأحسن الأثمان ترضية للناس. . . إن المساحة التي زيدت في القرويين هذه المرة تبلغ خمسين وثمانمائة وألف متر مربع؛ فمساحة القرويين إذن في حالتها الحاضرة تفوق نصف الهيكتار (846 .5م²). ولقد أمست القرويين من ستة عشر أسكوبا وواحد وعشرين بلاطا. . . وهنا اكتسبت «الجامعة» منبرها الذي عوض المنبر «الفاطمي- الأموي» وازدان بلاطها بأروع الفنون وأجمل الصور. . .

القرويين الحالية :

وإذا كانت القرويين - سواء في الزيادة الأولى أو الثانية- تتسم، على العموم، بطابع التوسعة في البناء فإنها على عهد الموحدين والمرينيين، والوطاسيين، والسعديين تمتاز بالتأثيث وتعدد المرافق. فنراها تزدان بالثريا الكبرى، والأجراس الإسبانية التي تحولت بدورها إلى ثريات . . . و " الخصة الحسناء" ثم تكتسب " غرفة للمؤقتين" والمنجانات المائية، هذا إلى مرافق جديدة خاصة برجال القرويين . . .

وعلى عهد العلويين أعيد النظر في مرافقها وأصلحت سائر جوانبها ، وأضيف إلى أسماء الملوك المنقوشة هناك اسم المولى اسماعيل . . . ومحمد بن عبد الله، ومحمد بن يوسف. .

II - التاريخ الفكري :

لعل ما سيضفي بعض الضوء على هذا الجانب من حياة القرويين أن نقسم هذه "الأحد عشر قرنا" إلى ثلاث مراحل : الأولى تبتدىء منذ أواسط القرن الثالث إلى منتصف القرن السابع الهجري (859-1250م) أي بقية أيام الأدارسة، والزيانيين، والمرابطين، والموحدين .

المرحلـة الثانيـة تبتـدىء من منتصف القـرن السابع الهجـري إلى منتصف القـرن الحادي عشر (1250-1665م)، أي أيام دولة المرينيين والوطاسيين والسعديين

المرحلـة الثالثـة تبتدىء من أوسـاط القرن الحادي عشر إلى سنـة 1380 الهجري (1665-1960م)، أي من ظهور عهد أوائل الدولة العلوية إلى الاصلاح الجديد . . .

وحتى نأخذ فكرة واضحة عن كل فترة من هذه الفترات لا بد أن نستعرض أمامنا شريطا قصيرا لبعـض الأحداث التي عـاشها المغرب، فإن حيـاة القرويين ظلت متـأثرة بظروف الحياة فيه . .

المرحلة الاولى : (245-648هـ/859-1250م)

عرض تاريخي : الأدارسة - الزناتيون - المرابطون - الموحدون

كانت أول دولة إسـلامية استقلت بالمغرب هي مملكة الأدارسـة التي اتخذت فاسا عاصمتها، ولقد كـان من مبادئها أن تتمسك بالحياد أمام تنافس " الأغـالبة" بإفريقيا، والأمويين بالأندلس، لكنها غلبت على أمرها منذ ظهور العبيديين سنة 305هـ، فمدت اليد إليهم، وخطبت لهم على المنابر، وهنا أخذت قرطبة تلـوح بوعدها للرؤساء الزناتيين الذين كانوا قـد استبدوا بالأمر بعد انسحاب الأدارسـة، وظل منبر جامع القرويين ردحا من الزمن ميـدان تنافس بين قرطبة والقـرويين، وعندما اختلت الأمور بـالأندلس أوائل القرن الخامس الهجـري رجع المغاربـة إلى عدم "التبعية" ، وقصـد العلماء والشعراء أمير فاس هنأوه ومـدحوه، ورأت "حضارة المغـرب" أعوامـا زاهرة ؛ لكن اختلاف الـرؤساء كدر من صفو عيشهـا أياما، وبينما الناس في تنافسهم سادرون إذ بـالمرابطين ينزلون على أبواب المدينتين اللتين أصبحتـا من الآن مدينـة واحدة. ولقـد أدى التدهـور الذي شمل الأندلس إلى الاستسلام ليوسف بن تاشفين "أمير المسلمين" . وهكذا غدا المغرب -أكثر من أي وقت مضى- ملاذا للفقهاء ورجـال العلم الأندلسيين. وفي أوائل القرن السادس كانت خيوط المؤامـرة تحاك لهذه الدولة " الجامدة" كما ينعتهـا الخصوم الموحدون، وأزفت سنة 540هـ ، فورد معها عبد المؤمن الموحدي يحاصر فاسا، وسينتقم من المرابطين الملثمين ويحطم من آثارهـم . . . . ويضيق على القاضي عياض في سبتـة الحصار أيضـا، وكانت تتم بمدينة مـراكش- بين الفينة والأخرى- اجتماعات تضم أعيان الامبراطوريـة الموحدية من إفريقيـة والأندلس وباقي أجـزاء المغرب، يحضرها القضاة والعلماء والفقهـاء والخطباء والشعراء، وكانت فاس تشهد هذه الوفود كلها جيئة ورجوعا إذ كانت " الممر الطبيعي" لسائر الجهات . . .

أقدم جامعة :

لقد امتاز الفتح الاسلامي من بين الفتوحات الأخرى بأنه جاء يحمل" كتابا" ، ولذلك نرى أن التعليم كان في صدر ما يهتم به الاسلام. ولما كان المسجد هو المركز الوحيد لتجمع المؤمنين فقد كان بالذات هو المدرسة الأولى، وبهذا نستطيع أن نقول : إن مسجد قباء كان أول معاهد التعليم في المشرق وأن أول مدرسة اختطت بالشمال الإفريقي كانت في القيروان، وتبعت كلا من الأول والثاني مساجدُ انتشرت هنا وهناك كجامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين بالمغرب، وجامع الأزهر بمصر، آلخ . . . بيد أن هذه المساجد لم تظل باستمرار مراكز للتعليم، ففيها ما انتهت المدرسة فيه منذ وقت مبكر، وفيها ما انقطعت منه ردحا من الزمان، لكن جامع القرويين بفاس تختص أولا، بأنها شيدت في مدينة وضع حجرها الأساسي لا برسم أن تكون بلدا تجاريا، أو مدينة صناعية، ولكن لتكون " دار علم وفقه" ، وثانيا، بإن العلماء والفقهاء هم الذين كانوا يشرفون على بنائها منذ اليوم الأول، وثالثا، بإن الدراسة فيها استمرت بصفة مطردة منذ الفترات الأولى، ولم تتفكك حلقاتها العلمية حتى في نفس الأعوام التي تمت فيها أعمال الترميم والبناء. وحتى عندما اتخذ المرابطون عاصمتهم مدينة مراكش سنة 462هـ ظلت القرويين مركز "إشعاع علمي " ، وظل قضاة " العاصمة الجديدة" يبعثون بأبنائهم للتزود من معينها، الأمر الذي لم تتخل عنه أيضا الأصقاع الجنوبية، ومدن الساحل الشمالي. فإذا عرفنا إلى جانب هذا أن جامعة بولونيا (بإيطاليا) أسست سنة 1119م، وجامعة أكسفورد (بإنجلترا) سنة 1229م، وجامعة السوربون (بفرنسا) سنة 1257م، إذا عرفنا كل ذلك قدرنا إذن ما قاله بعض الأساتذة والمستشرقين من أن أقدم كلية في العالم ليست في أوربا، كما كان يظن، بل في إفريقيا، في مدينة فاس عاصمة المغرب.

المواد الدراسية :

لم تلبث القرويين أن استنامت، منذ أيامها الأولى، لمذهب الإمام مالك الذي وردت طلائعه الأولى مع الأدارسة، وتعززت بمناصرة قرطبة ومساندة القيروان، وهكذا اتخذت المادة العلمية - نتيجة لذلك- اتجاها مالكيا وأصبحت أفكار مالك والمؤلفات التي دونها رفاقه هي التي تحتل زوايا القرويين، واستمر المذهب المالكي في ازدهار متوال طوال أيام المملكة المرابطية، فكانت العلوم الدينية تحتل المقام الأسمى إلى جانب العلوم الأخرى. . . ولم يستطع بعض قضاة المرابطين أن يهضم ميل الأوساط لتعاليم الغزالي، ولذلك لجأوا أول القرن السادس إلى الإيعاز بإحراق كتابه " الإحياء" خوفا من أن

يكون ذيوعه على حساب مذهبهم المفضل ! لكن الأمراء الموحدين لم يلبثوا أن أخذوا بزمام الأمر، وقد كان هؤلاء مقتنعون بأن تلك " اللائحة الطويلة " التي تضمنها المنهاج المرابطي عديمة الجدوى، بل أن فيها إجهازا على الفكر والاجتهاد ، ولذلك فقد أمروا بإحراقها، فكنت تشاهد الأحمال من المخطوطات تمسي طعمة للنيران! نحن الآن أمام برنامج جديد يدعو إلى مباشرة الأخذ من الصحيحين والترمذي والموطأ وأبي داود. . . . إنها دعوة إلى فتح باب الاجتهاد على مصراعيه. . . ولقد عاد اسم الغزالي إلى الظهور، ومع هذا فقد عني الموحدون بسائر العلوم والفنون الأخرى باستعانة الأساتذة الذين نزلوا من الأندلس.

موارد الأساتذة :

وإن الذي يعرف أن ميزانية جامع القرويين بلغت منذ أوائل القرن السادس ثمانين ألف دينار، أي ما يساوي مليونا وستمائة ألف من "الدراهم" المغربية الحالية، أقول إن الذي يعرف ذلك يعرف المورد الخصب الذي كان ينعم به رجال القرويين على ذلك العهد، فقد كانوا إذن في سعة تجعلهم يتفرغون لمهامهم على ما يجب.

عميد الجامعة :

وإذا كان التاريخ قد بخل بإعطاء بعض التفصيلات الأخرى فإنه - على العكس من ذلك- يذكر أن المباشر الأول لشؤون القرويين والمسؤول عن سائر أوجه نشاطها هو قاضي المدينة ، فهو مدير الجامعة الذي له الحق في تخويل الكراسي العلمية لمن رآه كفؤا من العلماء، وهو ينصب أئمتها ويراقب نشاطهم، بل هو الذي يشرف على أعمال البناء فيها ويدير ميزانيتها. . . .

سيلفيستر والقرويين ؟

وكما نرسل أبناءنا اليوم إلى أوروبا، كانت سائر البلاد الأوروبية تتجه في عصور الازدهار الاسلامي نحو الأندلس لتغترف من معين الحضارة العربية هناك، ولما كان تاريخ المغرب قد امتزج امتزاجا وثيقا بالأندلس فقد كان الطلاب الذين يردون على قرطبة المسلمة لا يجدون صعوبة في الالتحاق بعدوة المغرب، ولقد كان الأسقف جيربير (Gerbert d'Aurillac) فيمن تحدث "كريستوفيتش " عن وصولهم إلى جامع القرويين بفاس أيام كانت أوروبا تعيش عصورها الوسطى !

رجال وآثار :

وفي كل مرة يتغلب جانب على الآخر، أوتفوز هذه الدولة على تلك، تمتد أيدي الغالبين إلى أنصار الرأي الذاهب لتضطهد وتعذب بل ولتحرق الآثار والنصوص، فكم

من علماء اختفوا من الميدان وجهل مصيرهم! هذا إلى ما تعرضت إليه البلاد من الظواهر الطبيعية التي كانت تذهب معها أحيانا نخبة من أعيان البلاد وعلمائها... هذا إلى إعراض المغاربة عن تدوين تاريخهم القديم، لكنا مع هذا أمام لائحة ثرية من رجال الفقه، والأدب ، والعلوم أمثال ابن رشد، وابن حبوس، وابن الياسمين... على أن في رجالها من ألقى عصا تسياره شرق المغرب أو شماله أو جنوبه، فأصبح هناك رسولا لبث تعاليم الإسلام وأصول اللغة العربية ...

فروع القرويين :

ولقد كانت المساجد الأخرى بفاس بمثابة فروع محلية في كل حارة من الحارات، بل وكل منعطف وزقاق، وعلاوة على أن هذه المساجد تقتدي جميعا في التوقيت بمنار القرويين ، فإن جلها مزود بكراسي علمية ... بل وأحيانا بخزانات تضم عشرات المجلدات ... ويصح أن نذكر في صدر هذه الفروع جامع عدوة الأندلس ... ومسجد المهدي بن تومرت بطريانة... أما في باقي المغرب فقد تعزز جامع القرويين بمساجد عظيمة سواء في الجنوب أو الشمال، أو الشرق، وبالعشرات من الرباطات الأخرى التي انبثت هنا وهناك..

المرحلة الثانية : (648-1076هـ/ 1250-1665م)

عرض تاريخي : المرينيون - الوطاسيون - السعديون

لكن الموحدين لم يستطيعوا أن يصمدوا أمام حملات بني مرين. وهكذا تملك هؤلاء زمام الأمر بفاس وأسسوا هناك المدينة البيضاء كمقر لبلاطهم ... ولما كان مذهبهم الرجوع لكتب الإمام مالك فقد حرصوا، منذ البداية، على إنشاء المدارس الداخلية التي مكنتهم من الإشراف على سير التعليم، علاوة على ما وجدوا فيها من حلول لمشكلة سكنى الطلاب الذين أخذوا يتواردون أكثر من ذي قبل على مدينة فاس. والمرينيون - كأسلافهم المرابطين والموحدين- كانت سياستهم تتجه إلى الاحتفاظ بما تبقى من الأندلس، فكانت لهم هناك مواقف تحدث عنها التاريخ خاصة في أيامهم الأولى، ومن الأندلس نقلت ثلاثة عشر حملا من نفائس المخطوطات. وبالرغم من أن الحروب في إسبانيا قد أثقلت كاهل الدولة فقد ظل الملوك المرينيون يشيدون المعاهد هنا وهناك، وأمست العاصمة موئلا لمعظم رجال الفكر. وجاء دور السلطان أبي عنان فترك آثارا علمية عظيمة إلى جانب المدارس، ثم كان السلطان أبو فارس الذي ألف من أجله تاريخ ابن خلدون، لكن الحجاب استبدوا أواخر الدولة بالأمر دون الملوك، فكانت بعض الاحتكاكات، والأندلس بين هذا وذاك تسلم النفس الأخير، والهجرات تتوالى من

ثمة على المغـرب، ثم كانت كارثـة سنة 818هـ (1415 - 1416م) حيث سقطت سبتـة المغربيـة في يد البرتغـال، وهنا انصرفت جهود المغـاربة عن بكـرة أبيهم إلى طرد الأجنبي عن " المدينة العالمة"، وتحولت " الدروس" في المســاجد إلى محاضرات في البطولة والغزو وإلهاب الحماس. وامتدت الأيـدي إلى أوقاف القـرويين لاستغلالها من أجل الـدفاع عن الحوزة، وخلافا لما كنا نعتاده قبل اليوم من قيام الممالك على أساس نشر مذهب معين من المذاهب، على عكس ذلك، أخذنـا نشاهد أنها تقوم الآن على أساس المنـافسة من أجل محو عـار 818هـ، وكثـر المتطوعـون والمقاومـون، كل يرى نفسـه جديـرا بقيادة المعـركة الحاسمة. وكانـت وقعة وادي المخازن (986هـ) التـي لقي فيها مصرعه ملـك البرتغال، واستشهد فيهـا عيون الفقهاء والعلماء، وكـان ذلك النصر الذي قوى من عـزائم الناس، فازدهرت الحياة. بيـد أنه بعد وفاة المنصور السعدي رجعت الأحـوال إلى أسوأ مما كانت عليـه، وعرفت فـاس أيامـا حمراء. وعبثا حـاول حفدة المنصـور السعدي أن يسترجعـوا الهدوء، فإن الاحتجـاجـات تـوالت ضـد التهـاون في تسليم مـدينـة العـرائش، ولبس المواطنون "النعـال السود" حـدادا على هذه الأيـام. وضاعـت في هذه الفترات العـابسة خزانـات علمية متنقلة، وتعرض نفـر من العلمـاء لمساومـة المتزعمين، فقتل البعض، ولاذ البعض بأذيال الفرار .

مرحلة الأوج :

وإذا كانت المرحلة الأولى من حيـاة القرويين الفكرية تمتاز بقلة المصـادر التاريخية فإن هـذه المرحلـة نالت، على العكس مـن ذلك، حظا وافـرا من اهتمام المؤرخين سـواء منهم الذين زاولوا دراستهم بها أو الذين أتيحت لهم الفرصة للتعرف عليها. وقد ذكر أبو الحسن علي ابن ميمـون : أنـه مـا رأى مثلهــا ومثل علمائهـا في غـزارة الحفظ لنصـوص المذاهب ولنصـوص كل علم من العلـوم. «وإنني - يقـول أبو الحسن- مـا رأيت مثلهـا ومثل علمائها في تلمسان وبجاية وإقليم الشـام بأسره، وبلاد الحجاز ومصر على ما تقرر عندي من العلم اليقيني . . ».

المواد الدراسية :

وتعتبر هذه المرحلة، وخاصة منها أيام المرينيين من أزهى فترات القرويين إذ غنيت المواد الدراسيـة وتنوعت وازداد نتيجة لهذا " الحج" المتوالي على مـدينة فاس. لقـد كانت هنـا كراسي العلـوم الدينيـة إلى جانب كـراسي العلوم الإنسـانية من تـاريخ وأدب، إلى جانب العلوم الطبيعية والرياضية. وطغى الحفظ للنصوص على رجال العلم حتى إن من

لم يستحضر عندهم النص على مسألة في علم من العلـوم لا يلتفت إليه، وكانت عبارتهم السائدة " من لم يحفظ النص فهو لص" .

الأحياء الجامعية والخزانات العلمية :

واقتفاء بـالمدرسة المستنصريـة ببغداد رأينا القـرويين تزدان بمـدارس تحاكي الأحياء الجامعية التي يعتبرها العصر الحديث من حسناته، فبعد مدرسة الحلفاويين كانت مدرسة فاس الجديـدة، ثم مدرسـة الصهريج، ومدرسـة العطارين، ومدرسـة الوادي، ومـدرسة الخصـة، ومدرسـة أبي عنان، وكل هـذه المدارس تحتوي على قـاعة للـدرس. . . يختلف عليها أستاذان، لكل منهما أوقات خـاصة. وإلى جانب هذه الأحياء كانت تـوجد خزانة أبي يـوسف، وأبي عنـان، ثم المنصور السعـدي، هـذه الخزائن التي تكـون اليوم خـزانـة القرويين ذات الشهرة العالمية.

نظام الدروس والإجازة :

وعلى نهج مـا استمـر عليه العمـل بالأنـدلس والمشرق، فإن الطلبـة يحلقـون على الأساتذة حلقـا متوالية. وقد تبلغ الحلقات إلى عشرين أو تزيـد، وربما اختلط بالطلاب علماء رأوا من المفيد بالنسبة إليهم أن يستمعوا إلى وجهة نظر خاصة، وربما استمر الدرس الـواحد مـن الشروق إلى الزوال. ويغلب أن يخصص الصبـاح لـدروس الفقـه وما بعـد الزوال للعلـوم الأخرى. أمـا عن أمد الـدراسة فقد تحدد هـذه المرحلة إذ كـان الأمد لا يتجاوز سبع سنـوات. وقد كـان على " الأوقاف" طوال هـذه المـدة أن تـؤوي الطلاب وتمونهم . . وامتازت هـذه المرحلة بأنها عرفـت أيامـا للعطلـة بالقـرويين، فإلى جانب يوم الخميس والجمعـة كانـت الدروس بالقروييـن تعطـل أيام المصيف إلى أيام رمضان، بيـد أن جل العطل لا يمر دون أن يتنـاول الطـلاب فيها فنـونـا خفيفـة كـالآداب وسير أعلام التاريخ.

ومن أبرز ما عرفته القـرويين في هذه الفترة نوع من الامتحان الذي يجري الآن في الـدول المتحضرة ؛ تخريج الأسـاتـذة المبرزيـن، ذلـك هـو نظـام «الإجـازة». وإن أخـص ما توصف به مناقشة نيل الإجازة، أنها كانت بحق مجازا عسيرا لا يقتحمه سوى الأكفاء المقتدرين.

وظيفة المفتي :

وإلى جانب العلماء الذين كانوا يمارسون مهمتهم ظهرت وظيفة جديدة بالقرويين، تلك هي وظيفة المفتي الـذي كان له مقر خـاص بالقرويين، وكان يسنـد إلى هذا المفتي جانب مهم من الأوقاف يصرفه باجتهاده في المشـاريع الإحسانية التي تظهر له من خلال احتكاكه بمشاكل الناس.

رجال وآثار :

إن الجماعة المهمة التي توفرت عليها الجامعة- ولو في الأيام العصيبة التي مرت بها فاس- كانت كبيرة العدد، بحيث يكون من الحيف أن نخصص جانبا بالذكر دون آخر، فعلاوة على أنـه كانت هناك طائفـة مهمة جدا من العلماء الذين استشهـدوا، علاوة على ذلك، احتفظت المخطـوطـات بجملـة وافـرة منهم ومن آثـارهـم العلميـة،وكـان فيهم الاختصاصيين في الفقه الاسـلامي، وفيهم آخرون تخصصوا في العلوم الـرياضية، وفيهم رجال تضلعـوا في اللغة وفنون الآداب، ونبغـوا في ميدان العلـوم الفلسفية، على أن فيهم طائفة اخترعت الآلات والساعات المائية في أشكال مختلفة.

المرحلة الثالثة : (1076-1380هـ / 1665 - 1960م)

عرض تاريخي : الملوك العلويون

ولم يكن غير العلـويين كفؤا لاسترجـاع الهدوء للمغـرب بعـد تلك الأيام القلقـة، وهكذا ظهـروا بسجلماسة، وقـد كان جدهم علي الشريف على صلـة تامـة بعلماء فاس، وكـان أول ملوكهم تـوفقـا هو المولى الـرشيـد بن علي الشريف الـذي دشن أيامـه الأولى بالالتفات إلى النـاحية العلمية بالمغرب، ثم كـان المولى اسماعيل الذي نعمت البلاد على عهده باستقرار ظل مضرب المثل، واستطاع أن ينتزع ثغورا من يد الأجنبي، وفي صدرها "العرائش"، واستعـاض الناس عن النعال السـود بالنعـال الصفراء. وإثر وفـاته شبت بعض الاضطرابات لكن الأمور لم تلبث أن رجعت إلى نصـابها. وواجه سيدي محمد بن عبـد الله مشـاكل معقدة لكنـه استطاع أن يتغلب عليهـا، واستطاع مع ذلك أن يـربط علاقاته بالدول الأجنبية في الخارج.

ثم كـان المولى سليمان خـريج القـرويين الذي عـاصر حـركـة " الوهـابيـة" في الشرق، وكـانت له معهم مفـاتحات هنـالك، واعتلى المولى عبـد الرحمان بن هشـام على العرش المغربي؛ فواجهتـه مقاومة الجزائر التي كان يقودهـا حليفه الأمير عبد القادر محي الدين ضـد الاستعمار المهاجم، وبعده ولـده سيدي محمد الذي شعـر بأن الاقتصار على معارف القرويين لا يكفي، وقد ظهر المولى الحسن فشـاطر والده هذا الرأي، وأقر بعض الأنظمـة التي كان يـراهـا ضرورية للمحـافظـة على الكيان ، بيـد أن المنيـة عاجلتـه، وتتـابعت المناورات. ومـا أن ظهرت سنـة 1331هـ/ 1912م حتى فـرض نظام الحمايـة بـالمغرب، ونقلت العـاصمة مـن فاس- على إثـر الأيام الـداميـة- إلى مدينـة الربـاط. وبالـرغـم من أن بعض فصول نظام الحماية كـان يعطي صلاحية " للمخزن" (الحكـومة المغـربية) فقـد دأبت السلطـات الاستعمارية تعمل على تجريـده من كل مظـاهر السيـادة

ووضعت يـدهـا على سـائر أجهـزة البلاد، لكن المغـرب بعـد نحـو من أربعين سنـة في الكفاح استرجع- بقيـادة جلالـة الملك محمـد الخامس- سيادتـه، وطفق يبني استقـلاله على أسس متينة ورشيـدة.

سلطان الطلبة :

والذي يعنى بتـاريخ القرويين لابـد أن يجد متعة في الحديث عن هـذه "العادة" التي اكتسبتها القرويين منذ فجر الدولة العلوية. لقد قرر العاهل المولى الرشيد أن يمنح عطلة ربيعية للطلاب الذين رافقوه في المعركـة ضد الإقطاعية، فأضافوها إلى العطل التي عرفـوها وأعطـاهـم " حق" تنصيب سلطان عليهم أثناء العطلـة، يرشح هـذا السلطان نفسه من بين الطلبة الآفاقيين بعد أن يشتري سلطنته " بالمزاد العلني" .

يعيش سلطـان الطلبـة في هـذا الجو المرح زهاء أسبـوع كـامل على ضفـاف وادي الجواهر من مـدينة فاس. والحديث عن سلطـان الطلبة جميل، والعادات التقليـدية التي كانت تجري بمناسبة تنصيبه تدل على مدى تكـريم السلطة المركزية للمعاهد العلمية ؛ فأنت تشهد سلطان الطلبة في جماعة من وزرائه وأعيان دولته، يستقبل عاهل البلاد الذي يزوره في حـاشيته، ويتبادل " الملكان " التحيـة، ولا تكاد أحيانا تميـز بين "ملك سبعة أيام" وبين الملك الحقيقي . . . ! وأخيرا يقفل العاهل إلى قصره بعد أن يقدم" للمملكة العلمية" أحمالا مـن السكر والسميد وقـوارير من الـزبد والسمـن، وأكياسا مـن النقود، وقطيعا مهما من الغنم !

الحجرة الأولى للنظام بالقرويين :

واستمـرت القرويين تقـوم بواجبهـا تلقـائيا، فكـان المعلمون يختـارون من الكتب الدراسيـة ما يشاؤون ومن الفنـون ما يتفق وأذواقهم، ولكن، في هـذه المرحلة أصبح من المؤكـد أن يفكر في سن نظـام لهذا القرويين. وقـد كـان الذي وضع الحجـرة الأولى لهذا النظـام هـو السلطان سيـدي محمـد بن عبـد اللـه (محمـد الثالث)، الـذي راح يكـون للقرويين " ملفـا" خاصـا بها سنة 1123 هـ (1788- 1789م). لقد أصدر مـرسوما لشيخ القرويين على ذلك العهـد يأمـــره فيه بتحديـــد المـــواد المدروسـة والكتب التي ينبغي أن يستعان بها على تلك المواد. وتشير كتب التـاريخ إلى أن هذا الاصلاح أمـر به العاهل بعد أن قـام باستشارات مع كثيـر مـن العلمـاء ومن ضمنهـم أساتذة من الكنانة (مصر)، مما يدل على مدى الأمل الذي كان يعلقـــه السلطان محمد الثالث على النهوض بمناهج القرويين.

أزيد من مائة وعشرين كرسيا وخزانة :

وتـؤكد المصـادر أنه كـان بفاس على هـذا العهـد أزيد من مـائة وعشرين كرسيـا لتـدريس العلم مـوزعة على مختلـف فروع القـرويين " المائتين والخمسين" المنبثـة في كل منعطف، وفي كل زقاق، عـلاوة على ست ومائة مدرسة أولية مـن بينها دور للفقيهات. ومن تلك الكراسي يـوجد عشرون كرسيـا بجامع القرويين نفسهـا يجري العمل في نيلها على نهج الأكاديميات الأصيلـة. . . . ومن غاب من أكابر العلماء نال كرسيـه آخر بعد مصـادقـة القاضي، وكل كـرسي لـه أستـاذه الخاص وكتابـــه الخاص ووقفـــه الخاص كذلك. ومع هذا فإن جل هذه المساجد يتوفر على خزانات علمية تحتوي على مخطوطات يستعين بها الطلاب.

خطوة ثانية نحو النظام :

ولقـد فتح ملف القـرويين من جديـد من لـدن السلطـان المولى عبد الـرحمان بن هشـــام. أصدر هذا العاهــل، بـدوره، ظهـــيرا إلى شيـخ القرويـين قاضـــي فاس في محرم 1261هـ (يناير 1885م) ينتقد السلطان فيه سير الدروس بـالقرويين وعقم الوسائل التي تتخذ لسير التعليم، ويدعو الأساتذة إلى تجديد المناهج والبرامج . . . .

البعثات وظهـور المطبعة :

وكان من أمـر السلطان سيـدي محمد بن عبد الـرحمان (محمد الـرابع) أن فكر في بعث هيئـة من الطلبـة إلى الشرق وإلى أوروبـا ليغترفـوا هنـاك من حيـاض العلـوم التي يهددها الـركود بـالقرويين، وفي أيـام هذا العاهل ظهـرت " المطبعة الحجـرية" بمـدينة فـاس، فكانت لها يـد قـوية في تشجيع حـركـة التأليف بين ظهراني علماء القـرويين ، واقتفى السلطـان المولى الحسن (الحسن الأول) نهج أبيـه فـوجـه البعـوث إلى مصر وإلى مختلف دول أوروبا . . وأعاد الحياة للمطبعة فبدأت تواصل جهودها.

فترة مقاومة :

وقـد تعرض رجـال القـرويين منذ أواخـر القـرن الثامن عشر- على الخصـوص - لحملة هـوجاء وجهها ضـدهم بعض الكتاب الإفرنج ممن وردوا على المغـرب في "بعثات خاصـة". لقد نعتـوهم بأنهم " يعادون كل تطـور" وطعنوا في معـارفهم وكفاءاتهم. . . ولعل من يعرف " مركـز القرويين" أيامئذ، والحظوة التي تنعم بها سـواء من لدن رجال السلطة أو الشعب، يدرك سر التوجـه إلى هؤلاء على الخصوص، وسر " الرثاء" على " مقبرة الفكر" بفاس!.

ولقد بسطت الحماية الفرنسية نفوذها على المغرب، وكان عليها أن تطمئن على ما يجري داخل القرويين التي تهيمن على " المدينة المجرمة" كما دعاها الجنرال موانيي، سيما وقد أعرب المولى يوسف، قدس الله روحه، عن رغبته في أن يتطور التعليم إلى حال أفضل. إن الحماية لا بد أن يكون لها "وجود" في القرويين أيضا! وهكذا، لأول مرة في التاريخ، تفصل الإدارة عن نظر القاضي ويتكون " مجلس" بحضور المسيو مرسي، والقبطان ميلي يوم الخميس 21 جمادى الثانية 1332 هـ (17 مايو 1914 م) ! وقد صدر في بداية عهد الملك محمد الخامس (محمد بن يوسف) ضابط سنة 1931، ينص على أن أطوار التعليم بالقرويين ثلاثة : الابتدائي والثانوي، والنهائي، وهذا يشتمل على قسمين للتخصص الديني والأدبي. لكن تقدم القرويين كان بالفعل أمرا متعذرا بل وغير مرغوب فيه.

ولما كانت صرخة الاحتجاج ضد السياسة البربرية قد نفذت من زوايا هذه القرويين فقد تعرض "علماء الشباب" للحرمان من اعتلاء الكراسي العلمية سنة 1932م، وأدرك الطلاب أن الوضع الحاضر يسير بهم إلى النهاية فاضربوا عن الدروس سنة 1937م. واستطاع العاهل سنة 1942 م أن يحصل على " شبه وفاق" من أجل تعيين خريج من جامعة السربون وأحد قدماء طلبة القرويين معززا لشيخ جامعة القرويين... وهكذا ظهرت فنون جديدة، ودأب" المجلس الأعلى" برئاسة جلالة الملك يهتم بالمعاهد الإسلامية الجديدة. وقد شعرنا حقا أن" بعثا " ينتظر القرويين أيام المدير الجديد، لكن توقيع وثيقة المطالبة بالاستقلال سنة 1944م كان كافيا للزج بالمنتسبين للقرويين في غياهب السجن. وبالرغم من أن القرويين اكتسبت- في هذه الفترة- معهدا للفتيات يؤهل للعالمية، فقد ذهبت سائر المحاولات أدراج الرياح من أجل الاصلاح الجذري... وعبثا أيضا كانت محاولات اللجنة الملكية للإصلاح سنة 1947م ... لقد توالت الأحداث ، وكان المشروع الجهنمي للجنرال جوان سنة 1951 م فرصة للإنتقام من القرويين باعتبارها مناهضة لمشاريع الاستعمار وأذنابه.

جامعة القرويين المنبعثة :

استرجعت المملكة المغربية سيادتها بقيادة محمد الخامس العائد من المنفى، فاستشرقت جامعة القرويين المجاهدة إلى ما كانت تتوق إليه، وقد فتح المغرب عيونه " بعد الاستقلال" ليجد نفسه فعلا أمام جيل مختلف التكوين : فريق قصرت ثقافته في الدراسات العربية والاسلامية، بينما قطعت صلة الفريق الآخر بها واقتصرت على معطيات اللسان الأجنبي، وكان الحل" المثالي الواقعي" الذي لجأت إليه اللجنة الملكية

الجديدة سنة 1957م يتلخص في تقرير توحيد البرامج لجميع المدارس بها في ذلك أطوار التعليم بالمعاهد الدينية، وتم تأسيس " المجلس الأعلى للتربية الوطنية " ، فخطا الخطوات الحاسمة سنة 1960م. وهكذا انصرفت الجهود إلى تحقيق مبدأ " التوحيد" في مرحلة أولى للتعليم تكون بمنزلة " جذع مشترك " تتفرع منه مرحلة ذات شعب في السلك الثانوي الثاني تؤدي، حسب مدتها، سواء إلى كلية الشريعة أو كلية اللغة أو كلية أصول الدين، وهذه الكليات هي التي سوف تحضنها جامعة القرويين المنبعثة على عهد الملك الحسن الثاني.

هذه القرويين التي ستنعكس عليها - دون شك- أمجاد تلك الإحدى عشر قرنا التي خطاها " المسجد الجامعة " منذ عهد الأدارسة، وهذه القرويين التي من حق كل مغربي بل وكل مسلم على وجه الأرض، ومن واجبه كذلك أن يعتز بها وأن لا ينسى أن هذا الإسم الأغر ظل منقوشا على الجبل وفي تخوم الصحراء ، وفي المدينة والقرية، ظل يغزو الجهالة والمروق في المجتمعات والأندية وفي كل مكان ، ظل ويجب أن يظل في عداد تراثنا الأثيل المجيد.



«.. إن تاريخ المغرب الثقافي العام ليكاد يكون كله كجوانب الرحى حول قطب فاس... وأنا... هل كنت إلا تلميذ علماء آخرين، وأجلهم وأكثرهم تأثيرا في حياتي الفكرية العلماء الفاسيون، وليت شعري كيف أكون لو لم أقض في فاس أربع سنوات قلبت حياتي وتفكيري ظهرا لبطن، ثم لم أفارقها إلا وأنا مجنون بالمعارف جنون قيس بليلاه...

فهكذا فاس، فهي الأستاذة أمس واليوم، وكل أنحاء المغرب تلاميذ لها.

● فقد تلقحت في جو فاس بما لو لم أتلقح به لما كانت لي فكرة، ولا تحركت بي همة؛ ولا نزعت بي نفس عزوف تقول بملء فيها :

لي همة عالية فذة

طموحها ليس له منتهى

لو ملكت كل الثرى لاعتلت

إلى امتلاك سدرة المنتهى

تكونت لي في فاس فكرة دينية فرقت بها ما بين الخرافات المموهة، وبين الروحانيات الربانية؛ كما نبتت مني غيرة وطنية نسيت بها نفسي ومصالحي الشخصية؛ فأعددت نفسي فداء لديني ولوطني ولأمتي التي هي أمة العرب والإسلام جمعاء وأنا بين هاتين : الفكرة والغيرة أسبح في آداب حية طلع بها هذا العصر الجديد».

محمد المختار السوسي

(انظر المعسول، الجزء الأول، ص. 15)



المعرفة الطبية التقليدية بجامعة القرويين *



عبد الوهاب التازي سعود

عميد جامعة القرويين

سيداتي سادتي،

لقاؤكم هذا ندوة علمية لمتابعة التكوين والاطلاع على ما جد في علم الطب. وقد أبيتم إلا أن تجعلوه تحت شعار "دورة الطبيب الكحاك" أحد أطباء فاس في القرن الماضي؛ وهو عمل مشكور، لأنه يجعل أطباءنا وهم يجتهدون في إتقان العلوم الحديثة ومكتشفاتها وتقنياتها في اتصال مع تراثهم الذي يثبت هويتهم ويؤكد حضورهم خلال التاريخ، ويحيي ما حققه آباؤهم من منجزات في كل الميادين، وعلى الخصوص في مجال الطب الذي كانت لهم فيه صولات وجولات مشرفة، مازالت تُذَكِّر بنسبهم العلمي العريق والثقافي الأصيل، الممتدة جذوره في التاريخ؛ وفي ذلك أيضا ربط للحاضر بالماضي لإحياء معرفة جهود الآخرين التي بدونها لم يكن العلم ليصل إلى ما وصل إليه اليوم ويحقق ما حققه؛ كما أنها تمكن من معرفة حقيقة التطور والأشواط التي قطعتها الإنسانية وهي تتقدم في مسيرتها المستمرة لبناء غد أحسن ومستقبل أكثر إشراقا وأمنا وطمأنينة.

*) نص المحاضرة التي ألقاها الأستاذ العميد خلال الأيام الطبية الثامنة التي نظمتها الجمعية الطبية لمدينة فاس، تحت شعار : «الدكتور الحاج محمد بن أحمد الكحاك» بفاس، 21- 22 أبريل 1995. شكرنا الجزيل لسيادته على تفضله بالسماح لنا بضمها لهذا الإصدار.

ولعله لا حاجة إلى التذكير بالعناية الكبرى التي أولاها المسلمون للطب، والتقدير الكبير لرجاله حتى قالوا : «إن علم الأبدان مقدم على علم الأديان»، وذلك لإيمانهم بأن العقل السليم في الجسم السليم. وقد ذكر صاحب كتاب **زهرة الآس** أنه «لا تستوطن إلا بلدة فيها سلطان حاكم، وطبيب ماهر، ونهر جار، وقاض عدل، وسوق قائم». فوجود الطبيب الماهر إذن من آكد الشروط لاستيطان بلد ما، لأنه لا يستغنى عن علمه وعمله، ولا يمكن أن يعيش الإنسان بدونه.

وإن الإنسان ليعجب من كثرة المؤلفات والمخطوطات العربية في علم الطب، وقد أحصيت فزاد عددها على الألف في مختلف أنواع هذا العلم وتخصصاته؛ عاش أصحابها كذلك في مختلف العصور الإسلامية، وتلقى خلفهم عن سلفهم العلم وتابع النظر والتأليف فيه حتى تكونت تلك المكتبة الطبية العظيمة التي مازالت ماثلة للعيان تذكر ببراعة الأجداد وتفوقهم وتفننهم وبفكرهم العلمي الرائع.

وقد اهتم المؤرخون بكتب الطب ومصطلحاته وبالأطباء وخصوهم بالذكر في الموسوعات العامة التي تؤرخ للثقافة العربية ككتب التاريخ وفهرسة ابن النديم التي أفرد صاحبها لهم فصولا خاصة بهم وبمؤلفاتهم تذكر تراجمهم وأجيالهم وثقافتهم وفكرهم وأعمالهم.

أما كتب الطبقات **كتاريخ الحكماء** لابن القفطي **وعيون الأنباء في طبقات الأطباء** لابن أبي أصيبعة فقد أرخت لهم ولعلمهم. كما أن للمستشرقين، وعلى رأسهم الألمان، مؤلفات مهمة في الموضوع تعرف بالطب العربي ورجاله وتذكر منجزاتهم وتبدي إعجابا بالغا بآرائهم وأفكارهم وبحوثهم.

والناظر في هذه المؤلفات يلاحظ أن الطب بدأ بسيطا عند المسلمين ثم عرف تطورا كبيرا على يدهم بعدما فتحوا صدورهم واسعة لتلقي ما عند الأمم الأخرى فنقلوه إلى العربية، واطلعوا على تراث الهند والفرس واليونان، ثم اشتغلوا لأنفسهم وأبدعوا إبداعات لم يعرفها سابقوهم وحققوا إنجازات يشهد لهم بها التاريخ والمنصفون من المؤرخين والعلماء الباحثين؛ فهم لم يكونوا فقط حلقة اتصال وتوصيل للعلوم القديمة -وعلوم اليونان على الخصوص- كما يدعي بعض المغرضين اليوم حينما ينكرون عليهم كل إبداع وابتكار، ويقولون إنهم إنما حافظوا فقط على القديم الذي أخذته منهم أوربا في مطلع نهضتها لتزيد فيه وتوسعه وتطوره. وهذا الموضوع يكون إحدى إشكاليات تاريخ العلوم اليوم، ففي الوقت الذي تنصف فيه جماعة من الدارسين التراث العربي الإسلامي وتعترف بأهميته وبجديده يأبى بعض المؤرخين من المتعصبين الجاهلين الذين

أغواهم التعصب وأعمتهم المركـزية الأوربية (L 'Européocentrism) فصاروا يـرون أن كل جديد إنما صدر عن الإغريق الأوربيين قـديما أو عن أوربا بمختلف شعوبها بعد النهضة الحديثة، وينكـرون على الشعوب والحضـارات الأخرى كل إبـداع ومشاركـة فـلا يرون للعرب سـوى التوسـط والمحافظة على التراث القـديم؛ ولو كلفـوا أنفسهم مشقـة دراسة واستخراج دُرر هذا التراث، وقـارنوا بينها وبين المعرفة القديمـة الواردة في كتب الإغريق مثلا، لعـرفوا وآمنوا بـالدور الفعال والجهـود التي قام بها علماء المسلمين ومـا حققوه من إنجازات لا ينكرها إلا جاحد جاهل متعصب.

ثم إن كثيرا من المؤلفـات الطبية العـربية نقـل إلى اللغة الـلاتينية وبقى يـدرس في جامعات أوربا إلى بدايـة القرن الثـامـن عشر؛ ويذكر بعض مؤرخي العلوم أنهم عثروا على مؤلفات عربية مسروقة بأكملها ترجمت إلى اللاتينية وأُغْفل إسم مؤلفها العربي ووضع مكانه اسم آخر اشتهر به الكتاب على أنه مُـؤلِّـفٌ له بينما هو، كما قلنـــا ،مسروق من التراث العربي.

لذلك فالتراث العـربي كلُّه، والطبي منه على الخصوص، مـازال في حاجة إلى من يعتني به ويـدرسه ويعيد نشره بـاعتباره معرفة تـاريخية تراثيـة مازالت لها قيمتها الثقـافية الكبرى، ومن يستطيع القيـام بهذا العمل سوى الأطباء من حفـدة المؤلفين قبل غيرهم؟ فهم وحدهم الـذين يملكون العلم الكافي لفهم النصـوص القديمة ودراستها وإخـراجها في حلة فنية جـديدة كنصوص لها قيمة ثقـافية ولغوية تثبت حقـوق الآباء ومساهمتهم في بنـــاء صرح العلوم الحديثة، وتتحدث عن بعض الأسبقيات التي أثبتتهـا أوربا لعلمائها حينمـــا تحدثوا عنهـا لأول مرة وهـم لايعرفون أنهم مسبـوقون بـذلك في نطـاق حضارة أخرى متقدمـة عليهـم، هـي الحضـارة العـربية الإســلامية التـي عـرفت ازدهـــارا كبيرا في العصور السابقة.

- يقول الطبيب ابن النفيس الذي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي وقدم أول حديث عن الدورة الدمويـة في الشرايين، في معرض مخالفته لابن سينا : « وجَعْلُه الدم في البطين الأيمن، منه يتغـذى القلب لا يصح البتة. فإن غـذاء القلب من الدم المنبث فيه من العروق المنبثة في جرمه (جسمه)».

* * *

حينما اختط المولى ادريس مدينة فاس دعا دعاءه المشهور: «اللهم اجعلها دار علم وفقـه »، ومنذ كـانت وهـي مـأوى العلـم والعلمـــاء وأهـل الفـــن، استوطنتهـــا

الأعــداد الكبرى من الفقهاء والصلحاء والأدباء والأطباء كما قال صاحب **السلوة** الشيخ ابن جعفر الكتاني.

وللقرويين التي شرع في إنشائها أربعين سنـة بعد اختطاط المدينة، الفضل الأكبر في ذلك لأنها كانت دائما منـارة للدين والعلم في الغرب الإسـلامي كله، قصدهـا الطلبة والعلماء لما توافر في محيطهـا العلمي من حرص على الدراسة والتعمق في المعـرفة، ولكثرة مدارسهـا التي تضمن للطـالب الوافد عليهـا السكن والمأكل والمشرب، ولتعـدد المكتبات التي يجد فيها ضالته من الكتب المقررة عليه في الدراسة. لقد كانت لجامعة القرويين منذ نشأتهـــا مكتبـة زاخرة بـالمؤلفات، وفـــي القرن الـرابع عشر صارت لها مكتبتـان على الأقل، إحـداهما خاصـة بـالباحثين وثـانيتهما للطلبـة، يستعيرون منهـا ما يشـاؤون من المصادر للدراسة بها ونقلها ثم إرجاعها بعد الاستغناء عنها وإتمام دراستهم.

ماذا كان الطلبة يدرسون ؟

نترك الجواب الأول عن هـذا السؤال لأحد العلماء الأقـدمين وهو علي ابـن ميمون الذي قال متحدثا عن فـــاس : إنه « ما رأى مثلها ومثل علمائها في حفظ نصوص كل علم، مثل النحو والفـرائض والحساب والمنطق والتوحيـد والبيان والطب وســـائر العلوم العقلية». وقد ازدهـرت دراسة الطب بفاس منذ وقـت مبكر، إذ يحدثنا التـــاريخ عـن وجود مدرسة طبية بهـــا منذ القرن الهجري الرابـــع.

وكان لطلبة القرويين اعتناء كبير بعلم الطب، فماذا كانوا يتعلمـــون؟

كانوا يستعملون بالطبع المؤلفات العربية الكبرى مثل **الكـــامل** للرازي و**القانون** و**المنظومة** لابن سينا و**زبدة الطب** للجرجـانـــي و**كليات** ابن رشد و**تذكرة الأنطاكي** و**مفردات** ابن البيطار وغيرهـــا كثـــير.

وإذا أردنا التدقيـــق فـــي مـادة الدراســـة فإن محتويـات كتب الطب المستعملة تنبئنا بذلك.

بعـد قراءات متأنيـة في بعض مـا نشر منها نعثـر على حـديث شيق عن علـــم الطـــب كمـــا عرفه الطبيب المجوسي بأنه : « أفضل العلوم وأعظمها قدرا وأجلها خطرا وأكثرهـا منفعـة لحاجـة جميع الناس . . . وهـو يبحث في حفـظ الصحـة على الأصحاء وردها على المرضـــى»، وكمـــا عـرفه ابن سينا أيضا بقوله: «إنه حفـــظ الصحة وشفـــاء مرض». وقسموا الأمور العملية فيه إلى قسمين :

1 - الوقـاية وحفظ الصحة.
2- مـداواة الأمراض بالغذاء والدواء أو بهما معـا أو بالعـمل بالـيد (الجراحة).
ونقرأ في مختلف هذه المصادر عن مبادىء هامة تتلخص في :

- تنظيم المهنـة وتأسيس المستشفيـات العـامـة والخاصـة التي تنشأ للمصـابين بالأمراض العقليـة أو بالجذام في الوقت الذي كـان فيه فيليب لوبو، ملك فـرنسا، يأمر بحرق جميع المجذومين.

- ذكر الأوبئـة ومـا يتخذ ضدهـا من تدابير وقـائية وعـلاجية بحسـب ما كـان معروفـا آنذاك.

- الاهتمـام بـالتشريح والعمليـات الجراحيـة وتضميـد الجروح ومعـالجة التعفن والتقيح وجبـر الأعضـاء المنكسرة وتسوس الأسنـان وقلعهـا والتوليـد وتبنيج المريض ومعالجة العيـون.

- العنـايـة بـالمرضى في السجـون ووصف المعـالجة وطـرق العمل بـالمستشفيـات والآلات الجراحية القـديمة والأمراض السـارية وهي المعديـة؛ فقد لاحظ ابن الخطيب، الطبيب الأديب «أن من خـالط أحد المرضى المصابين بمـرض سار أو لبس من ثيـابه ابتلي بالمرض ومن لم يخالط المرضـى نجا من العدوى»، كما أن ابن سينـا كان يـدعو إلى تبديل الهواء في الأمراض الرئوية.

- النصح بحسن التغذيـة وتناسب الملبوس مع الفصـول والأساليب الوقـائية وعلى رأسها الطهـارة والحمامات المتوفـرة التي كان عـددها يزيـد على المئات ببغداد والقـاهرة ودمشق وقرطبة وفاس.

أما الأطبـاء فنجد منهم أنواعا : بعضهم مُمَحَّضـون للمهنة يزاولونها ويتعاطونهـا وحدهـا، وبعضهم كانـوا علماء وفقهـاء وأدباء ذوي ثقافـة متنوعة في نفـس الوقت.
ذكر ابن فرحون في **الديباج**:

- أن محمد المازري كان يفـزع إلـيه النـاس في الفتـوى في الطب كما يُفزع إليه في الفتوى في الفقه؛ أما أحمد أدراق فكان طبيبا شاعرا له منظومة وأراجيز في الطب.

- وكان سليمان الفشتالي، قاضي فـاس، متوغلا في العلـوم القديمة عن طريق أهل الحكمة، ومن جملة ما أُخِـذَ عنه الحساب والطب.

- وأحمد بن محمـد ابن الحاج كان، هـو أيضا، نموذجـا للعالم الطبيب صـاحب التآليف المعروفة.

- وإلى جانب هؤلاء كانت هناك عـائلات اشتهرت بتوراث الطب ومزاولته رجـالا ونساء؛ جاء في **نشر المثاني** للقادري، عنـد ترجمة الطبيـب الماهر أبي عبـد الله أدراق

السوسي الفاسي، أن «أقاربه كانوا هم المنتصبين في عصره بفاس للعلاج ولهم مهارة وذوق سليم في الطب ويتحفظون من العلاج بالخطير من العقاقير والأدوية والأمور السامة ولم نسمع عن أحد أصابته آفة من علاجهم».

وهذه الأسماء إنما هي للتذكير بأن مهنة الطب العلمي العارف كانت سائدة بين العلماء كما كانت لأصحابها منزلة كبرى في المجتمع ولدى الأمراء والملوك الذين يقربونهم ويكرمونهم لما يتحقق على يدهم من خير عميم وبركة للناس.

ولم تكن مزاولة مهنة الطب متروكة للجميع بل كانت دائما مراقبة محروسة من لدن المحتسب الذي يتتبع القائمين بها ويمتحنهم ويضرب على أيدي الجهلة منهم، فهو المسؤول عن كل ما يتصل بالصحة العمومية وعن طهارة المدينة وتنقية الأزقة ومحاربة الغش بكل أنواعه وفي جميع المجالات : ذكر الشيرزي في كتاب **نهاية الرتبة في طلب الحسبة** أن المحتسب كان يحلف الأطباء ألا يركبوا لأحد سما ولا يذكروا للنساء الدواء الذي يسقط الأجنة ولا للرجال الدواء الذي يقطع النسل، والغض عن المحارم وعدم إفشاء الأسرار والتوفر على جميع الآلات اللازمة لعملهم.

ومن تنظيمات المهنة ما ذكره الحسن الوزان الفاسي «ليون الإفريقي» من أن العقاقيريين بفاس كانوا يجتمعون كلهم لتركيب الأدوية ثم يرسلونها إلى دكاكينهم لتوزيعها حسب الوصفات التي ترد عليهم.

* * *

كانت الدراسة بجامع القرويين تتوج دائما بشهادات وإجازات يمنحها الأساتذة لطلبتهم في كل العلوم والفنون، وحينما يحصل الطالب على قدر وافر منها يستطيع الشروع في التدريس في المساجد الصغرى، أولا، قبل أن يعتلي كرسيا من كراسي الجامع الكبير لتذيع شهرته ويعترف له بالعلم وبالانتظام في لائحة العلماء.

وإذا كنا نعرف إجازات وشهادات متداولة في كل العلوم اللغوية والدينية التي كانت تدرس، فإن الإجازات الطبية قليلة لأسباب عديدة منها :

- أن جلها يكون قد ضاع كما ضاعت كثير من الوثائق عبر التاريخ وذلك لأن أصحابها بعد ثبوت أهليتهم وذيوع شهرتهم لا تبقى لهم حاجة بها فيهملونها فتضيع.

- أن مزاولة مهنة الطب لا يعول فيها على الشهادة فقط بل على المزاولة والاتصال المباشر مع الأستاذ المعلم وهو ما يطلق عليه «المريدية» التي هي ملازمة الطالب لأستاذه

ملازمة ضيقة في أوقات الدراسة وغيرها ليأخذ عنه علمه كله ويتلقى مناهجه وطرقه وأساليبه في العمل تلقيا مباشرا ويشتهر بصحبته فيصبح خلفا له يرث علمه وربما كرسيه في التدريس.

* * *

بين يدينا إجازة صادرة بفاس سنة 1832 للطبيب محمد ابن الحاج أحمد الكحاك الذي توفق منظمو هذه الدورة بإطلاق اسمه عليها تكريما له ولزملائه الأقدمين في مهنة الطب بفاس خاصة والمغرب عامة. وبعد قراءتها يتبين أنها مهيكلة على الشكل التالي:

- مقدمة في حمد الله وشكره على نعمه.
- افتتاحية تتحدث عن أهمية مهنة الطب عند المسلمين مع بعض أقوال النبي ﷺ والحكماء في الموضوع.
- التعريف بالطبيب صاحب الإجازة، وإذن القاضي بتلقي الشهادة بتاريخ 1248 هـ في عهد السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام.
- إثبات العدلين المتلقيين للشهادة.
- نص الشهادة، وفيه ذكر لصفات المرشح لها وأهليته وحسن سيرته وصلاحه ومعالجته للضعفاء بغير أجر وتوافره على كل الشروط المنصوص عليها في كتب الطب جملة وتفصيلا وهي المعلومات التي يجب أن يعرفها ويتقنها ليعد من أهل المهنة.

ثم تلي ذلك لائحة بأسماء الشهود وعددهم ثلاثة وستون شاهدا، يكونون أربع مجموعات:

- مجموعة الشرفاء،
- مجموعة التجار،
- الحجامون العارفون بمعالجة الجراحات،
- الأطباء.

وفي الأخير توقيع العدلين وتصديق قاضي فاس حين ذاك وهو علي بن عبد السلام التسولي.

وعند قراءة هذه الإجازة نجد أنها إجازة تتويج واعتراف بعلو المنزلة لا شهادة تأهيل أولى فقط تمنح صاحبها الإذن بالعمل لأن الموقعين يشهدون له بالمعرفة وطول الباع في علوم الطب والنجاح في مزاولته.

ولذلك فصاحبها يدخل بها في زمرة النظار البارعين لا في عداد الأطباء المزاولين للمهنة فقط.

ماهـي أهمية هذا الحديث، مرة أخرى ؟

إن له فوائد عديدة نذكر منها على الخصوص :

1 - الحض على المعرفة المهنيـة التاريخية، لأن معرفـة التراث واستحضاره في وعينا ضرورة حضارية أكيدة بحكم تاريخية الإنســان في مواجهة التطورات والتقلبات التي تغير نظم العقل والواقع والقيم والشعور .

2- هذا الحديث قراءة نقدية تاريخية عاطفية لتراثنا تتمحور بين الموضوعية العلمية من جهة، وبين الذاتية والتعاطف والانصاف من جهة أخرى.

فيه تعاطف مع آبائنا وما حققوه، ونحن نتجاهله ونتناساه، وفيه أيضا إنصاف لهم ولأنفسنا حتى لا نظهـر بمظهر الطـارئين على العلم من أولئك الذين لا تـاريخ لهم ولا مشاركة ولا ثقافة ولا معرفة كما يريد لنا غيرنا، بل كما يصر على تصنيفنا.

في هـذا الحديث أيضـا استكمال لمعـرفتنـا بحاضرنـا وواقعنـا من خـلال معـرفتنـا بتحققات ذاتنا التاريخية عبر العصور.

إنـه محاولة تنـويريـة من شأنها أن تـدفع بنا إلى صنع مستقبل يكـون أكثر إنجـازا وإشراقا؛ فيهـا تذكير بالمشاركـة العربية الإسـلامية عامـة والمغربية خاصـة في الإنجازات الطبية التي تحققـت عبر التاريخ؛ فقد اتصـل المسلمون - كما قلنا من قبـل ونكرره الآن لئـلا ينسى - بالحضـارات الأخرى منـذ بدإ نهضتنـا وتفتحوا عليهـا، وفتحوا لها قلـوبهم وعقولهم، واقتبسـوا منها بالترجمة ثم أبـدعوا وأتوا بـالجديد الذي لم يكن معـروفا من قبل استجابة لدعوة الإسلام في الحظ علـــى طلــب العلـــم، وطبقا لحرصهم على تعميق المعرفة والبحث والدراسة.

معرفـة هذا التراث تخدم الثقـافة العـامة والتكـوين الشخصي وتساعـد على اتساع الآفاق لدى الدارسين العلماء.

وقـد كان في القـديم، كما هـو الحال اليوم رغـم تقدم العلــوم واتســاع نطاقهـا، درجات في الطب :

- الطب العالم العارف المتحضر المبني على الأسس والنظـريات العلمية التي توصل إليها الإنســان في تلك العصور والتي ترسبت في مـؤلفات الأطباء العلماء؛ وقـد قلنا إن المخطـوط منها يتجـاوز اليوم الألف، وفي ذلك دليل على وفـرة مادة هـذا العلم وتنوعـه وتجدده عبر العصور بتجديد ومعاودة التأليف فيه.

- الصنف الثاني ينحصر في كلام وتظاهرات المشعوذين الذين لا يخلو منهم زمان أو مكان، لكن الذي يعاب علينا اليوم وعلى أطبائنا بالخصوص أنهم يظنون، عند الحديث عن الطب القديم، أنه هو الذي يشاهد عند «أطباء» و«بائعي الدواء» الذين نعثر عليهم في حلقات رأس القليعة، وساحة ابن البغدادي بفاس، أو ساحة جامع الفنا بمراكش ظانين أنها حقيقة الطب القديم، بينما هي عمل المشعوذين المتطفلين على المهنة. وبذلك يكون في التعرف على تراثنا الخالد بناء لشخصيتنا وتعميق لثقافتنا ومحافظة على هويتنا، لأن محاولة معرفته بطريقة علمية والرجوع إلى مصادره والعمل على إحيائه من لدن الاختصاصيين والعودة إليه - في أوقات الفراغ على الأقل -، لا يعني الوقوف عنده وإنكار الجديد وإحلاله مكانه؛ بل إنما ذلك للتأكد فقط من أن الإنسانية قطعت أشواطا كبيرة في تطورها، وأن الأطباء المسلمين -والمغاربة على رأسهم- شاركوا في هذه المسيرة المضيئة وأبدعوا وأجادوا.

لقد ترك أطباؤنا وعلماؤنا تراثا منقطع النظير، فلنعمل نحن أيضا على التجديد والابتكار ليكون لنا اليوم إنجاز يصبح غدا تراثا يفتخر به آبناؤنا من الأجيال القادمة ويتخذونه مثلا في عملهم، يعينهم، بدورهم، على الظهور والبروز والتميز بما يحققونه من عطاء وما يشاركون به من إبداع وابتكار يعترف لهم به التاريخ كما فعل آباؤهم من قبل.



رئيس الجامعة

يحدد نص الظهير الشريف رقم 1.75.102، الصادر بتاريخ 13 صفر 1365 الموافق لـ 25 فبراير 1975 ، مهام رئيس الجامعة فيما يلي :

يشرف على كل جامعة رئيس يعين بظهير شريف، ويتم اختياره من بين أساتذة الجامعة باقتراح من السلطة الحكومية المكلفة بالتعليم العالي، (الفصل 6 من الظهير الشريف).

ويتولى الرئيس تنفيذ مقررات السلطة الحكومية المكلفة بالتعليم العالي في ميداني التعليم والبحث العلمي. وينسق أعمال المؤسسات الجامعية باتصال مع مجلس الجامعة.

ويقوم الرئيس أو يأذن في القيام بجميع الأعمال أو العمليات المتعلقة بالجامعة ويعمل باسمها.

ويمثل الجامعة إزاء الغير، ويقوم بجميع الأعمال التحفظية، ويؤهل لتمثيلها أمام المحاكم.

ويقبل الهبات والوصايا المقدمة لفائدة الجامعة شريطة أن لا تترتب عنها تحملات، أو تقيدها شروط أو بيانات عقارية. أما إن ترتب عنها شيء من ذلك، فإن قبولها أو رفضها يثبت بقرار مشترك لوزير المالية والسلطة الحكومية المكلفة بالتعليم العالي، (الفصلين 6 و7).

ويقوم الرئيس بتدبير شؤون مصالح الرئاسة والمصالح المشتركة للجامعة، ويساعده في تسيير شؤون الرئاسة كاتب عام وموظفون إداريون، (الفصل 8).

يتولى رئيس الجامعة وضع مقدرات الميزانية المتعلقة بالمصالح المشتركة التابعة للجامعة، وهو الآمر بدفع الاعتمادات من القسم المتعلق بنفقات ومداخيل المصالح المشتركة التابعة لرئاسة الجامعة، (الفصلين 12 و 13).

يتولى رئاسة مجلس الجامعة ويرفع اقتراحات هذا المجلس إلى السلطة الحكومية المكلفة بالتعليم العالي، (الفصلين 17 و 19).

« ..وها جلالة الملك الحسن الثاني، حفظه الله، يعلي البناء ويسير بالامة نحو البناء المنشود في ظل تعاليم الاسلام الخالدة وتقاليدنا الطيبة الموروثة. وفي هذا النطاق جدد جلالته لجامعة القرويين نظامها وأرساه على قواعد ثابتة تضمن لها السير في طريقها الأرشد، وتصمم مناهجها بما تدعو إليه وضعية الكفاح الفكري المتجدد، وتحيي ما اندرس من فنون أصبحت من ضروريات العصر التقني الذي نعيشه مع المحافظة على قداسة الرسالة الخالدة التي حملت الجامعة مشعلها منذ سنوات عديدة، تزيد عن ألف عام ومائة عام.

وتحقيقا لهذه الغاية الشريفة المنتظرة من جامعة القرويين جعل لها *رئاسة* ترعى مصالحها وتتحمل مسؤوليتها حتى تستعين، بحول الله وبرعايته السامية، على أداء هذا الدور العظيم المنوط بها لأنه خير من يتفهم جامعة القرويين وما تدعو إليه وتتوق لتحقيقه، فهو الخبير بدروسها، العالم بأنظمتها، الحريص على تقدمها ونشاطها.

● هذه الجامعة الاسلامية التاريخية العريقة الاصيلة(...)، يسرها ويسعدها، وهي تعيش فرحة مستبشرة عهدا جديدا ومشرقا مزدهرا من تاريخ عمرها في رحاب العهد الحسني الزاهر،

● يسرها ويسعدها، وهي تعيش فترة انطلاقتها الجديدة، أن تقدم هذا *الدليل* ليكون وثيقة معلومات ميسرة عن الجامعة، يساعد الطلاب والباحثين وهيئة التدريس وجمهرة المثقفين. ففيه بيانات عن نشأة جامعة القرويين وتطورها، وعن المجالس والهيئات الجامعية وعن الوحدات الادارية وتقسيماتها، وعن الكليات التابعة للجامعة مع الخطط الدراسية، وبرامج الدرسات العليا، فضلا عن مجموعة من الانظمة والتعليمات المتصلة ببعض ما ذكرنا. كما سيجد الطالب والراغب في هذا *الدليل* كل ما يهمه معرفته من تعليمات القبول والتسجيل والتوجيه والارشاد، وما تسهم به الجامعة وتسعى إليه من خلق تعاون ثقافي وعلمي مثمر مع كثير من الجامعات والمؤسسات داخل البلاد وخارجها.

● إن الهدف من إصدار هذا *الدليل* هو أن يكون مرجعا يستفيد منه كل من يطلع عليه من المعنيين بشؤون الدراسات الاسلامية والفقهية والاجتماعية والقانونية، وخاصة الطلبة وأولياء أمورهم.

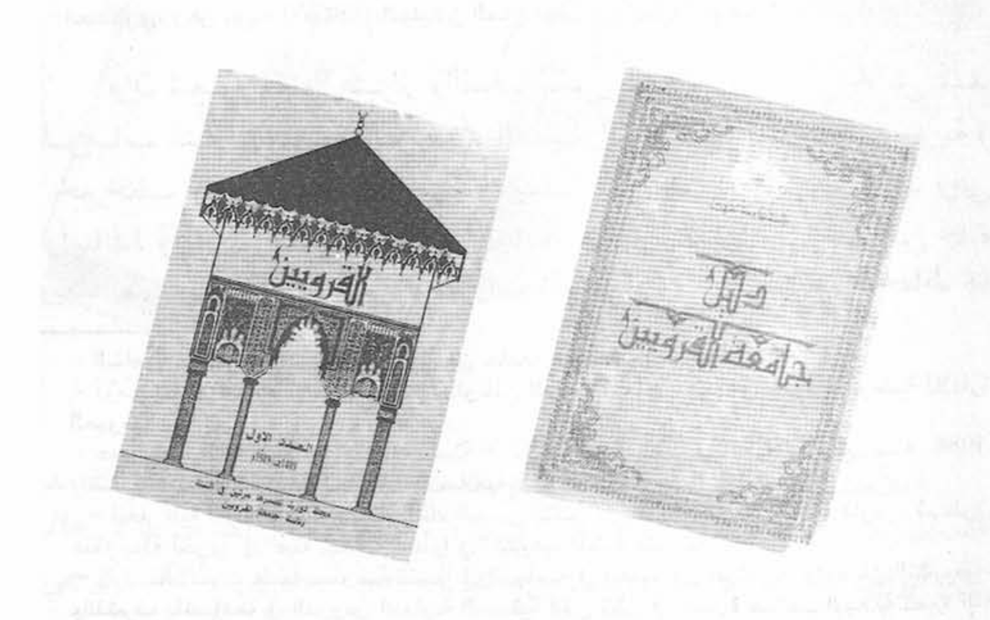
ادريس العلوي العبدلاوي ـ رئيس جامعة القرويين

(انظر دليل جامعة القرويين، 1990، تقديم، ص. 8-14)

تحيـــة..!

نجدد، بمناسبة هذا الإصدار، تهانينا الصادقة للأستاذ الجليل الرئيس السـابق لجامعـة القـرويين ادريس العلـوي العبـدلاوي(*) بأن كـان أول رئيس/ عميـد لهذه الجامعـة العتيـدة في نظامهـا الجديـد على العهـد الحسني الزاهر، وبتوفقه وتفوقه في الجهود التي بذلها من أجل ترسيخ أسس رئاسة هذه الجامعة وقواعدها، كما يشهد بذلك «**دليل جامعة القروين**» الصادر سنة 1990 عن رئاسة الجامعة، و«**مجلة القرويين**» التي صدر عددها الأول سنة 1989.

دعاؤنا له بالمزيد من التوفيـق في أعماله العلمية والفكرية عضوا متميزا ضمـن الخـالدين في رحـاب أكاديميـة المملكـة المغربيـة وفي شتى مجالات العلم والمعرفـة.



(*) **بيان حياة موجز**:

– حـاصل على شهادة الاجـازة في الحقـــوق، وشهـادة الدراسـات العلـيا في القانـون المـدني وشهادة الـدراسات العليا فـي العلـوم الجنائيـة، ودبلـوم الـدراسـات العليـا في القانـون =

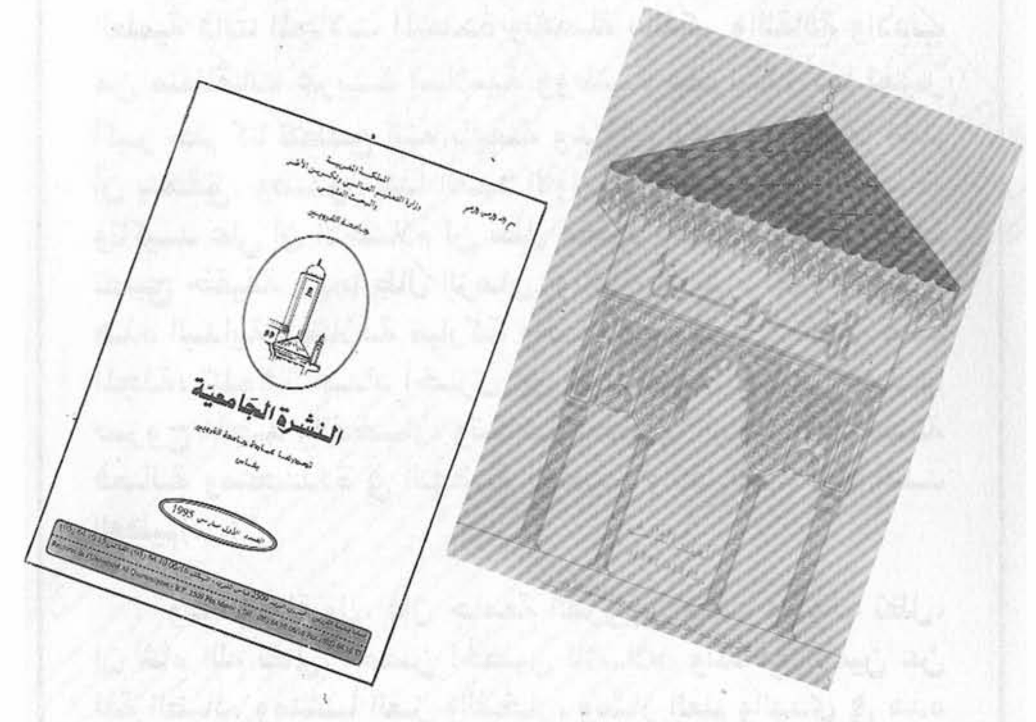


يتوسط الصورة الأستاذ الجليل أحمد بنسودة وعن يساره الأستاذ الجليل ادريس العلوي العبدلاوي، وعن يمينه الأستاذان الجليلان الحاج أحمد ابن شقرون وعبد الوهاب التازي سعود

وإن شعورنا بالاعتزاز والفخر لكبير بأن كان الأستاذ الجليل عبد الوهاب التازي سعود الرئيس/ العميد الثاني لهذه الجامعة القروية، خيرخلف لخير سلف، وبما أضفاه ويضفيه، مع الثلة المتميزة من قيد ومي وأساتذة وإداريي الكليات التابعة للجامعة، على منهجها وبرا مجها من جدة وبعد نظر ورغبة في مسايرة التطورات المعاصرة مع الحرص على الحفاظ لها

= الخاص، ودكتوراه الدولة في الحقوق من جامعة محمد الخامس بالرباط.
– دَرَّسَ بكلية الشريعة بفاس، وبالمعهد الوطني للدراسات القضائية، وبالمدرسة الوطنية للادارة العمومية.
– عين عميدا لكلية الحقوق بمراكش سنة 1979، ثم عين رئيسا لجامعة القرويين سنة 1986، وانتخب أمينا عاما لرابطة الجامعات الاسلامية سنة 1988.
– أنعم عليه أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني بوسام العرش من درجة فارس، ثم طوق عنقه بمنة أخرى إذ عينه جلالته عضوا في أكاديمية المملكة المغربية.
– زاول نشاطات علمية متنوعة تتجلى في إسهامه في العديد من المؤتمرات واللجان التشريعية، والتشرف بالمساهمة في الدروس الدينية الحسنية التي تلقى في حضرة صاحب الجلالة نصره الله خلال شهر رمضان الأبرك.
– أثرى الخزانة العربية بالعديد من المؤلفات في مادة القانون والتشريع مما تطول اللائحة بذكره، كان أول إصدار له سنة 1971 تحت عنوان «وسائل الاثبات في التشريع المدني المغربي» وقد حصل هذا الكتاب على جائزة المغرب. وآخر ما صدر له كتابه القيم: **نظرية العقد**.

على أصالتها ومميزاتها كجامعة إسلامية عتيدة، كما يبدو ذلك واضحا في الأعداد الصادرة لـ «مجلة القرويين» التي تابعت صدورها تحت إشرافه، موثقة، بالإضافة إلى طبيعتها كمجلة، لأعمال الندوات التي تنظمها عمادة الجامعة، كما يتجلى التجديد أيضا في «النشرة الجامعية» التي تصدر عن هذه العمادة محققة بذلك صلة وصل تعرف بنشاطات عمادة الجامعة وكلياتها، وتطلع الجماهير المتعطشة إلى أخبار الجامعة القروية على إنجازاتها الحالية وتوجهاتها المستقبلية.

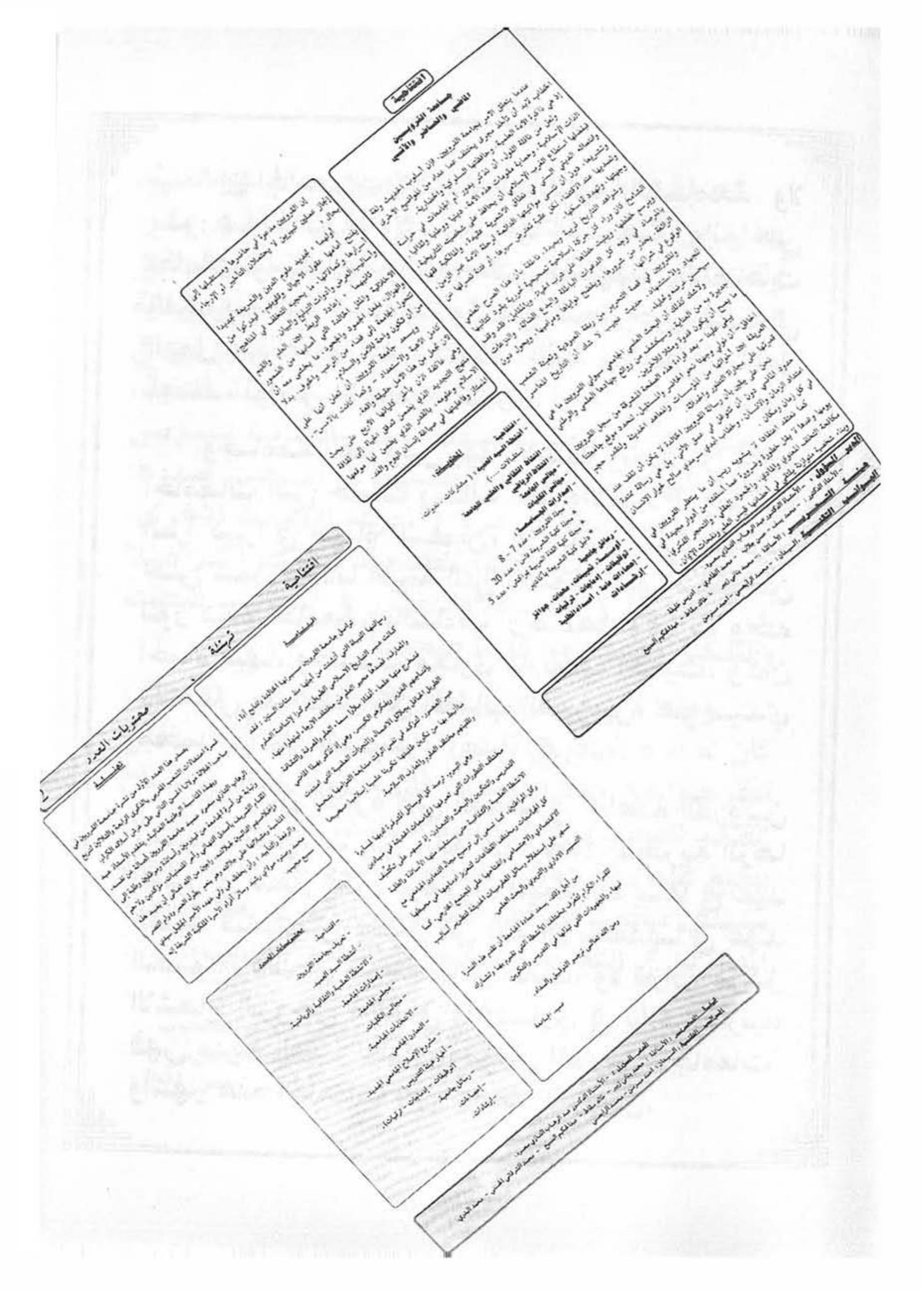


فللأستاذين الجليلين دعاؤنا بالمزيد من التوفيق والسداد حتى تقتعد جامعتنا الإسلامية المكانة اللائقة بماضيها، وتحقق الدور المنوط بها في عالم على أبواب القرن الواحد والعشرين بكل الزخم الحضاري والتكنولوجي المهول، وبما هو في حاجة ماسة إليه من رعاية للقيم الاخلاقية الانسانية التي تعيد للانسان كرامته واعتباره. «وعلى الله فليتوكل المتوكلون»، صدق الله العظيم.

• كم يسعد هذه الجامعة الآن(...) أن يتاح لها إصدار هذا *العدد الأول من المجلة* الناطقة باسمها، المبلورة لنشاطها التي ترى النور لأول مرة لتكون بصدق خير شاهد على مستوى الإبداع وقيمة العطاء وحجم الاسهام في وضع أسس النهضة العلمية ذات المجالات المتعددة والمتصلة بالفكر والثقافة والأدب من منطلقات عربية إسلامية ووطنية مغربية، كما تعتبر أكبر حلم كنا نتطلع إليه بلهفة وشوق، وكان لابد لهذا الحلم أن يتحقق. وصدور هذا العدد الأول هو تجسيم لارادة الحياة، وتأكيد على أن الأحلام لن تظل مجرد أحلام وإنما سوف تصبح حقيقة مهما طال الزمان. ونأمل، إن شاء الله، أن تكون هذه البداية انطلاقة مباركة وخطوة موفقة في عمر هذه المجلة، تتلوها أعداد أخرى، إن شاء الله، تشيد بجهدها صروح المجد والفخار، وتساهم بحظها الوافر مساهمة فعالة ومتجددة في النهضة العلمية والثقافية لهذا البلد العظيم(...).

وصفوة القول، فإن جامعة القرويين ظلت وسوف تظل، إن شاء الله تعالى، الحصن الحصين للاسلام، والمدافع الأمين عن لغة الضاد، ومنشأ العز والفخار، ومنار العلم والهدى في هذه الربوع وفي جميع الديار والأقطار، وستبقى المعين العذب الصافي الذي ينهل منه القاصي والداني، وتتوطد به أركان الأمجاد الوطنية والعربية والاسلامية».

ادريس العلوي العبدلاوي - رئيس جامعة القرويين
(انظر مجلة القرويين، العدد الأول،
1409/1989، تقديم، ص.15-20)



افتتاحية

جامعة القرويين

الماضي والحاضر والآتي

المحتويات

افتتاحية

نشرة

محتويات العدد

«إن الجامعـات لا تقـاس بأبنيتهـا الشـامخة، ولا بـدورهـا الفخمـة، ولا بحجـراتها الفسيحـة، وإنما هي بعلمائها ومكتباتها، والروح التـي توجهها، والإتجاهات الفكـريـة التي تحددهـا، وتـدفع المتخـرجين فيهـا إلى العمل على هديها لنشر الثقافة الحقة، والإصلاح الشامل لمختلف نواحي الاجتماع البشري.

وجـامعة القـرويين بهذا الاعتبار، تعـد من أعظم الجامعات التي حملت رسـالة العلم والإصلاح، وتـركت أثـرا كبيرا في حيـاة المسلمين، في جميع بـلاد المغـرب حتى شمل بلادنا الليبية التي سطعت فيها شعلة من نـور هـذه الجامعـة، فاضـاءت أرجـاءهـا، وغيرت وجـه الحياة فيهـا، وحـددت مجري تـاريخهـا الحديث، وكـان ذلك على يد قطب من أقطـاب القـرويين، هـو سيـدي محمد بن علي السنوسي، رضي الله عنه.

فقد كـان للفترة التي قضاهـا في جامعـة القرويين بمـدينـة فـاس، مـا بين سنـة 1228 و1240 هـجـريـة أثرهـا الكبير في صقل فكرة عبقـرية، ألهَمَهُ اللهُ إياها في عهد الصبا، فـاستطـاع بفضل من الله ان يحققهـا في عهـد النضـوج. ذلك أن مـدينة فـاس كـانت، ولا تـزال، مركـز الاشعـاع الـروحي والثقـافي والحضـاري في بـلاد المغـرب، فهي مدينة العلم والعلماء، وموطن المدارس والجامعات. وأشهر هذه الجامعات هي جامعة القرويين.

● وقد امتازت جامعة القرويين بمكتبتها الغنية، وهي من أشهر مكتبات العالم في القرن الخامس عشر، وكان كثير من المثقفين الأوربيين يأتون إلى فاس أملا في العثور على الكتب القديمة التي كانوا لايجدونها في أية مكتبة أخرى. كذلك انفردت جامعة القرويين في عصورها الزاهرة بأنها كانت جامعة دينية علمية، بمعنى أنها لم تقصر جهودها على العناية بتدريس العلوم الشرعية والعربية فحسب، بل أفْسَحَتْ صدرها كذلك لدراسة مختلف فروع المعرفة الإنسانية الأخرى، ولم تحاول محاربة العلوم الطبيعية. وكانت أكثر ميلا إلى التجديد في العلوم، والتحرر في أساليب البحث والتفكير وفهم الأمر فهما صحيحا.

ومما لا ريب فيه أن هذا الاتجاه العلمي المتحرر، كان له أثره البالغ في تفكير أولئك العلماء الأفذاذ، الذين تخرجوا من هذه الجامعة، فإن حرية الفكر وإفساح الصدر للمجتهدين في العلوم الدينية، كان من شأنه ان يطبع علماء القرويين بطابع خاص، وأن يحدد اتجاه سيدي محمد بن علي السنوسي، الذي يعد طليعة المفكرين في التجديد الإسلامي في العصر الحديث».

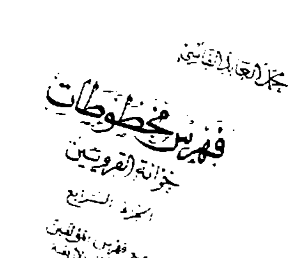
عبد الجواد القريطس والشيخ منصور المحجوب
(انظر الكتاب الذهبي لجامعة القرويين،
«جامعة القرويين وجامعة السنوسي»، ص. 93)

«وخزانة القرويين عَمَلُ أحد ملوك دولة بني مرين، وهو أبو عنان فارس بن عثمان المتوفى عام 759هـ. وقد أتم بناءها عام 750هـ، وذلك بأعلا مستودع الجانب الشرقي من جامع القرويين. وتنص وثيقة هذه الخزانة على أن أبا عنان «جعلها وقفا مؤبدا لجميع المسلمين.. حضا منه أيده الله، على طلب العلم وإظهاره وارتقائه واشتهاره، وتسهيلا لمن أراد القراءة والنسخ منها والمطالعة والمقابلة».

وفي أوج الدولة السعدية سيقوم ملك آخر، ببناء خزانة ثانية بالقرويين، وهو أبو العباس أحمد المنصور الذهبي(...) (أواخر القرن 10 هـ/16م).

وهذه هي الخزانة التي ستبقى إلى يومنا هذا بالقرويين، مع التغييرات التي يفرضها العصر، كفتح باب لها إلى ساحة الصفارين، ومع ما أدخلته عليها الدولة العلوية الشريفة من توطيد للصرح وترميم للبناء، وتوسيع للمكان، خاصة(...) في عهد مولاي يوسف وابنه محمد الخامس وحفيده جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله. وقد أضيفت إلى الخزانة قاعة جديدة أمر ببنائها محمد الخامس في ربيع الأول 1940/1359.

محمد بن العابد الفاسي الفهري
(انظر فهرس مخطوطات
خزانة القرويين، ص : 23 ـ 25)



«إن خزانة القرويين مدينة بالشيء الكثير للدولة العلوية الشريفة في استمرار وظيفتها وتجديد رسومها وإحياء معالمها وتزويد رصيدها. وإن سجلها ورفوفها لتحفل بالمخطوطات النفيسة والكتب القيمة التي حبسها على طلبة العلم ملوك هذه الدولة العظيمة كالمولى الرشيد والمولى إسماعيل والمولى عبد الله والمولى محمد بن عبد الله والمولى اليزيد والمولى سليمان رحمهم الله جميعا. وإلى جانب هذا فقد شيد المولى الرشيد خزانة بمسجد المدينة البيضاء بفاس الجديد، وقد نقل ما بقي منها إلى خزانة القرويين في أول عهد الاستقلال بأمر الملك الصالح المقدس مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه. وكان للمولى إسماعيل خزانة بمكناس يقول فيها محافظها الوزير اليحمدي: «حوت الخزانة الإسماعيلية من التصانيف وجمعت من أنواع الدفاتر وأسماء التآليف ما لم تحوه خزانة بغداد ولا علق بذهن الداني الأستاذ».

ويذهب الأستاذ العابد الفاسي إلى أن هذه الخزانة وزعت في عهد المولى محمد بن عبد الله «على مختلف خزائن مساجد المغرب وفي مقدمتها خزانة القرويين».

● وحينما بدأت علامات الاندثار تبدو على الخزانة بحكم القدم وغيره من العوامل في العهود المتأخرة بادر المولى عبد الرحمن ابن هشام بإصدار أمره فيما تحتاج إليه الكتب من إصلاح وتجديد وتسفير». وفي آخر أيام

المولى الحسن الأول صــدر ظهير شريف يشير إلى «مــا كـانت عليه خـزانـة الكتب التي بـالقـرويين من الضبط والصيانة والمقابلة وكيف استحال أمرها إلى ضياع وتفريط لإهمــالها وعــدم الاهتمــام بشأنها»، ثم يقــرر الظهير الشريف ضـوابـط وفصـولا من أجل أن تعـود إلى حــالتهـا الأولى وترجع إلى ما كانت عليه من الصيانـة. وإن ما ورد في هـذا الظهير ليدل دلالـة واضحـة على العنـايـة البـالغـة بخزانة المـغـرب التـاريخيــة الأولى. وقـد استمرت هـذه العنــايــة ـ برغـم ظروف الحماية ـ فقـد صدر نظـامها العصري في عهـد المولى يـوسف، وتجدد بنـاؤهـا في عهـد المرحوم المقدس المولى محمد الخامس، وهي تحظى اليوم بـالرعـاية السـامية من قبل أمير المومنين صاحب الجلالـة الملك الحسن الثاني نصره الله.

إن القصـد من هـذه اللـوحـة التـاريخيـة الموجـزة والمبسطة هو الإشارة إلى مكانـة خزانة القرويين والأطوار التي مرت بها عبر عمـرها الطـويل، ودورها في نشر العلم وبث المعــرفــة وخـدمــة أهل العلم وطلبتــه ومســاعــدة الباحثين والمؤلفين. وإنها لمثال نادر ونموذج عزيز للمكتبة الإسلامية التي يستمر وجودها ولا يخف إشعاعها».

محمد بنشريفة ـ محافظ الخزانة العامة
(من مقال له حول : «دور المكتبة في المدينة الإسلامية : مثال خزانة القرويين بفاس».
انظر مجلة القرويين، العدد 3، 1991، ص. 12 ـ 24)

خزانة القرويين
وأثرها في حفظ التراث الاسلامي*



محمد بن عبد العزيز الدباغ

محافظ خزانة القرويين – فاس

تعتبر خزانة القرويين من أهم الخزانات العالمية، وقد أعطاها الصفة الرسمية أبوعنان المريني حينما بنى لها مقرا بالناحية الشرقية من صحن الجامع عام خمسين وسبعمائة هجرية، ووقف عليها كتبا شتى في مختلف العلوم الشرعية، والفنون الأدبية، وعلوم الفلك والهيئة والطب وغيرها؛ وحدد فوق بابها في منقوشة خشبية الوظيفة التي ستقوم بها من حيث كونها تعد مركزا للقراءة والمطالعة والاستنساخ والمقابلة. وظلت على حالها إلى أن نقلها المنصور السعدي في أواخر القرن العاشر الهجري إلى بناية أخرى، بابها قرب المحراب، وأضاف إليها من الكتب العلمية والادبية مايفيد الطلبة وأهل البحث، وشجع العلماء على أن يودعوا بها مايؤلفون من الكتب ليكون النفع عاما، وزاد رصيدها من المخطوطات أيام الدولة العلوية الشريفة بحيث نجد على واجهات الكتب أسماء الواقفين من الملوك والعلماء والمحبسين رجالا ونساء من عهد المولى الرشيد إلى عهد الحسن الثاني نصره الله. ولما زاد الإقبال عليها وضاق مكانها أضاف إليها محمد الخامس، تغمده الله برحمته، جناحا كبيرا وهو المستعمل الآن للمطالعة.

وفتح لها بابا خارجية متصلة بساحة الصفارين ليتيسر لكل الراغبين في المعرفة الاستفادة منها على اختلاف أجناسهم وألوانهم وديานاتهم، الشيء الذي مكن الكثير من

---

*) جزيل الشكر والامتنان للاستاذ محافظ خزانة القرويين السيد محمد بن عبد العزيز الدباغ على تفضله بضم هذه الدراسة القيمة حول «خزانة القرويين» إلى هذا الاصدار، رغم سبق نشرها في مجلة **«شؤون ثقافية»**، السنة الأولى، العدد 10، ابريل 1996، ص.16-17.

الباحثين من الاطلاع على ما تحتوي عليه من الكتب والوثائق، فسجلوها في كشوف عامة وعرفوا بها على جهد المستطاع، وفتحوا آفاق المعرفة أمام المهتمين بالتراث الاسلامي. واتجهت عناية المنظمات الثقافية إلى استنساخ صور من هاته المخطوطات، سواء على الصعيد العربي أو على الصعيد العالمي، فكان ذلك من أسباب الازدهار الفكري في العالم أجمع، وصارت خزانة القرويين تشع من جديد على الثقافة بما يفيد ويمتع. وتكونت علاقة متينة بينها وبين مختلف الجامعات فصارت كتبها موضوعا للباحثين لانها لم تكن كتبا محلية أو إقليمية وإنما كانت كتبا تمثل الثقافة الاسلامية بكل شموليتها حيث نجد فيها كتبا دينية محضة وكتبا أدبية ولغوية وكتبا ذات اتصال بالعلوم التجريبية والطب والهندسة والفلك.

وتحتفظ الخزانة أيضا بكتب ذات فن أصيل في الخط والتزويق تمثل مختلف الخطوط العربية وتوضح جانب الإبداع في الفن التشكيلي، كما توضح خشوع الانسان العربي حينما يتعلق الأمر بكتابة المصاحف القرآنية فيوجه عنايته إليها بكل دقة ورعاية، ومن أهمها المصحف الكوفي المسجل تحت رقم 876، ويرجع تاريخه حسب مايبدو من شكله ومن مقارنته بنسخة شبيهة به توجد باسطنبول، إلى أواخر القرن الثاني الهجري والجزء السابع عشر من المصحف المسجل تحت رقم 1966 المكتوب بخط مغربي مبسوط ملون بالذهب، وفيه زخارف تثير الإعجاب، بحيث يعتبر آية في الإبداع.

ومن أهم المخطوطات داخل الخزانة كتب لها قيمة تاريخية حيث ارتبطت بخزانات ملوك كان لهم وزن في تاريخ المغرب كبعض أجزاء من **موطأ الإمام مالك** كتبت لخزانة علي بن يوسف بن تاشفين على رق الغزال، أسلمها الجزءُ المسجل تحت رقم 2005، وككتاب **محاذي الموطأ** الذي ألفه المهدي بن تومرت ووضعه في خزانته ثم في خزانة عبدالمومن بن علي وهو مسجل تحت رقم 181. وقد أبدع ناسخه في كتابته وفي وضع رسوم يختم بها كل باب من أبوابه تدل على جمال الذوق ودقة القدرة على مزج الألوان واستمرار نصاعتها على مرور الأزمان، وككتاب **نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن** لابي بكر محمد بن عزيز السجستاني المسجل تحت رقم 940، فإنه توجد منه النسخة التي كتبت لخزانة الامير محمد بن عبد القادر الوطاسي سنة 865هـ. زيادة على بعض الكتب التي أُلِفَتْ في عهد العلويين الاشراف مثل كتاب **طبق الارطاب** الذي ألفه سيدي محمد بن عبد الله في شرح الحديث النبوي الشريف: «بني الاسلام على خمس الخ...» فكان كتابا يحمل في ثناياه صورة واضحة لمفهوم العقيدة وأسرار العبادات، سجل بالخزانة تحت رقم 746.

ومن المعلوم أن مخطوطات الخزانة منها مابقي محافظا على شكله ومنها ما أُصيب بتلاش جزئي أو غالبي ولذلك من الضروري التفكير في علاجها وترميمها والعمل على لمّ شتات مايوجد منها، خصوصا إذا كانت هناك نسخ أخرى من نفس المخطوطات

بخزانـات عـامـة أو خـاصـة. ولايتم ذلك الا بفتح مجال البحث أمـام العلماء والطلبـة الباحثين مع العمل على تصويرها ليلا يفسـدها التداول والتناول، فإن التساهل في تمكين أصولها للقراء سيؤدي حتما إلى الزيادة في أسباب ضياعها، وفي ذلك خسارة لاتعوض.

وعلى كل حال، فإننا لو تتبعنا ما أُنجز من تحقيقات لبعض مخطوطات هاته الخزانة لوجـدنا الشيء الكثير، سـواء من الباحثين المغـاربة أو من الشرقيين أو المستشرقين، وعلى سبيل المثال يمكننا أن نشير إلى بعض هاته المخطوطات المحققة التي نذكر منها:

1 - **كتاب الفصوص** لأبي العلاء صـاعد بن الحسن الـربعي البغدادي، المسجل تحت رقم 587 فقد حققه الدكتور عبد الوهـاب التازي وقامت بطبعه وزارة عموم الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمغرب.

2 - كتاب **البيان والتحصيل** لابن رشـــد الجد، المسجل تحت رقم 2011 فقد اشترك في تحقيقـه جماعـة من الأسـاتـذة هـم السـادة: محمـد حجي وأحمد الحبـابي واحمد الشرقاوي وسعيد اعراب ومحمد العرايشي، وقد طبع بدار الغرب الاسلامي سنة 1988.

3 - **شرح ديوان المتنبي لابن الا فليلي**، عثرنا عليه في خروم الخزانة وسجلناه في خروم القبـة السعديـة تحت عدد 570 المحفوظ بـالصندوق التـاسع والتسعين، وهو رغم تلاشيه أمكن الاستفـادة منه لانه النسخة العتيقـة الموجودة من هذا الديـوان، ويوجد بها ماهـو مفقود في نسخ أخـرى، وقد قام بتحقيقـه الاستاذ محمد البـوحمدي أحد الاسـاتذة بكلية الآداب بفاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله.

4 - **نزهة القلـوب في تفسير غريب القرآن** وهو المشـار إليه أثنـاء الحديث عن المخطوطـات التي كتبت لبعض خزانات الأمراء بـالمغرب، المسجل تحت رقم 940، وقد وجدت بـالخزانة نسخـة منه مبتـورة مكتوبـة على رق الغزال بخط أندلسي جميـل، كانت مسجلة على أنها لمؤلف مجهول تحت رقم 1419.

ونظـرا لكون النسختين يكمل بعضها بعضـا فقد ارتـايت أن أحقق هذا الكتـاب رغم كونه كـان مطبوعا طبعات عـادية، وتعمدت أن أنسق ترتيبـه وان أجعله متلائما مع أوضاع المعاجم وأن أيَـسِّـرَ الاستفادة منه لكل الـراغبين في المعرفة القرآنية، سـواء كانوا من الذين يستظهرون كتاب الله أو من الذين كانوا لايحفظون إلا بعض سوره، وهو معد للطبع تكلفت بطبعه دار المعرفة بالدار البيضاء.

5 - **كتاب المثلث** لابن السيد البطليوسي، المسجل تحت رقم 536، حققه الدكتور صلاح مهدي علي الفرطوسي العراقي حينها كـان منتدبا للتدريس بكلية الآداب بفاس، وقد طبع سنة 1981 بدار الحرية للطباعة ببغداد.

6 - **كتاب مختصر العين** لأبي بكر الـزبيدي الإشبيلي، المسجل تحت رقم 1236 حسب الترقيم الجديـد. وقـد اعتمد على هـذه المخطـوطـة كل من الاستـاذ محمد عـلال

الفاسي ومحمد بن تاويت الطنجي أثناء تحقيقهما للجزء الاول منه، كما اعتمدها الدكتور صلاح مهدي علي الفرطوسي أثناء قيامه بتحقيق هذا الكتاب من جديد، رغم اطلاعه على عـــدد كثير من نسخ هذا الكتاب، نظرا لقيمتها ودقة محتوياتها، وقد طبع الجزء الاول من تحقيقه ضمن سلسلة خزانة التراث بالعراق بمطابع دار الشؤون الثقافية العامة، سنة 1991م.

7 - **كتاب السير** لأبي إسحاق الفزازي، المسجل تحت رقم 1968. حققه الدكتور فاروق حمادة، وطبع بمؤسسة الرسالة ببيروت عام 1987.

8 - **كتاب الوثائق والسجلات** لمحمد بن احمد الأموي المعروف بابن العطار، المتوفي سنة 399هـ، وهو مسجل تحت رقم 470، اشترك في تحقيقه كل من المستشرق الإسباني شاليتا وصديقه الدكتور كورينطي، ونشر بمدريد عام 1983.

وسنكتفي بهذه الاشارات ليلا نطيل على القراء بذكر ما حقق لأن الغرض من ذكر ما تعرضنا اليه هو إبراز قيمة هذه الخزانة في الاحتفاظ بهذا التراث الذي يعتبر من دعائم حضارتنا العربية الاسلامية مع الاشارة إلى ان المهتمين به يمثلون شرائح عدة من العلماء على الصعيد المغربي وخارجه.

ومما ينبغي التنبيه إليه أن أحد هذه الكتب المحققة **وهو شرح ابن الافليلي لديوان المتنبي** قد أخرجناه من خروم الخزانة، وهي عبارة عن ملفات وأوراق مبعثرة ومختلطة، تتنوع أحجامها وفنونها. ويمكن لمن تتبع محتوياتها من العلماء والباحثين أن يستخرج منها كتبا كاملة ربما كانت تعد من الكتب التي يشير إليها التاريخ ولم يعثر عليها لحد الآن. وقد حاولت أن أستخرج بعض ما تتضمنه هذه الخروم وأن أعرف به فكان ذلك سبيلا إلى الوصول إلى بعض الحقائق العلمية أشرتُ إليها في بعض الأحاديث الاذاعية التي كانت تذاع على أمواج الإذاعة الجهوية بفاس، تحت شعار: «نصوص وهوامش»، كما أشرت إلى بعضها في المحاضرات الجامعية أو في المقالات التي خصصتها للتعريف بمخطوطات خزانة القرويين بمجلة **المناهل** التي تصدرها وزارة الشؤون الثقافية، ومجلة **دعوة الحق** الغراء التي تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمغرب أو مجلة **الناشر العربي** التي تصدر بليبيا.

وإذا كانت الخزانة على وضعها الحالي تفيد الباحثين فإنها ستفيد أكثر إذا جهزت بالأجهزة الحديثة، وتزودت بالكمبيوتر، وصورت أهم مخطوطاتها على الفيلمات لتصبح المصورات في متناول الباحثين وتبقى الأصول محفوظة إلا عند الضرورة لان تلك الأصول كنز من كنوز حضارتنا المشرقة التي ينبغي عدم إهمالها أو التفريط فيها.

وعلى الله الكمال.

بيت آل محمد عزيز الحبابي

ينظم ندوة حول :

جامعة القرويين
وآفاق إشعاعها الديني والثقافي

تكريما

لعبد الوهاب التازي سعود

(26 شوال 1416 الموافق 16 مارس 1996)



يسعد «بيت آل محمد عزيز الحبابي» أن تشرفوه بحضوركم ندوة حول موضوع :

جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي
تكريما لعميدها الأستاذ العلامة عبد الوهاب التازي سعود

بمشاركة السادة العلماء والأساتذة الأجلاء :

ـ الحاج أحمد ابن شقرون (عضو أكاديمية المملكة المغربية، الأمين العام لرابطة علماء المغرب) :

إحياء كراسي العلم بجامع القرويين : قصيدة شعرية.

ـ أمال جلال (عميد جامعة سيدي محمد بن عبد الله ـ فاس):

جامعة القرويين ورسالتها التربوية بين الأصالة والتحديث.

ـ محمد الكتاني (عضو أكاديمية المملكة المغربية، قيدوم كلية الآداب ـ تطوان) : **جامعة القرويين رسالة حضارية.**

ـ محمد يسف (قيدوم كلية الشريعة ـ فاس) : **جامعة القرويين وإشكالية الإصلاح التربوي.**

ـ إدريس خليفة (قيدوم كلية أصول الدين ـ تطوان): **نظم التدريس بجامعة القرويين قديما وحديثا.**

ـ محمد المختار ولد باه (أستاذ جامعي وباحث): **جامعة القرويين: كوليج المغرب.**

ـ محمد المنوني **(أستاذ بكلية الآداب ـ الرباط) : إشعاع جامعة القرويين داخل المغرب وخارجه.**

ـ حسن السايح (عالم وباحث) : **مستقبل جامعة القرويين.**

ـ يوسف الكتاني (أستاذ علم الحديث بكلية الشريعة ـ فاس) :

الدكتور عبد الوهاب التازي سعود والإشعاع العلمي لجامعة القرويين.

ـ محمد الشاد (قيدوم كلية الآداب ـ ظهر المهراز ـ فاس) :

ثلاثون سنة مع الدكتور عبد الوهاب التازي سعود، أو حب مريد لشيخه.

ـ علي القاسمي (مدير الثقافة والاتصال ـ الإيسيسكو) :

جهود الدكتور عبد الوهاب التازي سعود في تحقيق كتاب صاعد البغدادي.

وذلك يوم السبت 26 شوال 1416هـ الموافق 16 مارس 1996م على الساعة الواحدة زوالا.

فاطمة وعادل بن محمد عزيز الحبابي

العنوان : ندوة 78، زنقة طليطلة، حي الأندلس ـ تمارة. عند الاعتذار ـ الهاتف 56 12 74 / 91 43 15











1 - العلامة عبد الرحمان الفاسي والسيدان أبو فارس الحاتم(سفارة سوريا)، ومحمد البعيجان(سفارة الكويت).
2 - السادة الأساتذة المشاركون في الندوة خلال اجتماع تنظيمي بمكتبة آل الحبابي قبيل افتتاح الجلسة.
3 - المناضل الحاج أحمد معنينو يشرف الندوة بحضوره رغم تعبه.







1 ـ الفقيد الرائد محمد عزيز الحبابي يلقي كلمته في تكريم الأستاذ عبد الهادي بوطالب.
2 ـ جانب من منصة المشاركين في ندوة جامعة القرويين.
3 ـ من بين الحضور، السادة الأساتذة : أحمد عبد السلام البقالي وحرمه، محمد الزعيمي وعلال عمرني جوط

«سيدي عبد الهادي بوطالب خريج جامعة القرويين، هذه الجامعة المجيدة هي ما زعم، عن جهل، المارشال اليوطي ومعاصرون عصريون منا، أنها (البيت المظلم) الذي لايتكون فيه إلا الغلاة من الجامدين والمقلدين. ولكن الواقع أن بعضاً من خريجي القرويين أظهروا، بكامل الوضوح، أنهم من حيث التفتح على التيارات الفكرية والعلمية والفنية الحديثة والمعاصرة أوسع أُفُقاً من جل العرب خريجي السربون وهافارد. لقد هضموا المعاصرة هضما، واستثمروها.

هكذا ابتدعت، عندما كنت رئيسا لاتحاد كتاب المغرب، عادة تكريم عظمائنا وهم أحياء وكان التكريم بـ «دار الفكر»، وبدأ عمدا بخريجي جامعتنا العتيدة، القرويين، بدءا بالمرحومين العظيمين سيدي علال الفاسي، وسيدي عبد الله كنون، ثم استأنفت والسيدة فاطمة تلك العادة الحميدة بـ «ندوة تمارة» في يناير 1975، التي تستقبل اليوم بكامل الاعتزاز، وبالغ السرور المفكر الأديب والسياسي المحنك سيدي عبد الهادي بوطالب».

محمد عزيز الحبابي، عضو أكاديمية المملكة المغربية
(من كلمة ألقاها في تكريم الأستاذ عبد الهادي بوطالب،
ندوة تمارة، 30 ماي 1991. انظر سلسلة أبحاث وأعلام - 2 :
عبد الهادي بوطالب، ص. 122)







1 ـ يتوسط الصورة العلامة الحاج أحمد ابن شقرون وهو يلقي كلمة في حفل تكريمه ببيت آل الحبابي.
2 ـ يتوسط الصورة الأستاذ العميد آمال جلال وهو يلقي كلمته في الندوة حول جامعة القرويين.
3 ـ يتوسط الصورة الأستاذ علي القاسمي وهو يلقي كلمته في الندوة حول جامعة القرويين.

«إذا كانت المجالس تَشْرُف بمن فيها، والكلمة تُوزَن بمنشئها وملقيها وسامعيها، فكيف يكون حالُ من اجتمع حوله حشدٌ من فطاحلة العلم، وجهابذة البيان، في محفل مثل هذا الذي عليه الحال، في هذه الدار العَامرة التي تشهد معالمها على أنها هُيِّئت لتكونَ منارة للمعرفة، وأداةً للَمِّ ذوي الكفاءات والمشتغلين بالعلوم المختلفة، قصد تطارح آرائهم، وتبادُل إنتاجاتهم، ومَدّ سُبل المودة وجسور المحبة بينهم مصداقًا لقوله ﷺ: «الأرواحُ جنود مجنّدة، ما تعارف منها إئتلف، وماتناكر منها اخْتَلَف».

لقد كانت سُنَّةً حسنة سنها المرحوم الدكتور محمد عزيز الحبابي، نرجو الله العلي القدير أن تُكْتب له هذه المنقبة في صحيفته، يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن يمتد ذلك الجزاء ليشمل أرملتَه الفاضلة الدكتورة فاطمة الجامعي، التي عملت على مواصلة إحياء هذه السنة التي أراد لها الراحل العزيز أن تبقى بعده تطبيقا للحديث الشريف: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنْتَفع به، أو ولد صالح يدعو له».

فجزاه الله عنا خيرا، وبارك في «ندوة تمارة»، وعَمّر هذا البيتَ بكل خير، وأسبل على من فيه أردية الصحة والطمأنينة، ورزقهم من حيث لايحتسبون، إنه سميع مجيب».

الحاج أحمد ابن شقرون، أمين عام رابطة علماء المغرب
(من كلمة ألقاها في حفل تكريم آل محمد عزيز الحبابي له.
تمارة، 23 رمضان 1415 /23 فبراير 1995.
انظر سلسلة أبحاث وأعلام - 3 : الحاج أحمد ابن شقرون، ص. 77)







1 ـ الأستاذ القيدوم محمد الكتاني عضو أكاديمية المملكة المغربية يلقي كلمته في الندوة حول جامعة القرويين.
2 ـ يتوسط الصورة الأستاذ القيدوم محمد يسف وهو يلقي كلمته.
3 ـ الأستاذ العميد عبد الوهاب التازي سعود المحتفى به وهو يلقي كلمته.



بعض السادة الأساتذة الحضور، بدءا من يمين الصور :

1 ـ محمد الخياطي، أبو بكر القادري عضو أكاديمية المملكة المغربية، وسعد الداودي، محمد أقلال، حسن جلاب

2 ـ محمد البعيجان، أبو فارس الحاتم، والرابع سعادة سفير السودان صديق يوسف أبو عقل، وإبراهيم الترابزي، من سفارة المملكة العربية السعودية.

3 ـ تتوسط الصورة السيدة الفاضلة نعيمة الفيلالي حرم الأستاذ العميد عبد الوهاب التازي سعود.







- منصة الندوة يتوسطها الأستاذ العلامة محمد الكتاني الذي يترأس الجلسة التكريمية.
- في الوسط السيد صادق المستشار بسفارة الجمهورية العراقية، وفي يمينها الأستاذ محمد سعيد العلمي
- الفنان صالح الشرقي والفقيه محمد المنوني، وعن يمينه الأستاذان سعيد بنسعيد العلوي وأحمد توفيق.

مرحبا ...!



فاطمة الجامعي الحبابي
أستاذة جامعية وباحثة

الأخ الفاضل الأستاذ أحمد بدري ممثل معالي وزير الشؤون الثقافية عبد الله أزماني،
أصحاب السعادة، أعضاء السلك الدبلوماسي سفراء وممثليهم من الدول الشقيقة،
السادة الأفاضل أعضاء أكاديمية المملكة المغربية،
السادة الأفاضل عمداء الجامعات وقيدومي الكليات،
السادة العلماء الأجلاء،
زملائي الأساتذة المبجلين،
أيها الحضور الكريم.

يعجز لساني عن التعبير بأية كلمة شكر وامتنان لحضوركم بيننا، ومشاركتكم في أعمال هذه الندوة حول موضوع قدرتم جسامته، واستحسنتم أن يكون تطارحه مناسبة لتكريم أحد أعمدة العلم والنضال في بلدنا العزيز الذي يرفل تحت ظل راعيه مولانا الهمام جلالة الملك الحسن الثاني، أدام الله عزه ونصره، الذي ما يزال يكرم العلم والعلماء ويسدي عليهم من فضائل أرديته.

إنني بقدر ما أعتز بحضوركم بيننا وأعتبره تشجيعا لأعمالنا المتواضعة، أعتبره كذلك وفاء ومحبة وإخلاصا لروح فقيدنا المفكر الرائد محمد عزيز الحبابي، تغمده الله بواسع رحمته، أستاذي وأب وحيدنا البار سيدي عادل الذي أغتنم الفرصة لتبليغكم ترحابه بكم واعتذاره عن عدم التمكن من استقبالكم بالحضور شخصيا معنا، وذلك لانشغاله بالدراسة في جامعة السربون، وإن قلبه وتفكيره معنا جميعا.

والـواقع أننا إذ نستقبلكم، نستقبلكم في بيتكم الـذي فتح أحضانـه لكم منذ مـا يزيد على ربع قرن من الزمان. ولا يسعني إلا أن أردد، كل مرة، بيت الشاعر العربي:

ياضيفنـا لـو زرتـنـا لوجدتنــا نحن الضيوف وأنت رب المنزل

فمرحبـا بكم، ومزيـدا من توثيق عرى الألفــة ورفع كل أشكال الكلفـة، ما دام القصد ممـا اعتاده بيتكم هذا حميميـة اللقاء لتدارس ومنـاقشة مـواضيع تطرحها السـاحة الفكريــة والأدبيــة، والاحتــفاء بشخصيــات وأعــلام من مختلــف الاختصــاصـات والأجناس والأوطـان.

أيها السادة الأفاضل،

إن اختيار موضـوع ندوتنا اليوم لم يأت عفـوا، إنه وَلِيدٌ رأى نور الـوجود بعد حمل دام ما يـزيد على تسع سنـوات ظل خلالها يترقب الفـرصة المواتيـة. لقد شغل بـالي منذ زمان، لانتمائي في فترة التعليم الثانوي حتى شهادة البـاكالوريا إلى التعليم الأصيل التابع لجامعة القرويين، قبل أن أتوجه شطر الجامعة العصريـة، جامعة محمد الخامس فجامعة القاهـرة ثم جامعـة السربون. نفس الاهتمام شغل بال أستـاذي الفقيد لما كـان يكنه من تقديـر ومحبة واعتزاز بالقـدرات والكفاءات الفكريـة لبعض خريجي هذه الجامعة القـروية العتيدة، يشهد على ذلك تدشينـه للسنة التي سنها عام 1968، سنة تكريم الأحياء من رجالات العلم في رحاب "دار الفكـر" مقراتحاد كتاب المغرب آنـذاك، بتكريم الفقيدين العزيـزين : الزعيم سيدي عـلال الفاسي والعـلامة سيدي عبـد الله كَنون تغمـدهما الله بواسـع رحمته، قبل أن نجـدد تكريم هذا الأخير في هـذا البيت المتواضـع سنة 1979 ثم تلته سلسلة حلقات تكـريمية على رأسها الاحتفاء بالفقيد الشيخ العـلامة سيدي ابراهيم الكتاني، ثم الأديب عبد الكريم غلاب. . . وآخر حلقـاتها في حياة فقيدنا الرائد الأستاذ الحبابي الاحتفـاء بأستاذنـا وأخينا العـلامة والأديب والسيـاسي المفكر سيـدي عبد الهادي بوطالب أطال الله عمره وزاده توفيقا.

كانت حلقات سلسلة تكريم الأفذاذ من خـريجي وبناة صرح هذه الجامعة طويلة في البرنامج الـذي خططته وأستـاذي الفقيد، لكن شـاء القدر أن يرحـل عنا ولما تتحقق رغبتنـا. لذا، ويحق لهذا البيت أن يعتـز بأن شرف في السنة الفـارطـة بالاحتفـاء بالفقيـه الأديب والشاعـر الفذ عمـود القرويين وعمدتها في قـرننا الحالي العـلامة الحاج احمد ابن شقرون عافاه الله وحفظه .

إن هذه الأعمال المتـواضعة كـانت المحرض الـذي جعلنا نهتـم بجامعـة القرويين ونهتم لها وبها، وفي نفس الآن، كانت تتوارد على خاطرنا أسئلة شتى واستفسارات نرغب

في استجلائها ملخصة في استشراف آفاق الإشعاع الديني والثقافي لهذه الجامعة ؛ فأخذنا نترقب الفرصة المواتية في كل أبعادها : الزمنية والفكرية والتنظيمية والتنظيرية والسياسية لعقد جلسة حوار صادق متحرر من كل الشكليات الرسمية والإدارية يتبادل فيه أهل المعرفة والاختصاص الرأي ويتطارحون الأفكار لاستشراف مستقبل هذه الجامعة العتيدة واقتراح ما يمكن من الخطط التي تساعد على تأديتها الرسالة التاريخية المنوطة بها في عالم يعج بتيارات متطاحنة سخرت الإسلام، والإسلام منها براء، أداة لإيقاد حميتها، وحرفت الكلم عن مواضعه. « وإن الفتنة لأشد من القتل».

حضرات السادة الأفاضل،

ليس لي أن أتناول الحديث في هذا الموضوع، فالسادة الأساتذة الأجلة الذين تكرموا مشكورين بتقديم عروضهم القيمة أهل لذلك، وسيفيدوننا، ولا شك، بالكثير مما نتشوق إلى الاطلاع عليه. لكن أستسمحكم فقط في سرد خطوط عريضة مما استنبطته من دراسة تحليلية إحصائية للخطاب الملكي السامي منذ الاستقلال سنة 1956، إلى قيام جامعة الأخوين سنة 1994، كمعلم تاريخي للعهد الحسني الزاهر.

لقد رسمت هذه الدراسة دالّة ذات محورين، محور زماني وآخر يرصد المواضيع المتعلقة بجامعة القرويين والتعليم الديني الأصيل، والعلماء ورسالتهم ماضيا وحاضرا ومستقبلا، تتخلص بالنسبة لخطاب المغفور له محمد الخامس فيما يلي:

- أوصاف جامعة القرويين، والمكانة التي تحتلها فاس والمغرب عموما بفضلها.
- اهتمام الدول المتعاقبة على الحكم بالمغرب عامة، وملوك الدولة العلوية الشريفة خاصة وعلى رأسهم جلالته هو شخصيا، يقول: «وكان من بين المراكز الثقافية المعدودة على الأصابع هذا المركز الذي عرف باسم القرويين والذي صار منذ ذلك الحين منهلا دفاقا بشتى أنواع العلوم والآداب العربية، يسعى إليه المغاربة وغيرهم من كل حدب وصوب ليكرعوا من حياضة، ويرتوا من معينه. ولعل ما نالته القرويين من عناية أسلافنا المقدسين بها، واهتمامهم العظيم بشأنها قد ضاعف عناية واهتمام جميع الذين سبقوهم ممن تداولوا الحكم بهذه البلاد» (**انبعاث أمة**، ج 3، 21 دجنبر 1957، ص. 118).
- الرسالة التي قامت بها الجامعة قديما والمنوطة بها حاليا ومستقبلا .
- الإصلاحات التي أدخلت عليها، والمناهج المتجددة التي تمارس للتدريس بها.
- الإلحاح على ضرورة الحفاظ على التوازن بين التشبث بالماضي القديم والتفتح على معطيات العصر الحديث.

- مسؤولية العلماء ورسالتهم الدينية والفكرية والمجتمعية، يقول جلالته : «فشمروا معشر العلماء والطلبة على سواعد الجد وكونوا عند حسن ظننا بكم، وضعوا نصب أعينكم تحقيق المهمة المنوطة بكم ألا وهي المحافظة على ثرات الإسلام والعروبة بهذه الديار». (**انبعاث أمة**، ج. 4، 30 ماي 1959، ص.109).

لقد عرفت هذه المحاور الرئيسية استمرارية في خطاب جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، الذي كان عليه تقعيد أسس المسيرة الفكرية الحضارية للمغرب الجديد، مغرب ما بعد الاستقلال، طبعا بالإضافة إلى الأسس السياسية، لكنها استمرارية تميزت ببروز نقط جوهرية جديدة خاصة فيما يتعلق بالمناهج والاصلاحات. من ذلك :

- ربط الخطاب الحسني عملية التعريب بمبدإ آمن به المغفور له محمد الخامس وكافح في سبيله، وهو المحافظة على الصبغة العربية للمغرب بإحياء ثقافتنا وبعث أمجادنا ومواصلة القيام بالدور الذي عرف عن المغرب القيام به في جميع أعصر التاريخ.

- الإلحاح على تدريس مادة التاريخ للناشئة رغبة في إطلاعهم على ثراتنا الثقافي، يقول جلالته لدى استقباله عمداء الجامعات وقيدومي الكليات ومديري المؤسسات:

«علينا أن نعلم أبناءنا التاريخ، وأقول هذا علما مني أننا جميعا نمثل مجموعة من الدول، لها من التاريخ الحافل ومن الأصالة المتينة المتمكنة ما يجعلها تضاهي الأمم والحضارات». (**انبعاث أمة**، ج 29 ، 1984).

- تدريس مادة الحضارة الإسلامية في كلياتنا وجامعاتنا يقول جلالته :

«يجب علينا أن نعتز في كلياتنا وجامعاتنا باللغة العربية وبالمعرفة العربية، وذلك بأن نزيد في برامج الكلية مادة، وهي مادة الحضارة الإسلامية، أو العلم الإسلامي، والاسم لايهم هنا، فنجعل منها مادة أساسية في الامتحان، أي أنه من لم يحصل على نقطة معدل في تلك المادة يسقط في الامتحان، كيفما كانت نقطه الأخرى». (**انبعاث أمة**، ج. 11، 25 دجنبر 1966، ص. 290).

- الإلحاح على تلقيح ثقافتنا بما لا غنى عنه من العناصر الحيوية. ويتجسد ذلك في ما شهده العهد الحسني من إنشاء جامعات ومعاهد وكليات عبر أقطار المملكة في مختلف الاختصاصات وفروع العلوم والتقنيات الحديثة.

- الإلحاح على إتقان لغات أجنبية، يقول جلالته مخاطبا العلماء :

" إن الرجل الأمي ليس هو ذلك الذي يجهل القراءة والكتابة بل هو ذلك الرجل الذي لا يعرف إلا لغة واحدة" (**انبعاث أمة**، ج. 22، 20 دجنبر 1977، ص. 376).

ويقول جلالته مخاطبا العلماء المشاركين في ندوة الصحوة الإسلاميةلدى استقباله لهم:

"وأخيرا عندي نصيحة، حاولوا رعاكم الله ووفقكم وكثر من أمثالكم أن تتفتحوا على اللغات الأجنبية لتتمكنوا أكثر من المقارنات الفلسفية والقانونية بين الديانات، ولي اليقين أن من قرأ منكم الإنجيل والتوراة، كما وقع لي عندما كنت في المنفى، ولم أكن ألقى ما أشغل به نفسي خلال سنتين ونصف من المنفى، فقرأت الإنجيل والتوراة. أولا، إن قراءة الإنجيل والتوراة جعلتني مسلما أكثر مما كنت عليه. عليكم أن تتعلموا لغة أجنبية، وذلك تبعا للحديث النبوي الشريف الذي لم يكن صريحا، ولكن يستفاد منه ضمنيا عندما يقول الرسولﷺ: "اطلبوا العلم ولو في الصين"، بمعنى أنه إذا ذهبتم إلى الصين وستدرسون العلم باللغة الصينية، ستمرون على الهند وعلى تبت، إذن فليست الأجواء الفكرية ولا الجغرافية وحدها هي التي يجب أن تكتسح من لدن المسلم، بل التعرف على أنشطة فكرية أخرى، وعلى مناخ اجتماعي آخر، وأخيرا على لغة أو لغات أخرى". (**انبعاث أمة**، ج. 35، 4 شتنبر 1990، ص. 286).

نقطة أخرى تميز بها المنهج الحسني في إصلاح التعليم الأصيل، وتحميل العلماء مسؤولية النهوض به ليودي رسالته هي: الدعوة إلى الأخذ **بالاجتهاد.** لقد تردد هذا المصطلح بنسبة مرتفعة في مناسبات متعددة، نذكر منها ما جاء في رسالة جلالته إلى المشاركين في ندوة الإمام مالك، يقول:

"معشر العلماء المبجلين، فلتكن ندوتكم فرصة للبحث عن ذلك الأسلوب، ومناسبة للتصدي لهذا التحدي الحضاري الجديد، وذلك بدراسة وتحليل قضايا العصر، واتخاذ مواقف بناءة منها على ضوء منهجية الامام مالك، مواقف تتسم بالإيجابية والإقناع والانسجام مع عقيدتنا وبيئتنا وطبائعنا، وتكون امتدادا طبيعيا لتاريخنا وحضارتنا، وإسهاما من مفكرينا في تحسين نوعية العيش ونماذج السلوك في مجتمعنا، بل وحتى في المجتمعات الإنسانية الأخرى، وهذه المواقف يجب أن تكون قابلة للبلورة حتى تصبح بديلا قويا وواضحا وجذابا لما هو مطروح في الأسواق من شعارات أجنبية عنا أفرزتها ظروف تاريخية واجتماعية لم نعشها، وفي مجتمعات بعيدة كل البعد عن مجتمعنا. (...) وليست هذه أول مرة يطالب فيها علماء الاسلام بالتكيف بوضع جديد، فقد كان لهذا الوضع في تاريخ أمتنا ما يوازيه، ولم يكن ذلك أبعد كثيرا من عصر إمامنا مالك (...) ذلك أن روح مذهبه قائمة على الاجتهاد فيما لم يرد في الكتاب أو السنة أو الأثر.

والاجتهاد هو مفتاح المسلمين للتكيف مع كل تقدم أو تطور فكري أو مادي في العالم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وحاشا أن يكون التحجر والجمود من شيم

الاسلام وهو بريء من كل من يقفـون في وجه التقدم باسم الإسلام" ، (**انبعاث أمة**، ج. 25، 25 أبريل 1980، ص. 180).

يعـزز هذه المواقف والإرشـادات الاهتمام الملكي المتزايـد بالتعليم الأصيل، ووعـد أصحابه بالنظر في قضاياهم ومشاكلهم، وإبداء النظر في التكوين الذي يراد لخريجيه من العلماء، يقول جلالته :

"ونحن إذ نريـد أن نرجع إلى الأصل، وخلق علماء بكل معنى الكلمة، نـريد أن نجعل من علمائنا علماء مشـاركين سواء في ميـدان اللغة العربيـة أو الشريعة أو الآداب، ولكن مشاركين كذلك حتى في المعمعة العالميـة التي يخوضها العالم بجانبكم حتى لا يبقوا جانبيين عنا" (**انبعاث أمة**، ج. 18، 10 يناير 1973، ص. 20).

لا يسمح المقام بالدخول في تفاصيل المهـام التي أناطها جلالته بالعلماء، ونخلص لنؤكد أن اهتمام السدة العالية بالله بالنهضة الفكرية والعلمية التي تميز بها عهده والمتجلية في إنشـاء جامعـات عصرية متعـددة عبر أنحـاء المملكة وإقـامة دار الحديث الحسنيـة، وأكـاديمية المملكـة المغـربية، وأخيرا جـامعة الأخـوين، كل ذلك لم يقلص من اهتمامـه بجامعـة القرويين العتيـدة وحرصـه على أن تحتل مكانتهـا المرموقـة، وتستعيد إشعـاعها بتحمل رسالتها التاريخيـة الحضارية على يد أساتذتها العلماء الأجلـة، وعلى يد الساهرين على إدارتها. وتجلى ذلك في إصـدار جلالتـه لظهائر ملكيـة شريفة تهدف إلى وضع نظـام جديد لهـذه الجامعـة كي تستطيع مسايـرة تطـورات العـصر الحديث، وآخـرها ظهيـر رقم102 . 75 . 1 المتعلق بتنظيم الجامعات المغربية وضمنها جـامعة القرويين. وتبعا لذلك تم تعيين أول رئيس لهذه الجامعـة في سنـة 1986. وقد حظي بتلك المنة المولـوية الأستاذ الجليل العلامـة ادريس العلوي العبدلاوي الـذي وددنا لو شرف هـذا المجلس بحضوره معنا. وجئتم أيها الأستاذ الجليل العلامة عبد الوهاب التازي سعود خلفا له في تحمل هذه المهمة الجسيمة.

من هنا جاء تحلقنا حولكم، اليوم، في هذه الجلسة المباركة، احتفاء بكم، وتكريما لكم أيها العميـد الجليل، والأخ النبيل. فحين حظيتم بمنة جـلالة عاهلنـا الهمام عليكم لتتـولـوا عمادة هـذه الجامعـة العتيدة " الشيخـة الـوقـور" كما لقبتمـوهـا في تحيتكم التي قدمتمـوها إلى جامعة الأخـوين، كان في منته تلك عليكم دليل على ما تتميـزون به من تضلعٍ في أصول المعرفة والعلوم الاسلامية واللغة العـربية وثقافتها بالإضافة إلى تمكنكم، ولِـمَ لا أقول تبحركم، في الثقافة الغربية والقبض على زمام عطاءاتها وإمكاناتها.

إن تـرعـرعكم في هذا المنـاخ العلمي والفكـري الأصيل والمتفتح، في آن واحـد، جعلكم تجمعـون بين القديم والحديـث، فجاءت المنـة الملكيـة عليكم بتطويقكم هـذه المسـؤولية تكليفـا وتشريفا، كما جـاءت أحسن تعبير عن المطـامح التي يريـد جلالتـه، ونريدهـا نحن المغاربة الغيورين على هذه الجامعـة،لثقافتنا العربيـة الإسلامية من تشبث بالأصالـة والتفتح على المعاصرة ، ومراجعة الكثير من المفاهيم السـائدة، وتقويم المناهج وترشيـد الإمكانـات الفكريـة الشابـة والعطاءات اليـافعة الطموح، والاستفـادة من آراء وتجارب روادها الـذين سطع نجمهم في مغربنا ثقـافة وعلما وسياسة، رحم اللـه من وافاه الأجل المحتوم منهم، وأطال عمر من لا يزال بيننا مجاهدا مناضلا.

أستاذي الفاضل،

إن بيت أخيك الفقيد المتواضع يستقبلك اليـوم في هذه الجلسة التي يتحلق حولك فيهـا رجـالات العلم والسيـاسة والتنظير احتفـاء بك وبكل رواد هـذه الجامعـة مستغلين المناسبة لمنـاقشة أطروحة تجديـد وبعث الدور الديني والثقافي المنـوط بها الإسترسال فيه، واستيضاح الخطط والمناهج والطموحات التي سطـرتها في نهج مسلك يحقق الرسالة التي تحملتمـوهـا والآمال المعلقـة عليكم في أن تبلغ شـاطىء الأمن والأمـان طبقـا لحرصكم المعهـود وجهادكم في حـرم جـامعة محمـد الخامس كنـائب لعميـد كلية الآداب والعلـوم الإنسانية بالرباط آنذاك الفقيد محمد عزيز الحبابي، طيلة عقد الستينات، قبل أن يستقل الفرع نفسه ويصبح ضمن كليات جامعة سيـدي محمد بن عبد الله بفاس، التي يشرفنا مشاركـة عميدهـا لنا في هـذه الجلسة، الدكتـور أمال جـلال، ذالكم الجهاد في مفهـومه الحقيقي والنضالي وقـوفا على الأقدام وتجنـدا في ساحـات الكلية بظهر المهـراز، بما عرف عنكم من تهدئة الأمواج المتلاطمة لبحر طلابها الهائج على الدوام، أولئكم الطلاب الذين جمعتهم فاس من مختلف شعابها المحيطـة، فكانت بؤرة لتفاعلاتهم الإيديـولوجية، وكنتم بالفعـل في المستوى الراقي للجـدل بالتي هـي أحسن، ولاتخاذ المواقف والتدابير الـلازمة للحـد من فـورانها كلما حمت شعلتها واشتـد غليـان قـدرهـا. وتشهد بـذلك فـاس بكل سلطـاتها ومسؤوليهـا وأسرهـا، ولم يسجل عليكم سـوى تـدخل الأب الحنـون والحكيم المتزن والعميد اليقظ.

لم يحل سهركم على مصالح الكلية وطلابها ثلـث قرن من الزمان (الشيء النادر في مجال تـولى المسؤوليـات)، دون قيـامكم بـدور العالم المشـارك، والمربي المخلص والأستـاذ

الوقور، حيث شرفت، كما شرف زملائي والعديد من الأفواج المتخرجة من هذه الجامعة، بالتلقي عنكم والاستفادة من علمكم وتآليفكم وتحقيقاتكم، ونصحكم وخبرتكم التي اجتازت حدود الوطن لتسهم من خلال منابر الجامعات العربية والإفريقية والغربية، ومراكزها الفكرية ومجامعها اللغوية والفقهية واللاهوتية في إثراء الحوار الفكري والثقافي، بين رجالات الفكر والعلم من مختلف الأمم والأجناس.

وها أنتم أستاذي الفاضل، بعون الله ورعايته، مستمرون في نشاطكم الدؤوب وجهادكم الفكري القيم وحرصكم الجاد على تنظيم عمادة جامعة القرويين الموقرة للندوات واللقاءات المختلفة تحت قبتها، واستقبالكم لرجالات العلم من أقطاب الدول ومختلف الديانات، وتفتحكم للحوار في قعر بيتها مع نظرائكم عمداء الجامعات العربية والإسلامية والمسيحية في إطار الحوار المُرَغَّب فيه.

كل ذلك يبين عن الوجهة التي أنتم سالكوها في منهجيتكم بالسير قدما بالكليات والمعاهد التابعة للجامعة القروية نحو مستقبل أفضل يعيد لها مجدها وأصالتها.

وإنكم لمقتنعون بأنكم ما تزالون في بداية الطريق وبأن الدرب ما يزال طويلا والمعترك قائما. فمزيدا من الجهاد والاجتهاد، اجتهادكم الذي تجلت لنا خططه وخطواته في الدرس الديني الذي تشرفتم بإلقائه، خلال رمضان الأبرك، في حضرة صاحب الجلالة، نصره الله، ضمن الدروس الحسنية فتناولتم في القسم الأول منه تحليل المناهج الإسلامية الأصيلة، وأوضحتم في قسمه الثاني ما يجب أن نقتبسه من المناهج الغربية الحديثة. **فليهدأ بالنا، إن جامعتنا القروية سائرة على المحجة البيضاء** والطريق السوي.

ولا أسمح لنفسي بأن لا أذكر في هذا المقام أحد أقطاب هذه الجامعة الذين ناضلوا من أجلها وأوقفوا جهادهم على خدمة الفكر الإسلامي واستنهاض همم علمائنا، وتذكيرهم بمسؤولياتهم من خلال العديد من المحاضرات والرسائل، إنه الزعيم العلامة والمفكر الرائد علال الفاسي الذي أجتزىء هنا بالإشارة إلى محاضرته التي ألقاها في ندوة نظمتها وزارة التربية الوطنية عام 1959، وبأخرى ألقاها بدار الحديث الحسنية عام 1973عن مهمة علماء الإسلام. كما أشير إلى محاضرته القيمة حول «رسالة القرويين في الماضي والحاضر والمستقبل» ألقاها عام 1967، عدا قصائده العديدة في هذه الجامعة. أكاد أجزم بأنه لو حضر حدث تطويق عنقكم بهذه المسؤولية لاطمأن على مستقبل هذه

الجامعة لما سطرته كتاباته في هذا الموضوع من أفكار ومطالب وخصال يستوجب أن تجتمع فيمن يتولى أمرها ؛ تلكم الخصال التي إن تفرقت في غيركم فإنها اجتمعت فيكم. فأملنا أن يصاحبكم المزيد من التوفيق. كما لا أنسى أن أذكر هنا الأستاذ العلامة سيدي محمد الفاسي الذي تولى إدارة شؤون هذه الجامعة في فترة من أحرج اللحظات ومغربنا ما يزال تحت الحماية الفرنسية، فلم يأل جهدا في الدفاع عنها ضد السلطات الاستعمارية مما أفضى بها إلى نزعه غصبا وإبعاده عن إدارتها، .وتظل أمام أعيننا الجهود الجبارة والسهر الدائب الذي خص به أستاذنا العلامة العابد الفاسي خزانتها من رعاية وتنظيم وفهرسة لذخائرها، عززتها جهود أستاذنا العلامة محمد بنشريفة على قصر الفترة التي تفرغ فيها لإدارة شؤون هذه الخزانة القروية.

وكم كان بودنا لو شرفت جلستنا هاته بحضور ومشاركة أساتذة جهابذة من العلماء والمنظرين والمفكرين، رواد هذه الجامعة لنستفيد من خبراتهم، لكن المرض عرض من أعراض الحياة؛ عافى الله أستاذنا العلامة سيدي أحمد بنسودة مستشار صاحب الجلالة، وأسدل عليه ثوبا جديدا من الصحة والعافية، وكذا شيخنا العلامة الحاج أحمد ابن شقرون الأمين العام لرابطة علماء المغرب الذي لم تسمح ظروفه الصحية، هو أيضا، بالحضور بيننا وفي أستاذنا العلامة والأديب الأكاديمي سيدي عبد الرحمن الفاسي كامل البركة، فحضوركم بيننا، أيها الأستاذ الجليل، وأنتم القطب الكبير من أقطاب هذه الجامعة العتيدة يضفي على جمعنا الموقر هالة ورونقا متميزا، أطال الله عمركم وحفظكم في صحة وعافية.

كما أن المسؤوليات والمهام الكبرى العلمية والفكرية داخل الوطن وخارجه لم تسمح، هي الأخرى، لبعض الأساتذة الرواد من تلبية دعوة بيت آل محمد عزيز الحبابي، إذ اعتذر صبيحة هذا اليوم أستاذنا الجليل العلامة سيدي عبد الهادي بوطالب، وكذا الأستاذ الجليل العلامة سيدي عبد الوهاب بنمنصور، واعتذر كذلك، قبل، الأساتذة الأجلة سيدي عبد الهادي التازي وسيدي محمد بنشريفة والسيد المختار ولدباه لسفرهم إلى القاهرة للمشاركة أشغال دورة مجمع اللغة العربية. ولا أنسى اعتذار أخينا الجليل معالي وزير البريد والمواصلات سيدي حمزة الكتاني وأخينا الجليل الأكاديمي الموقر سيدي محمد شفيق وأخينا الجليل علال سيناصر مستشار صاحب الجلالة وأخينا معالي وزير المالية سيدي محمد القباج وأخينا الجليل الأكاديمي معالي وزير التعليم العالي سيدي ادريس خليل، بالإضافة إلى اعتذار عدد كبير من أصدقاء بيت آل الحبابي لم يتمكنوا من تشريف هذه الأمسية الفكرية. فمعذرة عن عدم ذكر أسماء الجميع.



العميد عبد الوهاب التازي سعود يحيطه أخواه محمد وإدريس
ووالده الوقور الشيخ سيدي محمد التازي
والفقيد الراحل محمد عزيز الحبابي وحرمه فاطمة الجامعي

وأخيرا، كي لاتسبقني الدموع - دموع الأسى والفرح، في آن واحد، تعمدت تأخير تذكيرك، أيها الأستاذ العميد والأخ العزيز الذي اختارك الله لأن تكون أخا حميما لأستاذي الغائب الحاضر - سيدي محمد عزيز الحبابي- ، تذكيرك بتهنئته لك يوم تنصيبك عميدا لهذه الجامعة معبرا عن سعادته المزدوجة، أولا، فرحة للجامعة نفسها إذ رأى في اختيار جلالته لكم تعبيرا عما كان يتمناه، فقيدنا العزيز شخصيا، لإدارتها من مسؤول حازم تكتمل فيه خصالكم وإمكاناتكم.

وسعادته ثانيا، بأن شرفتم تشريفا من لدن راعينا الهمام مسؤولا عن هذا الإرث الحضاري الذي لاتزيده السنون إلا وزنا ووقارا وجسامة في السهر. وتقاسمنا جميعنا الفرحة بالحدث. فهنيئا لكم أخي الكريم.

إليك أتوجه، أخي الجليل سيدي عبد الوهاب التازي سعود، بتحياتي الودية وتقديري وتبجيلي لوالدكم الشيخ الجليل البركة المفضال حفظه الله ونفعنا جميعا برضاه، ودعائي لكم بأن يديمكم الله مربيا مثاليا وقدوة لمريديكم وفلذات كبدكم، أبنائكم البررة، زادهم الله توفيقا ورعاية، وحفظهم سالمين منعمين، ورحم الله المخلصة الوفية أمهم المنعمة للا أمينة، تغمدها بواسع رحمته.

أما أنت، أيتها السيدة الفاضلة ذات الخلق السامي والرعاية المكتملة، الأخت العزيزة حرم أستاذنا الجليل سيدي عبد الوهاب، للا نعيمة المصونة، دمت والأنجال محفوفين بكل خير، فكلمتي إليك محبة من الأعماق ودعاء لك بأن تدومي معززة مكرمة، ومناضلة مجاهدة في عون أستاذنا تاج أسرتكم المحروسة،ساهرة على بيته وأهله ومريديه.

وبارك الله جهودكم وجهود كل المجاهدين إلى جانبكم، أيها العميد المكرم، من قيدومين وأساتذة وإداريين. لتدوموا جميعا ولندم معكم منعمين بالرعاية السامية لمولانا الهمام، دام له العز والتأييد.

وشكري الجزيل لكم، أيها السادة العلماء والأساتذة الأجلاء الذين لبيتم الدعوة للمشاركة في هذه الندوة الاحتفائية بأستاذنا متجسمين مصاعب السفر ومشرفين بعروضكم هذه «الزاوية الفكرية».

وامتناني لكم أيها الحضور الكريم. أجدد ترحيبي بكم، ومعذرة عن كل تقصير في حسن الاستقبال والتنظيم. فجميعنا، بهذا البيت المتواضع، رعاة ومسؤولون.

﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون**﴾، صدق اله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.



Université Mohamed Premier
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines
OUJDA

جامعة محمد الأول
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
وجدة

وجدة في : 1996/03/14

من قيدوم كلية الآداب والعلوم الإنسانية

إلـــى

فضيلة عائلة الدكتور محمد عزيز لحبابي

نمرة 78، زنقة طليطلة - حي الأندلس

تمارة - الربـــاط

الموضـــوع : اعتـذار

سـلام تام بوجـود مولانا الإمـام

وبعد، فيشرفني ان اشكركم على تفضلكم بدعوتي لحضور الندوة التي ستنظم تكريما لفضيلة الدكتور عبد الوهاب التازي سعود عميد جامعة القرويين حول موضوع : " جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي " وذلك يوم السبت 16 مارس 1996.

ويطيب لي بهذه الناسبة، ان انوه بهذه المبادرة التي ستكرم احد الوجوه العلمية البارزة في ميدان البحث والتحقيق عميد جامعة القرويين الأستاذ الجليل عبد الوهاب التازي سعود.

وكان بودي ان احضر جلسات هذه الندوة العلمية الهامة لولا ظروف العمل القاهرة التي حالت دون ذلك ، وإذ اعتذر لكم عن عدم تمكني من الحضور، ارجو لندوتكم التوفيق والنجاح والى ان نلتقي في لقاء علمي آخر وتفضلوا بقبول صادق عبارات التقدير والإحترام.

قيدوم الكلية

إمضاء : محمد لعميري

ص.ب. 457 - وجدة. الهاتف : 212 (06) 74.47.77/58 . الفاكس : 212 (06) 74-47-41
B.P. 457 OUJDA. Tél: 212 (06) 74.47.77 / 58. Fax: 212 (06) 74.47.41

أحمد فاسي فهري
مدير المركز الوطني للتوثيق
ص.ب. 826 الرباط
الهاتف 77.31.31 الرباط

الحمد لله وحده

الرباط في ....

الى الأستاذة الفاضلة فاطمة

والأستاذ عادل بن محمد عزيز الحبابي

تحية طيبة خالصة.

وبعد، لقد تلقيت شاكرا بدعوتكم الكريمة لحضور الندوة التي تنظمونها حول موضوع «جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي». ولكم كان بودي أن أحضر هذا اللقاء العلمي وأحظى بلقائكم لولا أن ظروفا مهنية قد حالت دون تحقيق رغبتي، لأنني سأكون في مهمة ادارية خارج المملكة خلال فترة انعقاد الندوة.

ارجو أن يكون هذا السبب شفيعا في غيابي عن لقائكم. وإذ اقدم اعتذاري اقرنكم أزكى تحياتي آملا أن تتاح لنا فرصة اللقاء في القريب العاجل إن شاء الله والسلام.

مدير المركز الوطني للتوثيق

الامضاء : أحمد الفاسي الفهري

شارع ماء العينين - أكدال الطالبي - ص.ب. 826 الرباط - الهاتف : 77.49.44 - البرقية : 31.520 م الرباط - المغرب
ناسخة بعدية (فاكس) 77.31.34

جامعة القرويين رسالة حضارية



محمد الكتاني
عضو أكاديمية المملكة المغربية
قيدوم كلية الآداب- تطوان

تتحكم الثقافة في البناء الحضاري لكل حضارة من حضارات الإنسان في القديم والحديث، وتلابس إحداهما الأخرى إلى الحد الذي أربك علماء الأنثروبولوجيا وعلماء الاجتماع، فجعل بعضهم يعرف الحضارة بما يعرف به بعضهم الآخر الثقافة، أو يعرف بعضهم الثقافة بما يعرف به الآخرون الحضارة (1). فقال بعضهم إن الحضارة هي ثقافة معقدة تتميز بمظاهر تكنولوجية متطورة، وإنجازات فكرية تتجلى في المعارف والفنون. وقال بعضهم إن الثقافة تشمل العادات والمهارات والمعارف والحياة المنزلية والعامة في أحوال السلم والحرب، وهذه كلها مظاهر حضارية. ويقول البعض إن الثقافة تتكون من ثلاث مستويات، من بينها المستوى المادي والسلوكي والتنظيمي للحياة العامة، وإن كان البعض قد ميز بين الثقافة بوصفها منظومة من القيم الفكرية والأخلاقية، وبين الحضارة بوصفها نظاما من المؤسسات الاجتماعية والبنيات المادية والتكنولوجية.

وانطلاقا من طبيعة التداخل بين الثقافة والحضارة يمكن القول بأن كل حضارة تحمل في نواتها أو في صميم بنياتها قيما ثقافية هي التي تمثل جوهر هذه الحضارة وتحدد

1) انظر، على سبيل المثال، التعريفات التي جمعها **قاموس الأثنولوجيا والفلكلور** عن الحضارة والثقافة – هو لتكرانس، تعريب الدكتورين محمد الجوهر وحسن الشامي، ط. دار المعارف، القاهرة 1992.

رسالتها بين الحضارات السابقة أو اللاحقة؛ ففي كل حضارة من الحضارات الإنسانية يمكن للدارس أن يستشف رؤيتها الكونية وعقيدتها في الوجود الإنساني وقيم الحياة التي يسعى الإنسان أو ينبغي أن يسعى لتحقيقها و دعمها، وإذا خلت الحضارة من هذه الرؤية الكونية ومن القيم التي تشد الأجزاء إلى الكل وتضبط العلاقات بينها داخل الكيان الحضاري فهي حضارة (شيئية) تتكدس فيها الأشياء، وتتراكم من غير دلالة على معنى أكثر من الإنتاج والاستهلاك .

وقد وقف علماء الاجتماع وفلاسفة الحضارة على هذا الجانب الروحي في الحضارات، فهناك من سماه " المبدأ الناظم لمظاهر الحضارة" ، ومنه من سماه " الفكرة الدافعة" ومنه من سماه " القيمة القصوى " ، ومنه من سماه " النظرة إلى الكون" (2).

وفي الحضارة الإسلامية يتجلى هذا الجانب بكل معانيه ودلالاته، حيث يتجلى ما يسمى المبدأ الناظم في تراثها الفكري وعقيدتها النواة، وتراكماتها الثقافية والمعمارية. يتجلى لك في كل ذلك المبدأ الناظم لها جميعا، أو فكرتها الدافعة أو قيمها العليا أو نظرتها الكونية إلى الوجود والإنسان، أي أننا نلاحظ فيها أنساقها المتكاملة ودوافعها وأهدافها في بناء المسجد وشكل البيوت وعمارة المدينة وأشكال الفنون، وقيم الآداب والشريعة الناظمة للعلاقات الاجتماعية ومناهج النظر العلمي، ومناسك العبادة وجماليات الفضاء وحساب الزمان وحساب التموقع في المكان.

هذه الحضارة لم تنشأ من فراغ، ولا هي ظهرت بدعا من كل الحضارات وإنما جاءت تنسيقا وتنضيدا لكل معطيات الحضارات السابقة وإعادة لتشكيلها لتعبر عن عقيدة التوحيد وقيم الرسالة الإنسانية كما يحددها الإسلام، فصبت في قوالبها كل إبداعات الشعوب وذوبت في بوتقتها كل خصوصيات الأقوام والأمم التي انضوت تحت لواء الإسلام، فلم يمنع إسلام تلك الشعوب المختلفة الأرومات واللغات من أن تحتفظ بالخصوصية القومية، والمظاهر العاكسة لطبيعة الأرض والمناخ والإقليم، وربما اللغة والفنون والعادات أيضا، ولكنك تجد هذه العناصر كلها كالألفاظ المترادفة ذات المعنى الواحد بالنسبة للشعوب الإسلامية وإن كانت تختلف في الأشكال والتعابير يبقى الجوهر واحد.

---

2) انظر، كتابنا **من المنظور الإسلامي**، ص. 224.

وهو نفس ما حصل في البلاد الإسلامية النائية عن مهبط الوحي وظهور الإسلام، وكان المغرب في هذه البلاد ذات الخصوصيـة الثقافية المتميزة. إلا أنه ما لبث أن اكتسب هويته السياسية والحضارية في الإطار الإسـلامي وداخل قوالب الثقافة الإسلامية ونظمها العامة، بصـورة لم يتمكن المغرب من تحقيقها في العصور السابقـة عن الإسلام. بل إننا نجد المغـرب قد أصبح، في إطـار التاريخ الإسـلامي العام، دولـة ناهضـة برسـالتها، مستقلـة بكيانها، شـاعرة بـوحـدتها متأبية عن أن يبلـغ بها الانفتاح على الثقـافات حـد الـذوبان، أو أن يقعـد بها الانغلاق مقعـد التقـوقع العرقي والعصبيـة السـلالية. وكـلا الأمرين انسلاخ من الهويـة الإسلامية. وهكذا التحم المغرب بالحضـارة الإسلامية، وبما أن هذه الحضارة كانت لها نظـرتها الكونية وعقيدتها الشمولية، وشريعتهـا وقيمها الناظمة لشؤون الحياة كلها فقد كان للمغرب الإسهام في هذه القيم والمؤسسات بما وسعه الجهد، سـواء تعلق الأمر بـالأخذ أو بـالعطـاء، بالاتبـاع أو بـالإبداع. وقـد كانت المؤسسـات التعليمية في المغـرب، منذ عرف هذه المؤسسـات، قائمة على هذا الأسـاس من مسجد ومدرسة وزاوية.

ومن المعلـوم أن تأسيس جامـع القرويين وقيـام الدرس الـديني فيـه اقترنا بظهـور المذهب المالكي في الفقـه، أو ظهوره في المغـرب على المذاهب الأخرى التي حـاولت أن تجد فيه مكانها كـالمذهب الكوفي (الحنفي) الذي كان قـد ظهر فيه قبل المذهب المالكي، وكالمذهب الخارجي الذي ظهر في إمارة بنـي مدرار وسجلماسة، وكالمذهـب الشيعي الذي قيل إنه قد ذر قرنه عند تأسيس الدولة الإدريسية (3).

ونقف في هذا العـرض الوجيـز على ظاهـرة قيام (جـامعة القـرويين) على أساس تعميق الأساس الحضـاري للدولـة الإسلاميـة من تفعيل هذه الثقـافة وصـوغ الشخصية المغربية في قوالبهـا، وهو الأساس الذي يقوم على اعتبار استمرار هـذه الحضارة مسؤولية تتحملها الأجيال ويبلغ رسالتها العلماء، وينهض بتبعاتها ولاة الأمر من أمراء المسلمين.

والحضارة من منظور الإسلام نظام يكفل للمجتمع المؤمن أربعة مظاهر للحياة :

1- حياة متوازنة بين تلبية حاجات الجسد وحاجات الروح.

2 - حياة مستقـرة يكفلها نشر العدل وإحقـاق الحقوق والانضبـاط مع الشريعة

---

3) انظر، كتاب **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، عبد الله كنون، ج 1 ص. 48.

وتشد بناءها الأخوة الإسلامية، ويطبعها التضامن العضوي أي (البنيانية) التي يشد بعضها البعض.

3 - حياة يملؤها إعمار الأرض وتسخير الطاقات البشرية والطبيعية والاستمتاع بكل زينة وجمال مادي أخرجهما الخالق لخلقه في حدودهما المشروعة.

4- حياة هادفة واصلة بين المبدأ والمعاد، واعية بأنه ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى.

هذه هي أهم مقومات الرسالة الحضارية التي نجدها ماثلة في تراث الإسلام الحضاري وتاريخه. وقد كان للمغرب دوره الفاعل في الاسهام الموفور في تشخيص هذه الحضارة وتعميق أسسها الثقافية. والجدير بالذكر أن المغرب حين التحق بهذه الحضارة وسار في ركابها، ظل حريصا على التعبير عن ذاتيته، بمعنى أنه اختار الاسلام وعقيدته وثقافته ورفض (التبعية) بكل أشكالها السياسية والمذهبية للشرق الإسلامي، فرفض تسريب المذهبية التي تفرق وحدة الجماعة كما وقع في المشرق. فعمل على تحقيق أمرين لا بد منهما للسيادة الوطنية، وهما الاستقلالية ووحدة المجتمع.

فالمغربي منذ كان، وفي كل أطواره التاريخية كما يقول المرحوم علال الفاسي: "لم يقبل أن يكون تابعا لأي سلطة روحية خارجية، فقد اعتنق المسيحية قبل الإسلام، ولكنه رفض أن يخضع للكنيسة الرسمية. واعتنق الاسلام ولكنه رفض أن يتبع الخلافة العباسية، بل حتى الخلافة الأموية التي كانت بجانبه في الأندلس، وليس أدل على هذه العقلية من دراسة الطرق والزوايا الموجودة بالمغرب، فإننا لا نجد واحدة منها تخضع لمشيخة رسمية خارج المغرب، كل ذلك لم يقع بيد الحاكمين ولا بتدبير الملوك، ولكنه وقع بطبيعة الوطن المعتز بكيانه الخاص، وبطبيعة المغربي التي تقبل المبدأ، ولكن لا تقبل أن يستعبدها أحد من أجل ذلك المبدأ، ومعنى ذلك أن المغرب حين يختار من المبادىء ما يشاء لا بد أن يصهره ويكيفه لمقومات الاستقلال الذاتي" (4).

لقد قامت المؤسسة الجامعية في المغرب على تشخيص هذا النزوع وتمثيله خير تمثيل، ولاسيما في مجال " الثقافة" التي هي نسغ الحضارة وماؤها، والخيط الناظم لعصورها المتوالية.

---

4) **النقد الذاتي**، علال الفاسي، ص. 138 .

قـام المغـاربـة، بعد استقـرار الإسـلام في أرضهـم، بـالحج إلى الشرق الإسـلامي لتحقيق هدفين :

- أداء المناسك المفروضة في الديار المقدسة وزيارة مهبط الوحي والروضة الشريفة.

- تلقي العلم من منـابعه، عن طـريق وصل الأسانيـد بينهم وبين رواة الحديث، ومجالسة العلماء ومشـافهتهم، ونقل الكتب الأمهات لدراستهـا وتدريسهـا عنـد القفـول إلى الأوطان.

ويستوقفنا في تاريخ جامع القرويين أو (جامعة القرويين) ظاهرتان :

- الظاهرة الأولى أنها كـانت المؤسسة العلمية الكبرى التي رسخت أسس المذهب المالكي، ومن خلاله رسخت أسس المذهب السني في العقيدة، فصهرت بذلك المجتمع في بوتقـة الوحدة المذهبية في تـواز مع التوجه السيـاسي للدول المغربية في معظمهـا، وهو تحقيق وحدة البلاد من خلال وحدة المذهب الفقهي والعقدي.

ولقد تعددت التفسيرات من لدن الباحثين القدمـاء والمحدثين لظاهرة أخذ المغرب والأندلس منـذ العصور الأولى للمـذهب المالكي. وهي تفاسير منها مـا يأخذ بـالمميزات التي يتميز بها المذهب، ومنها مـا يأخذ بالاعتبار المنـاقبي للإمام مالك، ومنهـا ما يأخذ بتأثير المنهج الـرائد في جمع الموطأ وتـوطئة الشريعـة للفهم والتعليم والإعـلام، ومنها مـا يعتبر العامل الاجتماعي الـذي يقول بتشابه البيئـة الحجازية والبيئة المغـربية كما ذهب إلى ذلك ابن خلــدون من القـدماء، ومنهـا ما يأخــذ بالتفسير المصلــحي والسـياسي(5). وهذه التفسيرات في نظرنا لا تتعارض بل تتعاضد وتتكامل.

وإذا كان عصر الموحدين قد عرف زعزعة هذا المذهـب فقد أفاد المغاربة من ذلك، كما قال المرحوم عبد الله كَنون، لقاحا جـديدا رد المغاربة إلى الأصول ومناقشة الفروع في ضـوئها، فلم يبق الفقـه المالكي ذلك الفقـه الذي يقــارن أقـوال أئمة المذهب بعضهـا ببعض ليرجعها في النهايـة الى رواية ابن القاسم عن مالك، بل صار الفقـه يعتمد الأدلة وينظـــر في الخلاف العـالي، وبـذلك أحرز خير مـا في المعـارضـة للمـذهـب في عهـد

---

5) انظر، بحثنـا : «المذهب المالكي بالمغـرب والأندلس : نظـرات في النشأة والاستقرار»، **أعمال ندوة الملتقى الإسباني المغربي الثاني للعلوم التاريخية**، غرناطة، 1989.

الموحـدين ليحـولها إلى قوة يستـوعب معهـا الحيـاة النـامية المتطـورة والتـوسع في مسـالك الاجتهاد داخل المذهب.

الظاهـرة الثانية أنها، أي جـامعة القرويين، كـانت المؤسسة التي اعتبرت الثقـافة الإسلامية متماهية مع اللغـة العربية. فكان تعليم اللغة العربيـة بمختلف آلياتها النحوية والبلاغيـة يوازي تعليم الفقه والأصـول. واعتبر علماؤها أنه إذا كـانت الثقافة الإسـلامية يـرجى منها أن تـوحد المجتمع فإن الفقـه يوحـده بضوابط القـانون الإجتماعي، واللغـة العـربية تـوحده بضـوابط اللسـان، وتشده الى لغـة القرآن، وأن الفصل بين اللغـة وبين الدين في تمظهـره النصي العربي هو إبعـاد للدين عن المباشرة الـوجدانية، وجعلـه سلطة (كهنوتية) تحتـاج بالنسبة لكل مغربي ولكل إقليم من أقاليمـه إلى ترجمان، كما وقع لبلاد الأعاجم عندما عادوا الى لغاتهم القومية.

أحـس علمـاء المغـرب الساهـرون على القيـام بـرسـالـة الحفـاظ على الهويـة الإسـلاميـة بالنسبـة لمجتمعهم بأن إزاحـة الحاجـز اللغـوي بين المغـربي المسلم وبيـن مباشرة النصـوص الموحى بها جزء من استكمال الهوية الإسلامية، وما لا يتم الواجـب إلا به فهو من الواجب.

وقام سـلاطين بني مرين بسيـاسة التعـريب للمغرب في كل المستـويات، وأنشأوا المدارس الموازية لجامعـة القرويين، وأنشأوا المكتبات وبنـوا المدارس والمساجد التي تـزينها نقوش الكتابات العربية من شعر وآيات قـرآنية، وأصبحت للدولة دواوين معربة يتبارى فيها كبار الكتـاب في تحرير الرسائل الـديوانية، وتدفقـت مؤلفات العلماء المغاربـة باللغة العربية، وظهرت الإبداعات الشعرية والنثـرية التي كان يضاهي بعضها الإبداعات التي ظهرت في الاندلس أو في المشرق.

ويتحدث مؤرخو العصر المريني الذي عرف ازدهـار جامعة القرويين بصفة متميزة عن ازدهار الحركة العلمية والادبية والثقافيـة بصورة لافتة للنظر، وفي سياق من التشجيع الرسمي للدولة ولاقبال المغاربة من كـل الاقاليم على المدارس والزوايا والمساجد والجامعة في آخـر المطـاف، فيعـزون هـذا النشـاط الى رعـايـة سـلاطين بني مـرين للعلماء، والى تأسيسهم للمـدارس، والى اشتغال بعض أولائك السـلاطين بالعلم والمجالـس العلمية،

ويعـزون ذلك أيضـــا إلى كثـرة العلماء في هـذا العصر واستبحـــار التأليف وجمع الكتب وإقبال الطلبـة على المدارس وحلقات الدروس، وإلى مـا وجده هؤلاء الطلبـة من شفوف اجتماعي في تعاطيهم للعلم وتصدرهـم للقضاء والفتيا والمناصب الدينية (6).

غير أن مـا يتعن اعتباره في كل المظـاهـر التي تؤيـدهـا عشرات بل مئات الامثلـة والاسماء من أعلام العلماء وعناوين ومؤلفات ومؤسسات التعليم، هو أنها كانت كلها من نتاج المؤسسـة التعليمية كالمدرسة والـزاوية والجامعة، وحلقات الـدروس المنتظمة وتحبيس كراسي العلوم على الجامعـة والمدارس لضمان استمرار التكوين العلمي والتوجيـه الديني. وهذا ما قـامت به جامعة القرويين والمدارس الموازية لها في عصر المرينين التي نـذكر منها في هـذا السياق مـدرسة الحلفـاويين (670 هــ) ومدرسـة الصهـريج (721هـ) ومدرسة العطارين (723هـ) والمدرسة المصباحية (745هـ) والمدرسة العنانية (755هـ) (7).

لقد أكـد الباحث الفرنسي روجي لوتـورنو في كتابه عن مـدينة **فاس في عصر بني مرين** أن مجمـوع المدارس التي أنشأهـا بنـو مـرين حـول القـرويين يـدل على واحـد من أمرين، فإما أن جامع القرويين كانت له منـزلة خاصة، وإما أنهم أرادوا أن يصبغوا عليه هـذا التميز، على أن مجمـوع هـذه المدارس المؤسسة تكـون مـا يصح أن نعتبره جامعـة، لاسيما إن أخذنا بعين الاعتبار أن تلك المدارس كان بها كراسي متخصصة في علوم معينة أو كراسي متخصصة لتدريس كتب معينة توازي الدراسة بالجامع الأم.

وقد تحدث الأستـاذ عبد الهادي التـازي في **تاريخ جامع القرويين** عن فـاس ذات المئة والأربعين كرسيا من كراسي العلم التي كانت تنتظم حلقات الدرس يومئذ، موزعة في المساجد الكبرى والصغـرى والمدارس بالإضافة إلى جامع القـرويين. فقد كانت بهذه المدارس كـراسي للدروس يجلس عليهـا علماء متخصصـون وبذلك كـانت بمثـابة فـروع لجامع القـرويين مكملة لبرامـج التكوين العلمي أو لبرامج التـوعيـة والتـوجيه الـديني. وكانت أهـم المواد العلمية المكونة لتلك البرامج هي العلوم الدينية والعلوم اللغوية ثم تأتي العلوم العقلية بعدها.

ففي الفقـه، مثلا، كـانت أمهات مصـادره تدرس بجـامعة القـرويين كـ**الرسالة** لابن أبي زيد القيرواني (386هـ) و**المختصر** للخليل بن إسحاق (761هـ) و**مختصر** ابن

6) انظر، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، عبد الله كنون ج 1 ص. 189، 190.
7) انظر، **تاريخ جامع القرويين** للدكتور عبد الهادي التازي ج 2 ص. 358 وما بعدها.

الحاجب (571هـ)، وكانت **المدونة** لسحنون (240هـ) تدرس بمدرسة الحلفاويين ومدرسة العطارين ومدرسة الوادي ومسجد الأندلس، وكان **المختصر** يدرس أيضا بمدرسة الحلفاويين وبالمدرسة المصباحية، وبمدرسة العطارين وبمسجد الأندلس. وكانت **الرسالة** تدرس بمدرسة الصهريج وبمسجد الأندلس وبمسجد باب عجيسة ومسجد سيدي تميم ومسجد الشرفاء. وكان **التهذيب في اختصار المدونة** للبرادعي (372هـ) يدرس بالمدرسة المصباحية والمدرسة المتوكلية (البوعنانية) ومدرسة فاس الجديد وبمدرسة الصهريج التي كان بها بالإضافة إلى كرسي **التهذيب** كرسي لتدريس **البيان والتحصيل** لابن رشد (520هـ)، وكان **الموطأ** لمالك ابن أنس (179هـ) وكذا **العمدة، عمدة الأحكام عن سيد الأنام** للمقدسي (600هـ) يدرسان بمسجد الأندلس لكل منهما كرسي خاص.

أما علم الأصول فظل يعتمد مرجع **جمع الجوامع** لتاج الدين عبد الوهاب السبكي، ولاسيما بشرح المحقق جلال الدين المحلي(864هـ). أما الحديث وعلومه وجوامعه فكان التدريس فيه يعتمد كتب الصحاح مثل **صحيح البخاري** (256هـ) **ومسلم** (261هـ) **وجامع الترميذي** (279هـ) **والموطأ** لمالك ابن أنس (179هـ) **وألفية** العراقي (806هـ) في مصطلح الحديث إلى جانب **نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول** للحكيم الترميذي (255هـ) **وشهاب الأخبار** للقضاعي (454هـ) **والترغيب والترهيب** للمنذري (656هـ) **والتحبير** للسمعاني (562هـ) **والتسهيل والتقريب والتصحيح لرواية جامع الصحيح** لابن الرصاع (894هـ) **وعمدة القاري في شرح صحيح البخاري** للعيني (855هـ). وكانت كراسي هذه الكتب موزعة بين جامع القرويين، ومسجد الأندلس، ومسجد الآبارين، ومسجد الشرفاء.

وكان لعلوم القرآن والتفسير كراسيها ومراجع دروسها المعتمدة، ففي التفسير اعتمد **تفسير الكشف والبيان** للثعلبي (427هـ)، **وتفسير البيضاوي** (685هـ) **وتفسير الرازي** (606هـ) .

أما علوم اللغة العربية فكان التدريس يعتمد مصادر الأدب الأربعة، وهي كتب **الأمالي** مع **الكامل** للمبرد (285هـ)، وفي النحو **كتاب سيبويه** (180هـ) **وألفية ابن**

مالك لجمال الـدين محمـد الجيـاني (673هـ)، **والتسهيل** له أيضـا. وفي البلاغـة **شرح التلخيص** للقزوينـــي (739هـ)، وإلـــى جانب هذه العلوم كان هنـاك علم التوحيد، وكان أهم مـراجعه **أم البراهين** للسنـوسي (895هــ)، وإلى جانبـه كـان الاهتمام بعلم **المنطق** وعلم الجدل، والمعتمـد فيـه كتـاب ابن الحاجب (571هـ) : **منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل.**

أمـا علـوم الحســاب والجبر والفلك والتوقيـت والهندسـة فكان لها حظهـا بين تلك المواد العلمية.

وقد مثلنا في هـذا السياق لما كان عليه نظام التكـوين العلمي، والكراسي العلمية التي كانت تنتظم حلقات الـدرس خلال القرنين التاسع والعـاشر الهجريين، مع الإشارة إلى أن تلك المصادر والمواد العلمية كانت تتغير بحسب تعاقب العلماء والأجيال.

ومـما ينبغي أن يعلم في هـذا السيـاق أنه كـان للمـرأة مكـانها من أجل الحضـور والمشـاركة والاستماع إلى الـدروس والإفـادة من بعض حلقـاتها. فكان بجـامع القـرويين مستودع النساء وكان بمسجد الأندلس مستودع خاص بالنساء وكان لبعض المدارس التي تأوي الطـلاب شروطـا مشجعة على الاستيعـاب، فكـان بعض تلك المدارس تشترط في المستفيدين من الإيواء بها أن يكون الطالب ممن يحفظون **مختصر** خليل أو **مختصر** ابن الحاجب مثلا(8) فضلا عن حفظ القـرآن والمتون الأساسية في النحـو والصرف. وقصارى القول في هذا السياق أن مدينة فاس كـانت في القرن الثامن الهجري (القرن الرابع عشر الميلادي) من أهم الحواضر الإسلاميـة في العالم الإسلامي كما ذكر لوتـورنو. فلا دمشق ولا بغداد ولا القاهرة ولا غرناطة، كانت جميعها تحفل بما تحفل به مدينة فاس يومئذ من حركة علميـة مزدهرة وجامعـة متألقة تجذب أنظار طلاب العـالم من قلب إفريقيا وشمالها والمشرق نفسه.

وهناك مـلاحظة قيمة أبـداها لوتورنـو، وهي أن المرينين عنوا باستقـدام النخبة من طلاب البـادية المغربيـة وشجعوهم على الـدرس، هادفين إلى «تحضيرهم» أو تمدينهم من أجل جعلهم قــدوة لشرائحهم الاجتماعيـة ليعـودوا إلى مســاقط رؤوسهم لينشروا العلم

8) المرجع السابق، ص. 388.

والوعي الـديني والقيام بوظـائف التدريس والتوجيه، وهـذا ما أصبغ على فاس نـوعا من «السيادة الفكرية» بحيث لم يكن لعالم أن يعتز يـومئذ بعلمه ما لم يمر بهذه المدينة ويجلس إلى حلقات الدرس أو يدرس على منابرها ليشهد له الناس بالتمكن في علمه (9).

مـاذا كـان جـوهـر هذا التعليـم بالجامعـة، وفي المدارس المرتبطـة بها وفي الـزوايـا والمساجد المختلفة في أرجاء المغرب ؟

كان جـوهر هذا التعليم خـلال القرون اللاحقة ابتـداء من القرن الثامن ومـا يليه تعليما يقوم على نقل الحقائق الشرعيـة والاعتقادية والفقهية والأخـلاقية، لا الحقائق التي تتمخض عنها التجـربة والبحث العلمي في ظـواهر الطبيعة والحيـاة الإنسانية، فقـد كان البحث العلمي وقد وقـف في مجال العلوم الطبيعية والعقليـة، وكذلك كـان التعليم يقوم على تلقين علـوم الآلـة التي بها يتـوصل إلى فهم النصـوص الموحى بها ونقـد أسـانيـد الأحاديث المروية، وفهم إعجاز القرآن عن طريق علوم البلاغة، وطرق الجدل والإقناع الكـلامي، وآلتـه المنطق وعلم الجدل، وطـرق استنبـاط الأحكـام من أدلتهـا وآلتـه علم الأصول. فكان دور الجامعة في نشر هذه العلوم يمثل «رسالة حضارية» قائمة على تحقيق الوحدة الاجتماعية وصيـاغة الأخلاق صياغة قائمـة على قيم ثابتة، وجعل المجتمع الذي يقـوم على الاسلام عقيـدة وشريعـة يمتلك آليـات التفـاعل المنتج، والدفـاع عن الهويـة وتحصين الذات من كل زيغ أو انحراف أو غزو حضاري أو ثقافي مضاد.

والنتيجة المؤكدة لهذا النوع من التعليم- كما قال لوتورنو - هي خلق النخبة المغربية التي كانت تتلقى نوعا واحدا من التكوين والقيم الثقـافية، فسواء تعلق الأمر بالتجارة أو بالإدارة أو بـالتعليم أو بالقضـاء فإن جميع العـاملين في هذه الميادـين كانوا قـد نشأوا في منـاخ ثقافي وحضـاري مشترك بفضل التعليم والثقـافة الإسـلاميـة، فكانـوا يعبرون عن أنفسهم بأسلوب واحـد، وكانوا يتشبثون في طـول البلاد وعرضها بحقيقـة أزلية واحدة، كانت تنتقل من جيل إلى جيل بمنتهى العناية والحرص والأمانـة. وقد كان لهذا كله أثر إيجابي في تمتين الـروابط الاجتماعية. ولعلـه ساعـد في خلق ما يسمى في تعبيرنـا الحديث «بالوعي الوطني» في بعض مناطق المغرب (10).

---

9) انظر، **فاس في عصر بني مرين**، لوتورنو، تعريب نقولا زياده، ص. 174.
10) انظر، **فاس في عصر بني مرين**، ص. 181، 182.

ولكن هذا النظـام الصارم الذي ضيق من حـرية الفكر إلى حد بعيـد واعتمد على ثقافة «النموذج» الـواحد، وعلى ثقافة الذاكرة في عصوره المتأخـرة كان قد أوقع الأجيال اللاحقة في التقوقع والثقة في النفس على غير أساس صحيح.

ولذلك عجز المجتمع المغربي عن مواجهة تحديـات حضارة الغرب منذ بداية هذا القرن حين رأى في تقـدمها العلمي والتكنولـوجي والاجتماعي ما بهره عند اتصـاله بها أو عندما وقع تحت تأثيرها، ولكنه لحسن الحظ لم يفقـد ثقته بنفسه، ولا غيرته على استقلاله ولا قدرته على المقـاومة، وذلك ما مكنه من تحرير ذاته من الاستعمار، ومن التـوجه بثبات نحو استرداد سيادته وأصالته. فهل يستطيع مغرب اليوم أن يجدد لجامعته رسالة حضارية جديدة ؟ وهل تستطيع جامعة القرويين بالـذات أن تطور رسالتها لتظل في موقع القيادة الفكرية في معترك الصراع الحضاري الذي تعرفه بلادنا، ويعرفه العالم الإسلامي برمته؟



«...ومحاولة لتجاوز الأساليب القديمة في تقديم الاسلام، والسعي لعرض عقائده وكل حقائقه عرضا علميا عصريا واضحا، نرى اللجوء الى طرائق جديدة في تعاملنا مع غير المسلمين والغربيين منهم خاصة، حسبما يلي:

- الحرص، رغم هذا الواقع، على إقامة حوار فاعل، وبناء هادئ مع الطرف الآخر، على أن يكون حوار ثقافات وحضارات بعيدا عن سوء الفهم والصدام بينها.

- تقديم الدين في خطاب منظم وفي ثوب حضاري وثقافي جديد، بإشراك كل الفعاليات العلمية والفكرية والثقافية والأدبية والفنية.

- التعريف بالقرآن والحديث والتاريخ الإسلامي بطرق مختلفة تراعي مستويات المتلقين ودرجاتهم في الثقافة والفكر.

- الاستعانة بالجامعات وتخويل الجامعيين الوسائل الناجعة للقيام ببحوث جماعية يحدد لهم موضوعها وأهدافها، ثم تنشر على نطاق أوسع بكل اللغات العالمية.

- العمل على إدخال المعرفة الاسلامية في الثقافة الانسانية العامة لتصبح جزءا منها في برامج التعليم العام والمقررات الجامعية فلا تبقى منسية مهملة.

←

جامعة القرويين ورسالتها التربوية بين الأصالة والتحديث



آمال جلال
عميد جامعة
سيدي محمد بن عبد الله - فاس

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين.

أصحاب السعادة والفضيلة،

حضرات السيدات والسادة الكرام.

في البداية اسمحوا لي أن أتوجه بجزيل الشكر وجميل الثناء لبيت آل محمد عزيز الحبابي، على هذه الالتفاتة الطيبة الرامية إلى تكريم عميد جامعة القرويين الأستاذ العلامة الدكتور عبد الوهاب التازي سعود، فهذه المبادرة التي قامت بها الأستاذة فاطمة الجامعي تعد التفاتة سنية المدلول بهية المفعول جديرة بالقبول لأنها تكريم للعلم والعلماء وتقدير للشيوخ وعربون محبة ووفاء. وهي إذ تنظم هذا الحفل البهيج في بيتها العامر فقد نابت عن الأسرة الجامعية المغربية، وعبرت عما يجيش في صدور أساتذتها وما يختلج في قلوبهم، سيما وأن هذا اللقاء ينعقد في «دار الندوة» التي أسسها المرحوم الدكتور محمد عزيز الحبابي لتكون منبرا فكريا، وملتقى أدبيا يجمع نخبة من مثقفي ومفكري هذا البلد الأمين.

حضرات السادة،

إنها لفرصة سعيدة هذه التي نجتمع فيها لتكريم رجل من كبار رجال التعليم العالي ببلادنا، زميلنا وأستاذنا الدكتور سيدي عبد الوهاب التازي سعود، ومن خلاله جامعة القرويين العتيدة التي شرفه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، منذ خمس سنوات خلت، برآستها وتسيير عمادتها ومجلسها بالنظر إلى مؤهلاته العلمية وكفاءاته الإدارية التي اكتسبها خلال أربعين سنة قضاها في خدمة التربية والتعليم كان خلالها مثالا للتفاني في خدمة العلم والثقافة والإخلاص والجدية في أداء رسالته التربوية.

وإذ نجتمع اليوم بمبادرة نبيلة كريمة من رفيقة أستاذنا المرحوم محمد عزيز الحبابي في درب العلم الطويل وحرمه، الأستاذة فاطمة الجامعي، فلتكريم الشخص والمؤسسة التي يرأسها في نفس الوقت : وما أسعد الشخص أن يوجد على رأس مؤسسة تعد من أقدم جامعات العالم الراسخة بماضيها في المجد العلمي والحضاري، والثابتة في حاضرها بإشعاعها الثقافي والوطني، والصالحة للمستقبل بآفاق مناهجها المتطورة الناهلة من مبادىء الإسلام وأسسه ومكوناته باعتبار جامعة القرويين مرتبطة بتاريخ أمتنا العريقة ومترسخة في وجودها المعنوي والحضاري، ورافدا مهما من روافد الثقافة الإسلامية.



الأستاذ العميد عبد الوهاب التازي سعود وعن يمينه الأستاذان الجليلان عبد اللطيف بن عبد الجليل عميد جامعة محمد الخامس، وآمال جلال عميد جامعة سيدي محمد بن عبد الله

وإذا كان تكـريـــم أستـاذنـا الـدكتـور عبد الوهاب التازي سعود اعترافا بدوره في خدمة المسيرة التربويـة بكـل أطوارهـا في وطنه، فهو أيضا تكـريم لجامعة عزيزة على كل المغاربة كمعلمة متميـزة في تـاريخ المغرب المجيد. وبذلك نكون نحن أصـدقاؤه ومعارفه وتلامذته من خلال هذا التكريـم، أوفياء لتاريخ وتراث هذا البلد الأمين . فحينما نقول كلمة وفاء، فإنما نقدم شهادة حق ونؤكد، بكل صدق، احترام المغاربة لرموز حضارتهـم وثقافتهـم وقيمهـــم وعقيـدتهم، وهـذه لعمـرى مؤشـرات إيجابيـة في تاريـــخ الحضارة المغربيـة، لأنها حضـارة متواصلـــة الحلـقـات لا تــرفـض حلقـة حلقـة أخـــرى لأنها متكاملـــة ولا يناقض جديدها قديمها .

ويمكن اعتبار الدكتور عبد الوهاب التازي سعود في مقدمة الأساتذة الذين كرسوا حياتهم لرسالتهم التربوية التي آمنوا بها بـلا كلل ولا ملل، فحياته محطات متواصلة من تحصيل العلم وتلقين المعرفـة انسجاما مع ما وجـد عليه نفسه منذ نعومـة أظفاره في بيت عريق يـرعى العلم ويحرص على تربية الناشئـة تربية إسلامية صحيحـة لا ترفض التفتح على الثقافـة الفرنسيـة، فنشأ مثـالا للشاب المزدوج التكويـن والمعتز بعقيـدته الإسـلامية وبشخيصة العالم الجامع بين الثقافتين الإسلامية والغربية مما خوله على مر الأيام قدرة على فهم دور الفكر الإسـلامي في مواجهـة الفكر المعـاصر، ولا زال يتابع رسـالته هـذه بهمة عاليـة ومروءة موصـولة، لا يبخل على طلبته ومـريديه الكثيرين بعلمـه الغزير إيمانـا منه بدوره كمربي سائر على سنن السلف الصالح بلا اعوجاج أو انحراف .

وإذا كانت جامعة القرويين منذ تأسيسها على يد فاطمة الفهرية ملتقى يوميا لأهل الذكر والفكـر، تستقطب طلاب العلم من فاس ومن خارجهـا وحتى من خارج المغرب لينهلوا ويكرعوا من حياض معارفها نـاعمين بمجالسة العلماء الأفذاذ، يتلون كتاب الله وأحـاديث نبيه المصطفـى (صلعم) ويتدارسـون كتب التفسير والفقـه والنحـو والبلاغـة والرياضيات والطب والفلك ، فيجب أن لا ننسى أنه بجـانب هذه الدروس كانت تقام حلقـات علميـة أخـرى تشكل بحق جـامعة مفتـوحـة يقبل عليهـا، بحماس، التجـار والحرفيون والصناع والخاص والعام، يقطفون يانع ثمارها وقد جلسوا بنظام وانتظام ملتفين حول كـراسي العلماء تغشاهم الرحمة والسكينة والطمـأنينة وهم يتلقون العلوم الإسـلامية بشتى أنواعها. وبذلك ساهمت هذه الجامعة، على مر العصور، في تكوين علماء أجلاء وفطاحل الفقهاء والقضـاة وكبار الأساتذة والخطباء من جهة، وفي نشر الثقـافة الإسلامية والوعي الوطني في الأوساط المهنية لغير المتعلمين من جهة أخرى. فامتد إشعاعها الثقافي العلمي والحضـاري داخل المغـرب وخـارجـه إذ كان روادهـا مسخـرين لخدمـة الـدين

الإسلامي القيم وشريعته السمحاء، ولذلك نشروا علوم الدين في ربوع المملكة المغربية وحتى خارج حدودها شرقا وجنوبا. وقرب ملوك المغرب العلماء وشيدوا لهم المدارس والمعاهد في الحواضر والبوادي، ومن تم شيدوا بالإسلام وللإسلام حضارة وارفة الظلال كانت منارة للناس في حياتهم، تهديهم إلى رعاية حقوقهم مكرمين بشريعة وعدل الإسلام. ويمكن القول أنه بفضل هذه المسيرة التاريخية الموفقة لجامعة القرويين ظل المغاربة معتصمين بحبل الله، دعاة وحماة للحق، ميسرين لا معسرين، متبعين لا مبدعين في إطار أهل السنة والجماعة.

وإذا كان من العسير اختصار تاريخ جامعة القرويين المجيد في سطور نظرا لأهمية هذه المؤسسة ومكانتها العلمية الرفيعة ودورها في نشر العلم والمعرفة والوعي الوطني، فإنه من الصعب، أيضا، اختزال آفاق إشعاعها الثقافي والحضاري للمستقبل في عجالة قد لا توفي الموضوع حقه.

فالرسالة التربوية لهذه الجامعة العريقة إذا كانت تسعى إلى الحفاظ على الأصالة فهي لا ترفض التحديث بدليل أنها سعت، منذ ما يزيد على نصف قرن، إلى ملاءمة برامجها التعليمية ومسايرتها لروح العصر. ويمكن القول إن وجود رجل عالم مثل سيدي عبد الوهاب التازي سعود، على رأس هذه المؤسسة يعد مؤشر خير على إمكانية السير بها نحو مدارج الرقي، وسبل الحداثة في امتداد طبيعي للماضي والحاضر والمستقبل.

وأستاذنا الجليل الدكتور عبد الوهاب التازي سعود في مقدمة الرجال الذين يمكنهم الاضطلاع بهذه المسؤولية بصدق وأمانة. فقد عرفته منذ عشرين سنة مضت لما كنت أحضر بصفتي رئيسا لشعبة القانون الخاص بكلية الحقوق بالرباط الاجتماعات الدورية بوزارة التعليم العالي المخصصة للنظر في إصلاح نظام الدراسات والامتحانات بالكليات بعد صدور ظهير 25 فبراير 1975م المنظم للجامعات.

وكنت معجبا بطريقة دفاعه عن تصوراته لما يجب أن تكون عليه البرامج التعليمية الجامعية وتشبثه بالدفاع عن قيم الإسلام ومقدساته والتوابث الفكرية والوطنية. وزادت معرفتي بالأستاذ الجليل حينما عينت عميدا لكلية الحقوق بفاس في شهر شتنبر من سنة 1979، مما أتاح لي فرصة الاحتكاك الشبه اليومي به بحكم نوعية المشاكل التي تعترض المسؤول الجامعي، لذلك عجبت بترويه وصبره وقدرته على التحمل وإيمانه بالحوار واعتماد طريق التشاور بدل الانفراد بالقرار مما مكننا، كمسؤولين جامعيين، من تخطي كثير من الصعاب بسلام أو الخروج منها بأقل الخسارات بسبب المشاكل التي كانت

تعترض سير الجامعة بفاس آنذاك. ومن تم قدرت الرجل حق قدره لما عرفت فيه خلال هذه المدة التي قضيناها معا من إخلاص وجدية.

وعندما أزجي عليه المديح اليوم وأثني عليه فلا أقدم كلاما جزافا أو رأيا اعتباطا وإنما ليكون هذا التنويه واجبا نحو أستاذ عالم أخلص لوطنه وأدى رسالته التربوية في نشر العلم وخدمة الثقافة على الوجه المطلوب.

ومن تكن هذه شيمه فليس عزيزا عليه أن يكون ساهرا على تطوير البرامج التعليمية بالجامعة التي يرأسها، وتفعيل مكوناتها من أجل اقتراح وتطبيق إصلاحات بيداغوجية تجعل هذه المؤسسة في وضع مريح من حيث مواكبتها لتطورات مناهج العلوم والمعرفة والبحث حتى تصبح بحق مؤسسة للدراسات العليا، يلجها الطلبة بعد تخرجهم من مختلف المؤسسات الجامعية ليدرسوا بها غير معتمدين على حفظ القواعد والنصوص بشكل تراكمي، وإنما بطريقة تمكنهم من فحص النصوص وتحليلها بالطريقة العلمية المعتمدة على المنهجية في البحث، والمنطق في التفكير، وحسن ترتيب الأفكارمع مراعاة الجوانب اللغوية والبلاغية أثناء تحليل النصوص وشرحها، والكل في إطار علاقة علمية وثيقة الصلة بين الأستاذ والطالب تعتمد التواصل عن طريق الحوار الفكري والمناقشة، مع حث الأساتذة على استعمال الأساليب التكوينية العلمية كالحاسوب ومختبر اللغة وطرق التواصل المعلوماتية كالتي تتيحها شبكة الإنترنيت، مثلا، سواء في المخابر أو المكتبات لتمكين الطلبة من جني ثمار هذه المنجزات التكنولوجية بعد تدريبهم على استعمالها وتطويعها لفائدة ما تزخر به رفوف المكتبات من دخائر نفيسة ومراجع ثمينة تيسيرا للبحث العلمي في ميادين الثقافة الإسلامية بشتى أنواعها.

وبذلك يحق لجامعة القرويين أن تعتز بما تكون من علماء بارزين متميزين بالنزاهة الفكرية والورع، متمكنين من إجراء التحقيقات الدقيقة في المسائل الفقهية، قادرين على تناول القضايا المطروحة يوميا في المجتمع الإسلامي ومعالجتها بفضل خبرتهم وتكوينهم العلمي الرفيع، سواء كانت هذه القضايا ترجع إلى فقه العبادات كزكاة العقارات، أو فقه المعاملات كالإيجار المفضي إلى الملكية، أو كانت تتعلق بالفقه الاقتصادي كتغيير قيمة العملة والتعاقد بواسطة آلات الاتصال المعلوماتية الحديثة، أو بالفقه الاجتماعي كالتأمين وإعادة التأمين، أو كانت ترجع إلى مسائل طبية كأطفال الأنابيب، وزرع الأعضاء البشرية، والموت بدافع الشفقة مثلا.

وليس من العسير على جامعة القرويين تطوير مناهجها لتكوين علماء قادرين على معالجة مثل هذه القضايا ، التي تعترض الناس في شؤونهم الدنيوية ومعاملاتهم، بما

تقتضيه أسرار الشريعـة الإسلامية ومقاصـدها، علماء من المتفقهين في الدين يتقنـون لغة أجنبية بـالإضافة إلى اللغة العـربية، ذوي استقامة وورع وفطنـة، متمكنين من الفتوى والاجتهـاد بما يرضي اللـه من الالتـزام بأحكام الشريعـة الإسلاميـة السمحـة مع رعايـة مصالح الناس والتيسير عليهم.

وإذا كنت لا أستطيع أن أتحدث عن الإنتاج العلمي والأدبي الذي قـدمه الدكتور عبد الوهـاب التازي سعود خدمة للثقـافة الإسلامية بمنهجية علميـة أكاديمية تجمع بين القديم والحديث، فإني أريد أن أسجل أن المحتفى به يمكنه، بـالنظر إلى تجربته الطويلة في ميـدان التسيير والتدبير الجامعي، أن يكـون أداة تفعيل في إصـلاح المنـاهج التربويـة بجامعة القرويين بحكم خبرته وحنكته في هـذا الميدان، ومعرفته لكيفية استعمال وترشيد وسائل التحديث البيداغوجي سواء كانت وسائل مادية أو بشرية أو معنوية.

لذلك يكون تكريمه اليوم تكريما لجامعة القرويين ووفاء لرموزها العلمية والوطنية. وفضيلة الأستـاذ الجليل مثال للشخصيـة العلمية المعتـزة بعلمها، وعلم من أعـلام الأمة وأدبائها، ويكفيـه فخرا أن جـل الموجـودين في هـذه النـدوة هم من تلامذتـه أو طلبته أو مريديه جاؤوا اليوم لتقديم شكرهم والعرفان بالجميل.

حضرات السيدات والسادة،

هذه جوانب من المسيرة العلميـة والتربوية للسيد رئيس جامعـة القرويين، حاولت بسطها باختصار في خواطر عريضة على ضـوء معرفتي الشخصية به صديقا وزميلا لي في عمادة الكلية ورئاسة الجامعة والمجلس العلمي بفاس، ثم أخا كبيرا نصوحا.

فحيى الله «دار الندوة» العامرة، ورحم مؤسسها الدكتور محمد عزيز الحبابي الذي يعتز المحتفى بـه بأن عمل بجانبه سنوات طـويلة، وهنيئا لك أخي عبد الـوهاب التازي سعود بهذا التكريم من زملائك وطلبتك الذين سيبقى اسمك متصلا بكثير من عطاءاتهم الفكرية ونشاطاتهم العلمية.

كلية الشريعة ورابطة الجامعات الإسلامية

كان لكلية الشريعة بفاس شرف احتضان المؤتمر التأسيسي لرابطة الجامعات الاسلامية بناء على الدعوة الكريمة لأمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني دام عزه، وباسم جامعة القرويين في رسالة وجهها وزير الشؤون الثقافية والتعليم الاصلي من الحكومة المغربية الى رؤساء الجامعات وعمداء الكليات الاسلامية. تم عقد المؤتمرمن يوم الجمعة 29 جمادى الثانية الى 8 رجب 1309 الموافق 12-20 سبتمبر 1969.

حضر المؤتمر ممثلون عن عشرين مؤسسة للتعليم العالي من ست عشرة دولة بالاضافة الى بعض الشخصيات الاسلامية المرموقة.

وتضم رابطة الجامعات الاسلامية حاليا أكثر من 60 جامعة موزعة على مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

وقد حددت الرابطة لها أهدافا ترمي إلى ازدهار الثقافة الإسلامية والعمل على استعادة المسلمين دورهم الطلائعي في الاشعاع.

وقد انتخب المؤتمر الرابع للرابطة في دورته المنعقدة بماليزيا (سبتمبر 1988) الاستاذ ادريس العلوي العبدلاوي رئيس جامعة القرويين آنذاك أمينا عاما لها، لكفاءته العلمية والإدارية ولما لجامعة القرويين من فضل في تأسيس هذه الرابطة.

وحينما عين الاستاذ عبد الوهاب التازي سعودا رئيسا / عميدا لجامعة القرويين تولى باستحقاق الأمانة العامة للرابطة،

وكلا الأستاذين الجليلين تجند لخدمة جامعة القرويين كيما تستعيد دورها في الاشعاع الثقافي والديني والفكري على الصعيد العربي والإسلامي والدولي. فلهما من رواد هذه الجامعة كل التقدير والإكبار.



العميد عبد الوهاب التازي سعود، وعن يمينه الشيخ محمد المكي الناصري
وعن يساره العميد ادريس العلوي العبدلاوي

- تأليف كتب في مختلف علوم الثقافة الاسلامية باللغات الاجنبية.

- إصدار موسوعة تتناول كل مجالات المعرفة الاسلامية في مستويات عدة تجمع موضوعات الخلاف وتنبه عليها باللغات العالمية على غرار ما فعله المستشرقون الذين تعتبر موسوعتهم الاسلامية اليوم المصدر الأول لكل من يبحث في الاسلام وثقافته وحضارته وتاريخه.

- التعريف الواسع بمقاصد الشريعة ومكارمها.

- ترجمة عيون كتب التراث في الثقافة والفكر لدى المسلمين الى اللغات العالمية ونشرها على أوسع نطاق.

- الحرص على إيجاد ترجمة لمعاني القرآن الكريم تنجز تحت إشراف مجموعة من العلماء المسلمين.

- جمع وتنظيم تراث الفكر الإسلامي وتقديمه في أطر عصرية واضحة تشجع على قراءته والبحث فيه.

- إنشاء هيئة خاصة من العلماء الاختصاصيين للقيام بهذا العمل ومتابعته، مع صندوق خاص للإنفاق عليه باستمرار.

عبد الوهاب التازي سعود

(انظر «اقتراحات في موضوع مواجهة التحديات التي تجابه الأمة الاسلامية»، عرض قدمه في ندوة عقدتها اللجنة الوطنية لليونسكو حول «طرق الايمان»

الرباط، يونيه 1995.)

جامعة القرويين وإشكالية الاصلاح التربوي



محمد يسف
قيدوم كلية الشريعة - فاس*

لا مراء أن جامعة القرويين بفاس ومعها كل المعاهد والملحقات التابعة لها والمتفرعة عنها كانت على مر العصور وراء حماية الوجود العلمي واللغوي والوطني والمعنوي، وحراسة الشخصية الحضارية لمغرب الاسلام ولاختياراته المذهبية، من حيث هي جامعته الاكاديمية والشعبية النابعة من ضميره ووجدانه، والمترجمة لطموحه، وتطلعاته وأمانيه ورغباته.

فمنذ أن أثبتت هذه الجامعة حضورها كقوة فاعلة في الحياة الفكرية والعلمية والدينية والوطنية وهي تتمتع بثقة الأمة، دولة وشعبا، وبإجماعها على اعتبار خطابها الشرعي ونهجها الاصلاحي، بمثابة اختيار وطني ومطلب شعبي لايقبل المناقشة أو الاعتراض بأي حال من الأحوال.

---

*) **كلية الشريعة بفاس:**
هي الكلية الأم، تمثل امتدادا تاريخيا لجامعة القرويين القديمة، وقد تم تأسيسها في إطار إعادة تنظيم هذه الجامعة بمقتضى الظهير الشريف بمثابة قانون رقم 1.62.249 الصادر في 12 رمضان 1382 (6 يبراير 1963). وهي تهتم بالدراسات الفقهية والاسلامية والقانونية وتشتمل على شعبتين هما:
- شعبة تفسير القرآن والسنة النبوية وأصول الفقه.
- شعبة الفقه والتشريع والفروع المرتبطة بهما.

هذه الثقـة الكبيرة التي طوقـت بها الأمة عنق جامعتهـا وضعت على عاتـق قيادتها ورجالاتها أعباء ومسؤوليات ضخمة كرست جهودها للنهوض بها على أكمل الوجوه، كي تحافظ على وجودها ومصداقيتها كمرجعية علمية، ومعنوية، منها تنطلق كتائب الاصلاح وقوافله وإليها تعود.

من أجل ذلك كان عليها أن تسعـى دوما إلى تحديث أساليبها وتطويـر مناهجها، وتجديد خلايـاها لتظل ممسكة بزمـام البادرة والقدرة على رصد أبعـاد الطريق ، ورسم آفاق المستقبل، وكـان السبيل إلى ذلك واحـدا فذا لا ثـاني لـه وهـو الانفتاح على المؤسسـات العلميـة والمراصـد الفكـريـة والتـواصل مع المذاهب والتيـارات الإصـلاحيـة، أيـا كـان مصدرها، مشرقيا كان أو أندلسيا أو إفريقيا قيروانيا.

والرحلـة العلمية - وهي تقليد أصيل مـن تقاليدنـا في الطلب - أهم أدوات هذا التواصل، وأجداها في إقامة الجسـور بين المواقع العلمية بالحواضر الإسلامية، من حيث أن الراحلين من طـلاب المعرفة ورمـوزها كانـوا يجوبون دنيـا الإسلام الواسعـة بحثا عن الجديـد المبتكـر والطـريف من الأفكـار والنظـريـات، فيحملـون في أوعيتهم مع الكتب والأسانيد العـالية أحدث ما اهتـدى إليه البحث، ووصلت إليه جهود رجـاله المضنية في الوسـائل والغايات، والمقـاصد والأدوات ممـا يجدد خلايا المسيرة العلميـة، ويسمح للدم الجديد بالتدفق في شرايينها.

والتاريخ العلمي للغرب الإسلامي يشهد بأن أسلافنا كانوا خير من وظف الرحلة في ربط الصلات بين المدارس الفكـرية المختلفة في العالم الإسلامي، إذ قـوافل الراحلين التي كانت لاتنقطع، جعلت ما كان يطرح ويناقش في المشرق من قضايا فكرية ويؤلف فيه من مؤلفـات لافتة يتردد صداه في الغرب الإسلامي، ويظهـر رد الفعل عنه تأييدا أو تنديدا بأسرع ما يمكن أن يتصـور، بل وحتى قبل أن يطلع عليه الرأي العام العلمي في المشرق نفسه أحيانا، هذا فضـلا عن كتب ألفت في المشرق فقرأها المغرب وتحدث عنها قبل أن يعرفها موطنها الأصلي.

= تـولى عمادة الكلية ولسنـوات عـديدة الأستـاذ العـلامـة الحاج أحمد ابن شقرون وخلفـه في الإشراف عليها الأستاذ الجليل محمد يسف ، من أبرز منجـزات هذه الكلية إصدار مجلتها القيمة «كلية الشريعة» التي بلغت عددها العشرين.

والقيـادات السياسيـة نفسهـا كانت أحيـانـا تسمو إلى الأفق العلمي الـذي يسمح باستقطاب أعلام البحث وأقطاب الرأي من جميع التخصصات العلمية، في صعيد الجهة بهذه السياسة المنفتحة على العلم على نحـو ما حـدث بالأندلس وغيرها عندما قاد الدولة ملـوك علماء لم تصرفهـم مشاغـل السياسـة ومشـاكلها عن تدبيـر سيـاسة العلـم، وتكريـم رجالاتـه.

والمغرب بجامعته كان أحد المحاور العلمية اللافتة وحواضره البارزة وبخاصة منها فاس التي كانت ملتقى الوافدين من رموز العلم وطلابه، مما أتاح لقيادة القرويين فرصة التطور الدائم والتحريك المستمر للسلم التربـوي الذي بلغ حدا من المرونة مكن الجامعة من مواكبة ركب التطور والحداثة مع المحافظة على الشريعة وقيمها الثابتة.

وقرارات التطـوير والتحديث كانت تلقى الاستجـابة الكاملة والقبـول الفوري من الكافة، كما كانت تتخذ سبيلهـا إلى التطبيق العلمي، بفضل شبكة الخريجين الذين كانوا يؤطرون الأمة ويديرون دواليب الحياة فيها.

وهذا يلفتنا إلى أن القرويين ما كان منظورا إليها في يوم من الأيام على أنها مؤسسة جهوية أو إقليميـة كما قد يظن، فضلا عن أن تكـون جامعة مدينة معينـة، وإنما كانت



مدخل المبنى الجديد لكلية الشريعة بفاس

على الدوام جامعة وطنية، أسهم الفكر المغربي بكل مكوناته وقدراته المختلفة في بناء صرحها العلمي الذي امتد إشعاعه إلى ماوراء الحدود المغربية ليشمل دنيا الإسلام كلها.

وفاس نفسها كانت مدينة جامعية أو حاضرة العلم والعرفان، لأن جوامعها ومدارسها وزواياها كانت خلايا للعلم ومنابر للمعرفة، التقى في أحضانها كل المغاربة واستوطنتها جميع القبائل المغربية، ونزح إليها عشاق العلم ورواد المعرفة من كل البلدان مما جعلها بحق جديرة أن تسمى أم المدائن، وحاضرة الحواضر.

وما كان لفاس أن تكون لها هذه المزية لولا استضافتها لجامعة القرويين، وإنزالها منزلة القلب من الجسد. وما أحسب أن فاسا زوحمت على هذا الشرف أو نافسها فيه منافس فبدلها، فحتى في الوقت الذي كانت السياسة تختار غيرها من المدن دارا للملك فإن المرجعية العلمية ظلت دائما للقرويين، وظل الناس لايطمئنون إلى علم عالم أو فقه فقيه أو فتوى مفت إلا إذا كان ممن قرأ في القرويين وجلس بين يدي أعلامها وأجازوه وباركوا علمه.

هذا من حيث المكانة العلمية والنفوذ المعنوي الواسع للقرويين، وأما من حيث المنهج والطرائق المتبعة في التكوين وصياغة الرجال، فإن هذه الجامعة عرفت خلال مسيرتها نظامين اثنين :

النظام الاختياري والنظام الاجباري، ولكل من النظامين إيجابياته وسلبياته. فإذا كان النظام الاختياري يجعل الأستاذ حرا في المادة التي يدرسها، والطالب حرا في المادة التي يتلقاها، وفي اختيار الأستاذ الذي يأخذ عنه هذه المادة فإن تلك الحرية كانت تقف دائما عند حدود الاختيارات الكبرى التي أجمعت الأمة على اعتبارها ركائز قامت عليها الشخصية المغربية المتميزة. ومن ثم كانت اجتهاداتهم في دائرة هذه الاختيارات لا يخرجون عنهاوإلا تعرضوا للمساءلة ، إن لم نقل لغضبة العامة.

نعم للعالم في حياته الخاصة أن يختار ما يشاء من الآراء، ويعمل بما يشاء من الاجتهادات، غير أنه لا يجوز له أن يتجاهر بذلك حفاظا على ما تعارف عليه الناس، واختاروه إطارا لحياتهم.



يتوسط الصورة الأستاذ العميد عبد الوهاب التازي سعود وعن يمينه العلامة الحاج أحمد ابن شقرون العميد السابق لكلية الشريعة بفاس والفقيه الحاج عبد الكريم الداودي وعن يساره الأستاذان الجليلان محمد الفاسي والحاج أحمد الحبابي.

فالتقيد بالمذهبية الفقهية في الفروع وطريقة السلف في العقيدة، وقراءة ورش عن نافع في التلاوة القرآنية هي من القضايا الأساسية التي انعقد إجماع الأمة عليها.

ويبقى لمن يمثلون القيادة العلمية أن يكونوا على اطلاع على باقي المذاهب والطوائف والفرق وطرائقهم ومناهجهم، وهذه المعرفة من تمام شروط القيادة الفكرية التي يفترض فيها أن تناظر وتحاور على مستوى هذه المذاهب، فلا بد أن تكون عالمة بمواطن القوة والضعف لديها.

ولعل أهم فارق بين المؤطر العلمي والتربوي في النظام الاختياري والنظام الإجباري هو أنه في النظام الأول يعتمد على جودة البضاعة العلمية وحسن عرضها، وهي مناط شهرته، وعلى إجادتها وإتقانها يتوقف الإقبال عليه واتساع حلقته أو مقاطعته وانكماش مجلسه.

فالتنافس في العرض والجودة كان سيد الموقف في هذا النظام، وتلك إحدى إيجابياته، فالأستاذ العاجز كان من الصعب عليه أن يجد مكانا له في هذا النظام.

على عكس زميله في النظام الإجباري الذي يفرض على الطالب أن يحضر مجلس أستاذ لا يقتنع بعلمه.

والتاريخ الفكري نفسه إنما سلط أضواءه على اللامعين وحدهم من أعلام الأمة في كل عصر. وأغفل ما سواهم فكأنهم ما كانوا.

وعندما فرض النظام في القرويين، أصبح يعتمد الشهادة التي غالبا ما تكون بغير علم على عكس الإجازة التي كان يعطيها الشيوخ.

والحق أن الرسوخ ذهب مع النظام الاختياري المسؤول الذي كان فيه العالم يعتبر العلم أمانة لا يجوز إضاعتها أو التفريط فيها بحال.

لا يعني هذا أنني مع النظام الاختياري، فهذا ما لا سبيل إلى التفكير فيه، ولكنني أحب في النظام الاختياري روح الاجتهاد والتنافس التي كانت حافزا من حوافز الابداع في الأداء والتجديد في العطاء، الشيء الذي غاب أو كاد في النظام الإجباري الذي يجعل من الأستاذ الفاشل ضربة لازب وقدرا مقدورا.

وقد تعرضت القرويين لعدد من الاصلاحات لم تستطع أن تعيد لها مجدها الكبير الذي ما زالت تعيش على ذكراه.

هذا المجد الذي قرأ الأستاذ العميد الدكتور عبد الوهاب التازي سعود وثائقه بعناية، ووقف على صحائفه الوهاجة التي خلدت مسيرته العلمية والاصلاحية، وقدرته القادرة على مواجهة التحديات والوقوف في وجه العدوان كلما اشتد ضغط النوائب والخطوب، فصح العزم منه، وقد آل إليه أمر قيادة القرويين، وتوجيه خطاها، بعد أن وهن العظم منها، وثقلت خطاها عن مجاراة ركب العلم وقافلة التطور، عساه أن يجدد قديمها، وينعش ذابل غصونها.

واسمحوا لي، أيها السادة، أن استطرد إلى إشادة لا أحب أن تفوتني في هذه المناسبة التكريمية - والمناسبة شرط كما يقولون - وهي إشادة صادرة عن قناعة ذاتية لاحظ فيها لمجاملة غثة أو إطراء سخيف، وإنما هي كلمة للحقيقة والتاريخ.

فبالرغم من قصر عمر معرفتي بالأستاذ التازي سعود وهي لاتتعدى ثلاث سنوات جمعتني وإياه فرصة اللقاء في حومة جامعة القرويين، فعرفت من نقي أفكاره وسلامة قصده وفقهه المتميز لسياسة الاصلاح، ما جعلني أعتز بهذه الصحبة التي كانت لي نعم الزاد والذخر، في طريقة التعامل مع عدد من القضايا التي تمس التسيير الجامعي.

ولعل أثمن ما يختزنه العميد التازي من قيم رفيعة، غيرته التي لا حدود لها على جامعة القرويين، تشعرك وجدانية حديثة حديثة إذا تحدث عن ماضيها العريق المشرق بأنه يحكي عن شيء له من القدسية والجلال ما تضيق عنه المعاني وتتضاءل عن تشخيصه أبلغ الكلمات، فإذا تحدث عن مشاريعه الإصلاحية التي يسكنه هاجسها خيل إليك أنك تعيش من جديد عصر الإحياء العلمي مع الرازي وابن سينا، والغزالي وابن رشد، وابن عبد البر، وابن حزم، والقاضي عياض وأضرابهم من عمالقة الفكر الذين جمعوا بين العلوم الشرعية بكل آلياتها وأدواتها، والعلوم الدنيوية التي تحكموا في قوانينها وضبطوا مسائلها وقواعدها.

يكفي أن تمر على مشاريع الاصلاح التي أعدها - وهي تنتظر التنفيذ- للنهوض بالجامعة العتيدة لتقتنع، أنه واع بالدور الذي يجب أن تنهض به هذه المؤسسة في عالم اليوم، لصياغة إنسان جديد يجمع بين العلم والايمان، الإنسان الذي يمثل الجسر الرابط بين الضفتين، ضفة الأصالة الإسلامية، والحداثة التكنولوجية اللتين اتسعت المسافة بينهما.

مشروع العميد التازي يهدف إلى تحقيق هذه الغاية، بما يقدمه من حلول لإحياء علوم الدين والشريعة ولغة القرآن، إلى جانبه تمديد صلاحية هذه الجامعة لتدريس علوم كانت من بين تخصصاتها في عهد ازدهارها، مثل الطب، والهندسة، والرياضيات، والفلك، والموسيقى، وغيرها بالإضافة إلى المفيد من مستطرف العلوم الحديثة.

ونحن مع الأستاذ العميد نومن، كما يومن، بمشروعه الطموح الذي يرمي إلى إعادة بناء الإنسان المغربي وإصلاح ما فسد من فطرته. وما من شك في أن إصلاحا مثل هذا يحمل في طياته إلى جانب تجديد البنية العلمية المتكاملة، منهجا، للإصلاح الاجتماعي الهادىء القائم على العلم والمستنير بالعقل والإيمان.

مجلة كلية الشريعة

● «مجلة كلية الشريعة سجل من مفاخر علماء الإسلام، في القوامة على الحق، وتبيان شريعة الله، وشرح الجوانب السامية في الدين الإسلامي.

● إنها صوت علماء الإسلام في المغرب، تشد أزر علماء الشريعة الإسلامية في المشرق، لتحقق أمانة العلم، وتعبر عن استمرار رسالة القرويين، الجامعة الإسلامية الكبرى، التي استقطبت الدعوة الإسلامية الكبرى، الواضحة المحجة، تجادل بأسلوب العلماء المقتدين بهدي السلف الصالح.

● فتعاليم الإسلام إذن، وتوجيهاته هدف أبحاث المجلة، وميدان من ميادين جهودها المتوالية في معركتها التي تلتزم فيها الصدق والوفاء. فهي تعمل جاهدة على صد الغزو الفكري، والتيار الإيديولوجي الهدام الساعي في تمزيق وحدة الإسلام والمسلمين؛ كما أنها إذ تصد هذا التيار بعزم وإيمان، تنشر الإسلام الصحيح، وتبلغ الدعوة الصادقة التي جاء بها الرسول الأمين وتجمع المسلمين على الحق، مؤمنة أن الإسلام هو الشيء الوحيد الذي يقضي على النزعات المتباينة، لأن الأمة الإسلامية لاتجتمع على ضلال.

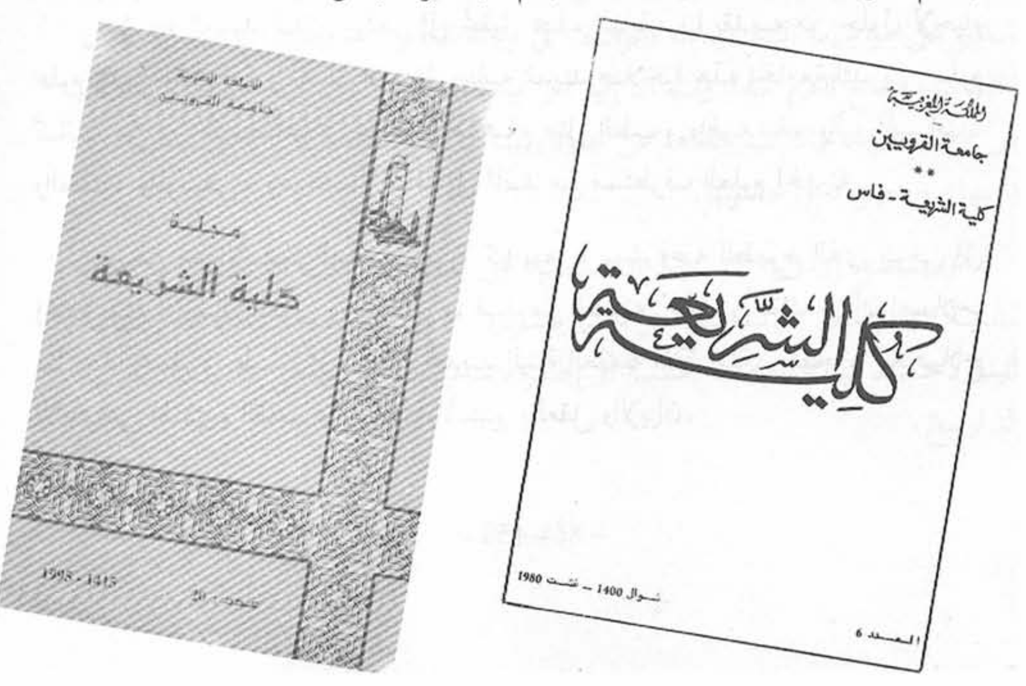
● كما تهتم المجلة بالدراسات الجادة والأبحاث المفيدة المتعلقة بالثقافة الإسلامية حاضرها ومستقبلها في ضوء هدي الإسلام ومبادئه السامية.

● إنها صورة صادقة لكلية الشريعة ومرآة صافية تستبين فيها ملامح من كلياتنا الإسلامية».

الحاج أحمد ابن شقرون عميد كلية الشريعة بفاس

(انظر افتتاحية مجلة كلية الشريعة العدد 6، 1400هـ، الموافق غشت 1980).

ودخلت المجلة في صمت قبل أن تستأنف مسيرتها سنة 1995، حيث يصدر عددها العشرون بتقديم مديرها الجديد الأستاذ محمد يسف، قيدوم كلية الشريعة بفاس.



تقديم

بعد غيبة غير قصيرة عن دنيا الاعلام الاسلامي تعود مجلة كلية الشريعة بفاس ، التابعة لجامعة القرويين في حلة ومنهج جديدين ، لتأخذ موقعها كأداة تواصلية بين البحث الاسلامي وجمهوره وكلسان ناطق باسم مؤسسة جامعية عريقة ، تمتد جذورها في عمق الزمن امتداد مغرب الاسلام في جامعته العتيدة ، جامعة القرويين التي انتصبت على مدى اثني عشر قرنا من الزمن ، أو تزيد ، منارا هاديا ونبعا للمعارف صافيا يشع بقيم الاسلام ، عقيدة وشريعة وفكرا وأخلاقا ، ويرسخ في عقل الانسان المسلم ووجدانه روح المسؤولية ، ويربي في ضميره الشعور بالاعتزاز ، ويخلق في كيانه ملكة الابتكار والاتقان ، والاجادة والابداع.

في ظل هذا الصرح العلمي الشامخ ، وبفضل فتوحاته العلمية ، استطاع المغرب المسلم أن يواصل رحلته الحضارية المظفرة ، عبر القرون والعصور آمنا مطمئنا من عوادي الزمان ، وتقلباته.

ولعل الامن الثقافي هو أول ما يجب أن يعيه اعلامنا الاسلامي وعيا كاملا وينهض به بأمانة وإخلاص ، من حيث هو المسؤول معنويا وأدبيا مسؤولية مباشرة عن حماية هوية الأمة ، بإقامة التحصينات اللازمة ، لرد الفتنة ، ودرء الأخطار المتسللة إلى العقول ، عبر مئات الثغور على نحو ما هو مسؤول ، عن نقل الخطاب الاسلامي وفق استراتيجية عالمة كفيلة باختراق الحواجز والحجب ، التي تحول كثافتها دون وصوله إلى الآخرين في نقاء فكره وصفاء جوهره .

وبهذه الثنائية يمكن في تصورنا أن يستكمل الاعلام الاسلامي الفاعل شخصيته المتميزة ، ويفرض هيبته ويحقق ذاته ، ويرقى إلى أفقه.

وتتأكد هذه المهمة في حق الاعلام النابع من قيم الاسلام ومثله بحكم ما هو منوط به من حراسة الموروث وتطويره ونقله . ومعه تقديم ما حققه البحث الاسلامي المعاصر من اجتهاد في تجديد مناهج البحث الاسلامي ، وإدراك لأسرار الشريعة وفقه لمقاصدها وغاياتها ، واكتشاف لمحاسنها ومكارمها ، وذلك ما يجنبه آفة الغثاثة وينجيه من وصمة التكرار والاجترار ويرقى به ذروة الابداع والابتكار.

وقد تنضاف إلى هموم إعلامنا ، وهو يعمل على رفع التحدي الفكري والثقافي الذي اشتدت وطأته على شخصيتنا المعنوية ؛ مسؤولية الرد على الغارة الظالمة التي يشنها الإعلام الغربي على قيمنا عدوانا وظلما – بالتصدي لمفترياته ودحض شبهاته ، بالحجة الدامغة ، وازهاق باطله بالحق الذي يقذف الله به على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، مستنيرا بآداب الاسلام في الجدل والمناظرة ، من الالتزام بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن .

والأمل معقود على أهل العلم ورجال الفكر والقلم ، ورموز التقوى والإيمان والفضيلة الذين لم يبخلوا على هذه المجلة في ما مضى من أيامها – بما آتاهم الله من بسطة في العلم والفهم ، أن تجد في أريحيتهم العلمية ، وغيرتهم الاسلامية ، ما يكون مددا لها وزادا في رحلتها الآتية ، زكاة منهم للعلم ، وطاعة تقرب إلى الله زلفى ، وذكرا باقيا خالدا ما بقيت الحياة .

عميد الكلية

الدكتور محمد يسف

● «إن في التطلع إلى المستقبل الزاهر لشاهداً قويا على عودة الوعي بالكيان الثقافي الإسلامي، إلا أن مثل هذا التطلع قد يصبح حلما مضللا إذا لم يواكبه وعي صريح بالواقع الإسلامي المعاصر.

● وإن مما يطمئن المسلم المعاصر على مستقبل ثقافته، أن التعاون على تنظيم هذه الندوة العلمية المباركة، قد تم بين مؤسستين ثقافيتين كبيرتين، ما فتئتا تعملان على ترسيخ أصول الثقافة الإسلامية: جامعة القرويين العريقة والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

إن جامعة القرويين وهي تسهر على الحفاظ على التراث والعناية بما أنتجه علماؤنا ومفكرونا خلال العصور الطويلة، لتتحفز اليوم للاندماج في قضايا العالم الإسلامي المعاصر وعلى رأسها قضية الثقافة وتطورها وتفتحها واستنارتها. فهي تعد برامج ومقررات متنوعة متطورة تشمل إلى جانب تدريس العلوم الإسلامية الاعتناء بالعلوم الحديثة واللغات الأجنبية المختلفة، ليكون طلبتها وعلماؤها في مستوى المهمات المنوطة بهم في عالمنا المعاصر، وليشاركوا المشاركة الفعالة في مسيرة المغرب الحديث نحو غد أفضل ومستقبل أحسن.

وبذلك تستمر رسالتها العلمية وتتحقق تطلعاتها نحو المستقبل العلمي الكبير الذي سيتم فيه، بحول الله، إنتاج معارف جديدة بمنهجية دينامية، وعلوم متطورة سيستفيد منها العالم الإسلامي في نهضته الحديثة وتوثباته الفكرية التي تفتح أمام المسلمين، من جديد، مجالات العلم والمعرفة والثقافة الشاسعة الأرجاء ليقفوا في نفس الصف مع غيرهم من الشعوب والأمم، يتحاورون معها بهدوء، وثقة في النفس، ويشاركون مشاركة فعالة في بناء صرح الحضارة الحديثة التي لم يعد من الممكن أن تسير بدونهم ولا أن تتقدم في غياب عنهم.

كل ذلك بفضل جهود العاملين المكافحين من العلماء المخلصين، وعلى رأسهم راعي العلماء جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده، فهو لا يفتأ يدعو إلى التمسك بالدين الحنيف والعمل على التطور والاستنارة والتفتح».

الدكتور الطيب الشكيلي، وزير التربية الوطنية
(من كلمته في افتتاح ندوة :
«مستقبل العالم الإسلامي الثقافي من خلال واقعه المعاصر».
التي عقدت بالتعاون بين عمادة جامعة القرويين ومنظمة الإيسيسكو،

فاس، 18 - 20 ربيع الثاني 1414/5 - 7 أكتوبر1993.

(انظر كتاب: «المستقبل الثقافي للعالم الإسلامي من خلال واقعه المعاصر»،
منشورات الإيسيسكو، 1994، ص. 12)



يتوسط الصورة والي صاحب الجلالة على ولاية فاس الكبرى الأستاذ محمد الظريف
وعن يساره معالي الأستاذ عبد العزيز عثمان التويجري المدير العام لمنظمة الإيسيسكو، ويليه مباشرة
عبد الوهاب التازي سعود (جلسة افتتاح ندوة المستقبل الثقافي للعالم الإسلامي، مقر ولاية فاس، 5 أكتوبر 1993)

● «يسعدني أن أحييكم تحية طيبة مباركة، وأن أرحب بكم جميعا، وأن أبدأ بإزجاء الشكر خالصاً لكل الذين ساهموا معنا في تنظيم هذه الندوة الكبرى في هذه الحاضرة التاريخية، وأخص بالذكر جامعة القرويين العتيدة التي نتعاون معها اليوم في إقامة ندوة «مستقبل العالم الإسلامي الثقافي من خلال واقعه المعاصر». فإلى أخي وصديقي سعادة الدكتور عبد الوهاب التازي سعود عميد جامعة القرويين وافر الشكر وبالغ الامتنان، لما أبداه من تفهم واهتمام، ولما عبر عنه دائما من استجابة وقبول، ولما أظهره باستمرار من استعداد وحماس للتعاون الثقافي المشترك الذي نتطلع إلى أن يثمر أطيب الثمار، وإلى أن يكون فاتحة عهد يزدهر فيه العمل الثقافي بما يغني الثقافة العربية الإسلامية، ويفتح باب التقدم والرقي أمام مستقبل العالم الإسلامي الثقافي.

حضرات السادة والسيدات،

إن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، التي تضم في عضويتها إحدى وأربعين دولة، تمثل الأمة الإسلامية في المشرق والمغرب، تنطلق في تنظيمها هذه الندوة بالتعاون مع جامعة القرويين، من الأهداف المنصوص عليها في ميثاقها، والتي تقوم على أساس تدعيم التضامن الإسلامي والتكامل الثقافي للعالم

الإسلامي، وتقوية التعاون بين الدول الأعضاء في ميادين التربية والعلوم والثقافة، والتي تقصد إلى دعم الثقافة الإسلامية الأصيلة وحماية استقلال الفكر الإسلامي من عوامل الغزو الثقافي والمسخ والتشويه.

● ..وهكذا، ترون ما للمستقبل الثقافي للعالم الإسلامي من أبعاد في خطة عمل المنظمة الإسلامية، وما يكتسبه من أهمية قصوى في الرؤية التخطيطية للعمل الثقافي. وتأتي «الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي» التي أعدتها المنظمة الإسلامية بالتعاون والتنسيق مع الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي، والتي أقرها مؤتمر القمة الإسلامي السادس، وتأتي هذه الاستراتيجية الثقافية التي هي الأولى من نوعها، تعبيراً وافياً عن مدى الاهتمام الذي توليه المنظمة الإسلامية، ويعيره العمل الإسلامي المشترك بصفة عامة، لموضوع مستقبل العالم الإسلامي الثقافي، انطلاقاً من واقعه المعاصر. وهو الموضوع الذي تعالجه هذه الندوة التي تنعقد في رحاب هذه الجامعة الإسلامية، التي نفخر جميعا بأنها أقدم جامعة في العالم قاطبة.

● حضرات السادة والسيدات،

أعود فأجدد الشكر جزيلاً وافياً لكم جميعا، وللسلطات المحلية بمدينة فاس، ولعمادة جامعة

القرويين وإدارتها، ولكل من ساهم في تنظيم هذه الندوة التي نسأل الله تعالى أن يوفقنا في إنجاحها لتكون جهداً خالصاً يخدم الثقافة الإسلامية، والعمل الثقافي في البلاد الإسلامية كافة.

وأود بهذه المناسبة أن أزجي الشكر خالصا جزيلاً إلى حضرة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله الذي يرعى هذه المنظمة الإسلامية، ويدعمها ويساندها، والذي يتعهدها برعايته السابغة، ثقة من جلالته حفظه الله برسالتها وبأهدافها وبالدور الحضاري الذي تقوم به. فجلالته راعي العلم والعلماء، والفكر والثقافة، وهو رائد النهضة العلمية والفكرية والثقافية في هذا البلد الأمين، ويأتي في مقدمة ذلك هذا الازدهار الذي تعرفه جامعة القرويين في عهد جلالته السعيد.

عبد العزيز بن عثمان التويجري
المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة
(من كلمة ألقاها في افتتاح ندوة :
«مستقبل العالم الإسلامي الثقافي من خلال واقعه المعاصر»
انظر كتاب : «المستقبل الثقافي للعالم الإسلامي من خلال واقعه المعاصر»، منشورات الإيسيسكو، 1994، ص. 15 - 18)



«إن التنمية العلمية الاقتصادية لاتكمل ولا تنجح إلا إذا واكبتها تنمية انسانية ثقافية، فهما متوازيتان لاتنفصلان: الأولى لاتكمل ولاتنتج إلا إذا خطط لها باعتبار الدور الكبير للانسان الذي يقوم بها ويطبقها، ولذلك اهتمت المجتمعات الحديثة المتطورة بالاكثار من مراكز الثقافة، وتشجيع مؤسساتها، لأن النظام الاقتصادي والنظام الثقافي متكاملان ومتداخلان متلاحمان، لايقوم أحدهما بدون الآخر ولايستغني عنه.

من أجل هذا كانت هذه الندوة التي تقام بتعاون بين جامعة القرويين والمنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة، في موضوع: «مستقبل العالم الاسلامي الثقافي من خلال واقعه المعاصر».

إيمانا منهما بأهمية الموضوع وقيمته في بناء المجتمع الاسلامي المستقبلي الذي نريده مجتمعا صالحا للقيام بالدور المنوط به في عالم الغد المزدحم بالعلم والمعرفة والكثير من الإيديولوجيات، تتلاطم فيه أمواج الخير والشر، وتتصادم فيه القوات المتناحرة، ويحتاج فيه المسلمون إلى كثير من العمل والعقل والفكر والانتاج العلمي، ليسهموا في حضارته المتحركة، وليدخلوا عالم ثقافته المتغيرة في قوة وفاعلية مشرفة».

عبد الوهاب التازي سعود

(من كلمة ألقاها في افتتاح ندوة : «مستقبل العالم الاسلامي الثقافي من خلال واقعه المعاصر»

انظر مجلة القرويين، «ندوة مستقبل العالم الإسلامي الثقافي من خلال واقعه المعاصر»

العدد 7، سنة 1994، ص.25)

نظام الدراسة بجامعة القرويين



ادريس خليفة

قيدوم كلية أصول الدين- تطوان *

أود أن أعبر في مطلع هذا الحديث عن الشكر الجزيل للسيدة المضيفة الأستاذة الجليلة، السيدة فاطمة الجامعي الحبابي، أرملة الأستاذ الكبير الفيلسوف الشهير المرحوم محمد عزيز الحبابي، الذي تألق نجما ساطعا في سماء علوم الفكر والفلسفة والآداب والشعر بالمغرب في عصرنا الحديث على دعوتي للمشاركة في هذه الندوة المهمة، تكريما لفضيلة الأستاذ الجليل العلامة الدكتور عبد الوهاب التازي، عميد جامعة القرويين.

ولقد اخترت أن أتحدث في موضوع نظام الدراسة بالقرويين في هذه الندوة، نظرا لأهمية الموضوع الذي يشغل بال سيادة العميد المكرم السيد عبد الوهاب التازي، الذي يعنى به عناية فائقة في نطاق الإصلاح التربوي الشامل الذي عزمت وزارة التعليم العالي

---

*) **كلية أصول الدين بتطوان :**

الأصل فيها ما كان يوجد بمدينة تطوان من تعليم ديني أصيل يسير على نظام جامعة القرويين وابن يوسف في مراحله ودروسه وغاياته وأهدافه، لذلك فإن كلية أصول الدين تمثل امتدادا تاريخيا للمعهد الديني العالي الذي أسس بظهير خليفي إبان الحماية سنة 1944 وقد شملها التنظيم لتحمل اسم "كلية أصول الدين" التي تم تأسيسها بناء على الظهير الشريف بمثابة قانون رقم 1.62.249 الصادر في 12 رمضان 1382 (6 فبراير 1963).

وتهتم هذه المؤسسة بالدراسات الفقهية والإسلامية والقانونية وأصول العقيدة في الكتاب والسنة، و الفلسفة الاسلامية ؛ وشعبتا التدريس بها هما :

- شعبة علم أصول الدين و تاريخ الاديان.
- شعبة الفلسفة والفكر الاسلامي و الحضارة الاسلامية.

على إنجــازه للنهـوض بــالتعليم العــالي من أجل ربط الجامعــة بمحيطهــا الاجتماعي والاقتصادي، وربط التعليـم بالتشغيل حتى يقضي على ظـاهرة بطالـة الخريجين، وحتى يكون التعليم منتجا مساهما في نمو المجتمع من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وهو اتجاه يقـرر أن الثقافة لا تتعارض مع العمـل والانتاج، وأنها لا تراد لذاتها -الثقـافة للثقافـة، والعلم للعلم، والفن للفن- وإنما يراد منهـا آثارها ونتـائجها وانعكـاساتها على مستوى حياة النـاس وأوضاعهم وقضايا المجتمع، وتـوجه الدولة نحـو النمو الاقتصادي المنفتح على عالمنا المعاصر ومخترعـاته وعلاقاته ونظمه ومناهجه ووسـائله. والأستاذ العميد الدكتور التازي عالم مثقف واسع الثقافة تكـون في المدرسة العربية الإسلامية ببلده فاس، واستوعب علومها وعقـائدها وأعرافها وفلسفتها، وهي مدرسة تستمد جـوهر معارفها من القـرآن الكريم والحديـث الشريف والفقه وأصـولـه والتصوف السلفـي البعيد عن الغلـو والبدع، واتصل بـالثقافة الغربيـة لغة وآدابا وحضارة، فجمع بهذا بين القـديم والجديد، الأصيل والمعاصر لينعكس هـذا كله على فكره وتفكيره ودرسـه وعمله الإداري وعلاقـاته العـامة ونشـاطـه العلمي، ويتجلى هذا كلـه في تـواضعه و أخـلاقـه الطيبة، وفي عملـه الإداري بكليـة الآداب بفاس وهـو يعمل بها أستـاذا ثم عميـدا لها، وفي رئاسته لجامعـة القرويين عندما عين عميدا، ولن أجد في الاستدلال على مقامه العلمي ونشاطه في مجال الآداب خيرا من تحقيقه وتقديمه وتعاليقه على **كتاب الفصوص** لصاعد البغدادي، الذي هو نموذج للتحقيق الجيد الواعي بأهمية التراث في انبعاث الأمة اللغوي والأدبي والثقافي، ولا خيرا من الـدروس الحسنيـة التي ألقـاهــا بحضرة أمير المؤمنين جـلالـة الملك الحسن الثاني، والتي أظهرت خصـاله وقدراته العلمية على مستـوى الدرس والتحليل والاستنباط واتجاهه نحو الاجتهـاد ودعوته لاحياء علوم الشريعـة ورعاية مقاصدهـا واستثمارها لمعالجة أوضاع العصر وقضاياه ومعضلاته.

وفي نطاق عملـه بالقرويين نجد الـدكتور التازي يؤسس منهجـه في النهوض بهذه الجامعة على أمور :

1 - مـواصلة إصـدار "مجلـة القرويين" التي تعنـى بنشر نصوص النـدوات التي تعقدهــا الكليـات، وكذلــك النـدوات التي تعقــد جامعــة القـرويين وغير ذلك من الأبحاث والدراسات.

2 - عقد ندوات علمية حول ماله علاقة برسالة هذه الجامعة، وهي :

- ندوة "مستقبل العـالم الإسلامي"، التي عقدت بمشـاركة مؤسســة الإيسيسكو (المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة).

- ندوة "الحوار بين الرواية والـدراية في الثقافة الإسلامية" التـي انعقدت بمشاركة جامعة الزيتونة.

3 - الاهتمام بالإعلام الجامعي، وفي هذا المجال صدرت جريدة "النشرة" التي تعكس أوضاع جامعة القرويين، وأخبار العمادة، وأخبار الكليات، ونشاط العميد والقيدومين والأساتذة والطلبة.

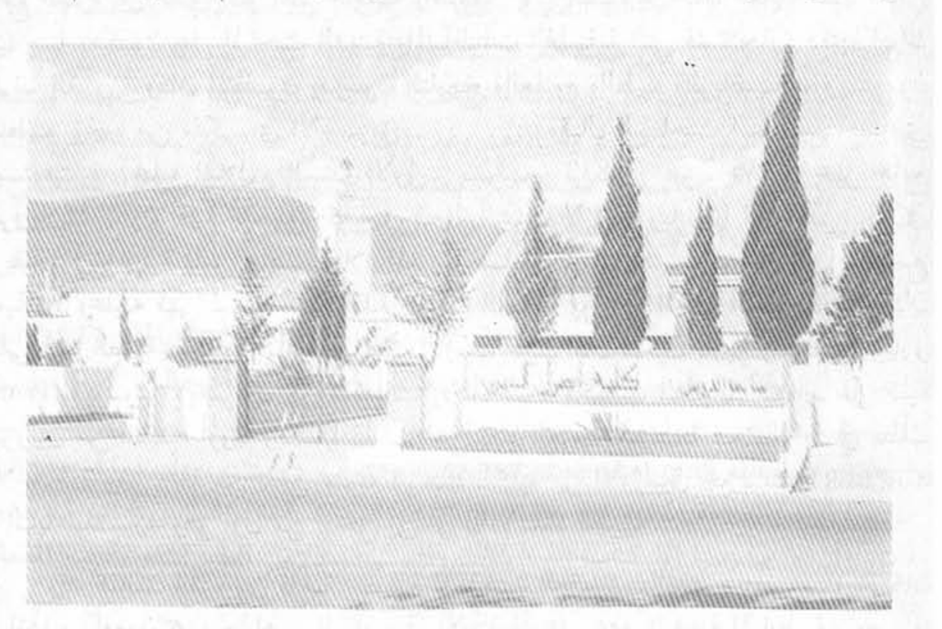
4 - عقد اجتماعات منتظمة لمجلس الجامعة في كل من فاس وتطوان ومراكش.

5 - الانكباب على ملف الإصلاح الجامعي المتعلق بنظام الدراسة الخاص بجامعة القرويين.

وقد أعد له السيد العميد الدكتور التازي برنامجا جيدا بمساعدة قيدومي كليات هذه الجامعة، وهذا ما سأتولى الحديث عنه بعد تقديم عرض موجز عن نظام الدراسة بالقرويين في فاس.

نظام الدراسة بالقرويين :

كانت فاس حاضرة العلم والسياسة بالمغرب، وعندما اختطها مؤسسها المولى ادريس الثاني عام 192هـ (808م) رفع يديه إلى السماء يسأل الله تعالى، قائلا : "اللهم اجعلها دار علم وفقه"، ولم تلبث المدينة أن كثر عمرانها واستقبلت وفود المهاجرين إليها من المغرب والأندلس وبلاد افريقيا ومن جهات المغرب كله. وبرز من بين هؤلاء مجموعة من العلماء والفقهاء والأدباء والأطباء الذين تكونت منهم مجالس العلم والتعليم



صورة لمدخل كلية أصول الدين، بتطوان

في هـذه المدينة الأصيلـة، وكان الفضل في إنشـاء جـامع القرويين الـذي صار فيها بعـد جامعة للثقـافة الإسلامية للسيدتين الفـاضلتين الورعتين فاطمة أم البنين الفهـرية وأختها مريـم كريمتي الفقيـه أبي عبد اللـه محمد بن عبـد الله الفهـري القيرواني اللتين رغبتا في إحداث جامع كبير بـالمدينة، واللتين ترك لهما والدهما ثـروة كبيرة. هكذا كان الشروع في بنائه عام 245هـ. وقد أضافت الدول المتعاقبة على المغرب على هذا البناء زيادات أخرى مهمـة حتى صار هـذا المسجد أكبر مسـاجد المغـرب في العصور الماضيـة. والمرجح أن يكون التـدريس به بدأ في منتصف القرن الثـالث الهجري، كما ذهب إليه الدكتـور عبد الهادي التازي في موسـوعته **جامع القرويين**. ففي هـذا العهد كـان يوجـد بفاس علماء أعـلام من أهلها ومن الـوافدين عليهـا، وبعيـدا عن الظن أن لا يكونـوا قد حلقـوا بهذا المسجد للـدرس والتعليم والرواية والمناظـرة، ومن هؤلاء العلماء الإمام الفقيـه العالم يحيى الرابع (تـ 307 هــ)، والإمام الحافظ الثقـة الشـاعر أبـو عبد الـرحمن بكـر بن حمـــاد التـــاهركـي (296 هـ). وإذا كـــان الخلاف يشتد حول أقدم جـامعة في العالم فإن من المؤكد أن القرويـــين من أقدم هذه الجامعات أو هي أقدمها كما ذكـره الباحث الفرنسي ديلفـان، والمستـشرق الروسـي جـــوزي، وقــال البــــاحث المـؤرخ رولانـدو (**مجلة رسالة المغرب**، الرباط، 11 يونيه 1951 م) : " وقـــد شيد في فاس منذ أيـامها الأولى جامع القـرويين الذي هـو أهم جامعـة وأقدمها. وفي القـرويين كان العلماء منـذ حوالي ألف سنة يعكفون على المباحث الدينية والمنـاظرات الفلسفية التي قد تتجاوز دقتها إدراك فكرنـا الغربي، وكان المثقفـون يدرسون التاريخ والعلـوم والطب والرياضيـات ويشرحون أرسطــو وغيره من مفكـــري الإغــريق . . . . . . " . وقـال البــاحث الــروسي جـــوزي كريستوفيتس (**مجلـة الهلال**، السنـة الأولى، يــوليـوز 1833، ص. 356 عـن **جامع القرويين**): " إن أقدم مدرسة/ كلية في العالم أنشئت لا في أوربا كما كان يظن، بل في إفريقية، في مدينـة فاس عاصمة بلاد المغرب سـابقا. . . . وقد أسست في الجيل التاسع للميلاد. وعليـه فهي ليست فقط أقدم كليات العـالم، بل هي الكلية الوحيـدة التي كان يتلقى فيها الطلبة العلوم السامية في تلك الأزمنـة حينما كان سكان باريز وأكسفورد وبارو (Paroue) وبولـونيا لايعـرفون من الكليات إلا الاسم، فكـانت الطلبات تتـوارد على كلية القرويين من أنحـاء أوربا وأنكلترا فضـلا عن بلاد العرب الـواسعة لـلانخراط في سلك طلابها. . . ومن جملة من تلقى علومه في هذه الكلية من الأوربيين جيربرت (GELBERT) أو البابا سلفستر، وهو أول من أدخل إلى أوربا الأعداد العربية. . . " .

وقد كـانت القرويين قلعـة حصينة للمذهب العقـدي والفقهي بالمغـرب، إذ كان علماؤها يـدافعون عـن مذاهب السلف في الاعتقـاد على عهد الـدولة المرابطيـة، وصاروا دعاة المذهب الأشعـري منذ العهد الموحـدي، وتمسكوا بـالفقه المالكي منذ عصر الـدولة

الإدريسية، وتسامحوا مع اتجاه التصوف السني، وكان لهذا الاتجاه إشعاع كبير في المغرب والخارج، كما كان سبب ما عرف به المغرب من المحافظة على مذهبه العقدي والفقهي ووحدته الدينية وبعده عن المذاهب البدعية التي انتشرت في جهات من الشرق الإسلامي، وكانت مواد الدراسة بهذه الجامعة تشمل علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه وأصول وسيرة وعلوم اللغة نحوا وصرفا وبلاغة وأدبا وعروضا، كما شملت علوم الأوائل من فيزياء وكيمياء ورياضيات وطب ومنطق وغيرها من العلوم التي تخصص لها مدرسون أكفاء نهضوا بها، وكان التدريس يرتكز على مجموعة من المؤلفات التي دونها أعلام علماء الإسلام في مختلف الأقطار، وكانت للنصوص عندهم حرمة وأهمية بالغة، ولهذا كانوا يلزمون أنفسهم وطلبتهم بحفظ النصوص واستظهارها، ومن لا يحفظ النص عندهم لا يعبأون به ولا يلتفتون لكلامه، وعبارتهم في وصف من لا يحفظ النص، قولهم: " من لم يحفظ النص فهو لص" . وقد أضيفت للقرويين مجموعة من الكراسي العلمية خارج الجامع نفسه، حيث كان المدرسون بذلك يعقدون حلقات خاصة في جهات من المدينة، ويقربون العلم بذلك من الطلاب الذين كان يصعب عليهم الحضور إلى المسجد الجامع. وتكونت حول القرويين، خلال مختلف العصور، مجموعة من الأعراف والتقاليد المرتبطة بأوضاع الأساتذة والطلبة ورئاسة الجامعة، وعلاقة هؤلاء بالدولة ورجالها، وبالنظم المتنوعة التي تتعلق بالإجازة والسكن الجامعي في المدارس، ومرتبات الأساتذة وإعانات الطلبة وعطل الدراسة وعادة سلطان الطلبة، وغيرها من النظم التي لا يمكنني في هذه العجالة الالمام بها، كما يضيق المقام عن سرد أسماء المدرسين الذين عرفتهم هذه الجامعة، والكتب العلمية التي كانوا يدرسونها، ونشاطهم العلمي الذي يشمل مؤلفاتهم وفتاواهم وغير ذلك. كل هذا يعطينا صورة عن جامعة كبيرة راقية، ساهمت مساهمة فعالة في النهضة بالشمال الافريقي والعالم الاسلامي وفي المحافظة على حرية المغرب وأصالته واتجاهاته السياسية والفكرية.

إصلاح الدراسة بالقرويين :

كانت للدول التي تعاقبت على المغرب عناية بهذه الجامعة ورجالها، وكانت الدولة العلوية الشريفة في طليعة دول المغرب اهتماما بها وبرجالها ومناهجها وتأثيرها وإصلاح الدراسة بها وتقويم عملها، وترجع أول محاولة جادة للإصلاح إلى أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي اهتم بإصلاح القضاء والتعليم في بلاده، وأصدر في هذا الشأن منشورا أورده العلامة المؤرخ ابن زيدان في تاريخه **إتحاف أعلام الناس،** أمر فيه مدرسي فاس «أن لا يدرسوا إلا كتاب الله بتفسيره، وكتاب **دلائل الخيرات،** وكتب **المسانيد** والكتب المستخرجة منها والبخاري ومسلما وغيرهما من الكتب الصحاح، ومن كتب الفقه **المدونة والبيان والتحصيل ومقدمة ابن رشد والجواهر لابن شاس والنوادر**

والرسالة لابن أبي زيـد، ويدرس **مختصر خليل** بشرح بهرام الكبير والمواق والحطـاب والشيخ علي الأجهـوري والخرشي الكبير لا غير، وما عـدا هـذه الشروح ينبذ ولا يـدرس به، ولأن من تـرك الشراح المذكورين، واشتغل بـدرس الزرقاني وأمثـاله من شراح خليل فإنه يكون كمـن أهرق الماء واتبع السراب، وعلى المدرس إذا قرأ **الشفا** ووصل إلى الربع الأخير أن يختم الكتاب، وكـذلك الذي يقرأ البخـاري حين يصل إلى "حديث الإفك" يتركه ولا يتعرض لقراءته، ومن يتعرض لقراءة ما نهي عنه تناله العقوبة، ولا يلومن إلا نفسه، وتقرأ السيرة النبـوية بالكلاعي وابن سيد النـاس اليعمري، والنحـو **بالتسهيـل** و **الألفية** وغيرهما، والبيان **بالإيضاح والمطـول**، كما يـدرس الصرف **وديوان الشعراء الستة** و**مقامات الحريري ولسان العرب والقاموس** وأمثالها ممـا يعين على فهم كلام العرب ، ومن أراد علم الكلام **عقيدة** ابن أبي زيد كافية شافية، ويمكن للفقهاء الذين يقرأون الأسطرلاب وعلم الحساب أن يأخذوا حظهم من الأحباس لما في ذلك من المنفعة العظيمة والفائدة الكبيرة لأوقات الصلاة والميراث، وليس من سبيل للإشتغال بعلم أصول الفقه الذي دونت فيه المدونات،ومن أراد الاشتغـال بعلم الكلام والمنطق وعلوم الفلاسفة وغلات الصوفيـة وكتب القصص، فليتعاط ذلك في داره مع أصحابـه لا في المساجد" . فهذا المنشـور يهدف إلى تركيـز الدراسـة بالمؤلفـات التي أظهـرت التجربـة نفعها، وإلى الاشتغـال بها في المسـاجـد، مع تـرك الفـرصـة للاشتغـــال بعلــوم أخــرى في الـدور والمؤسسات الخاصة.

وكانت هناك خطوة ثانية للاصلاح التربوي لهذه الجامعة على عهد السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام الذي عالج قضية التحصيل العلمي ومنهج التدريس بالجامعة، إذ وجه هذا السلطان خطابا لشيخ القرويين آنذاك المولى عبد الهادي، في محرم عام 1261هـ 1885 م)، ذكر فيه أنه على الرغم من جـد الطلبة في الدرس واجتهادهـم في التعلم، فقد قل التحصيل والإفـادة لأن الفقهاء خالفـوا عادة الشيـوخ في الإقراء، لـذلك تجد الفقيه يبقى في **سلكة سيدي خليل** العشر سنين وفي **الألفية** العامين والثلاثة ، لكثرة ما يجلب من الأقوال الشاذة والمعاني الغريبة، وكثرة الاعتراضات ومناقشة الألفاظ حتى يختلط على المتعلم فـلا يعلم الصحيح من السقيم ولا المنتج من العقيم، ويـأمر المدرسين بعـد هـذا بالاقتصـار على حل كلام المؤلفين، وأن لا يتجـاوز الفقيه في **سلكة الخليل** العام، وإن طال ففي عـامين، وأن لا يتجاوز في **الألفية** الشهر أو الشهرين. كما يأمـر بزيادة وقت حصة الدراسة التي كانت خفيفة لا تزيد على ساعة من الزمن.

وقد خطت القرويين في عهد السلطان سيدي محمـد الخامس خطوة مهمة وجديدة في طريق الإصـلاح، حيث أصدر -طيب اللـه ثراه- عددا من الظهـائر والقرارات التي كان الهدف منهـا رفع مستـوى التعليم بالقـرويين وتنظيمها تنظيما منـاسبا للعصر وضمان

الحقوق المادية والمعنوية للمدرسين بها. كما أصدر قانونا يسمى "الضابط المسنون" عام 1950 م"، وكان يتألف من أحد عشر فصلا خصص لتنظيم الدراسة بها. وقد نص الفصل الثاني منه على أن الدراسة بالقرويين تقسم على ثلاثة أقسام : قسم ابتدائي وقسم ثانوي وقسم نهائي. ونصت الفصول الأخرى على مرتبات الأساتذة وعطل الدراسة والامتحانات والتخصصات ومنافذ العمل.

وقد نالت جامعة القرويين في عهد أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني ما كانت ترجو من رعاية وعناية واهتمام؛ فقد أولاها جلالته عناية فائقة، وبادر إلى إصدار ظهير شريف بتاريخ 12 رمضان 1382 هـ (6 يناير 1963م) لإعادة تنظيم هذه الجامعة تنظيما جديدا يتلاءم مع العصر الحديث من الناحيتين الشكلية والتربوية، وجعلها على قدم المساواة في الحقوق والواجبات مع غيرها من المؤسسات الجامعية التي ظهرت في مغرب الاستقلال، وأكد هذا الاتجاه تنظيم جامعة القرويين ومؤسساتها في إطار تنظيم الجامعة المغربية، بمقتضى ظهير شريف بمثابة قانون رقم 1.75.102 بتاريخ 13 صفر 1365 هـ (25 فبراير 1975م) المتعلق بتنظيم الجامعات.

وقد صارت جامعة القرويين بمقتضى القوانين الجاري بها العمل تشتمل على أربع كليات هي : كلية الشريعة بفاس، وكلية أصول الدين بتطوان وكلية اللغة العربية بمراكش وكلية الشريعة بأكادير. وأصبح من حق هذه الكليات منح شهادتي دبلوم الدراسات العليا ودكتوراه الدولة في العلوم الاسلامية. ومنح القانون لعميد الجامعة ورؤساء الكليات اختصاصات مهمة تساعد هذه الجامعة على القيام بمسؤولياتها العلمية والثقافية والاجتماعية. وفي نطاق الاهتمام الملكي السامي بهذه الجامعة صدر عام 1986 ظهير شريف عين بمقتضاه العلامة الدكتور ادريس العلوي عميدا لهذه الجامعة، ثم خلفه على رئاستها فضيلة العلامة الدكتور عبد الوهاب التازي، الذي ينهض بأعبائها ومسؤولياتها موفقا في ذلك كامل التوفيق.

وفي نطاق الاصلاح التربوي الحالي الذي تهتم به وزارة التعليم والذي يطرح على الساحة الجامعية بإلحاح تعكف عمادة الجامعة والكليات التابعة لها على دراسة ملف الاصلاح الجامعي وإبداء الاقتراحات المفيدة الكفيلة بأن تنال هذه الجامعة حظها من الاصلاح المنشود الذي يحقق لها ما ترجوه من نمو في مجال البحث العلمي، ومن مواجهة لحاجات التشغيل والمحافظة على التراث وإشعاع الثقافة الاسلامية في المغرب والبلاد الاسلامية.

وقد قدم السيد عميد الجامعة الدكتور التازي مجموعة من الاقتراحات الخاصة بفتح مسالك جديدة للكليات التابعة للقرويين، والغاية من هذه المسالك تجديد الدراسة بمؤسسات القرويين وانفتاحها على العالم من خلال الاهتمام بمقاصد الشريعة الاسلامية

وتعلم اللغات والآداب الانسانية الكفيلة بتكوين المثقف العالم القادر على التأثير في محيطه والتجاوب مع بيئته وثقافته والعالم المعاصر، وكمثال من هذه المقترحات أذكر هذا النموذج الخاص بكلية أصول الدين :

مقترحات على مستوى الإجازة :

1 - سلك في الفقه والأصول،

2 - سلك في علوم القرآن والحديث،

3 - سلك في اللغات الحية والعلوم الإسلامية،

4 - سلك في العقيدة والشريعة.

وبعد، فهذه نبذة عن نظم الدراسة بجامعة القرويين، ألممت فيها بماضي هذه الجامعة العتيدة وحاضرها وجهود العلامة الدكتور عبد الوهاب التازي من أجل الرفع من مستواها العلمي والثقافي، وهو جدير بأن يكون موفقا في مساعيه لعلمه واطلاعه الواسع وغيرته الوطنية وإيمانه بمستقبل الثقافة الإسلامية، ومستقبل هذه الجامعة .

وقد أحسنت السيدة الأستاذة الباحثة المثقفة فاطمة الجامعي الحبابي بإقامة هذا الحفل الجميل لتكريمه، ولها منا ومن جامعة القرويين وفروعها خالص الشكر على هذه المبادرة الطيبة، والسلام.



ثلاثون سنة
مع الدكتور عبد الوهاب التازي سعود
أو حب مريد لشيخه



محمد الشاد

قيدوم كلية الآداب ـ ظهر المهراز - فاس

أستــاذي العــزيز،

أذكر أن قدميّ وطأت أرض كلية الآداب ذات يـوم من أيام أكتوبر 1966 الجافة، الباردة. كنت هيابا لذلك الجو، وزاد من رهبتي أن بشرني أحد الزملاء بالرسوب المحقق، إذ لم أكن من طلبـة القـرويين ولا حتى من الأقسـام الثـانويـة المعـربـة. جئت لأحضر الإجـازة في الأدب العـربي وهي التخصص الـوحيـد الموجـود بفـاس آنـذاك. احترت في أمري، وشكـوت حالي لأحد الأسـاتذة ممن كانـت لي به سابق معـرفة بالمدينـة العتيقة، فأشار علي أن أستشير السيـد نائب العميـد هل أقوى على الاستمـرار أم أعود أدراجي معلما للغة الفرنجة ما دام قدري لا يسمح لي بالـذهاب للرباط. كذلك كان. فتحت باب مكتبك تتملكني دهشـة الداخل، عرفت بنفسي. ما تزال ابتسـامتك ومداعبتك لي وأنت تستفسرني عـالقـة بـذهني، حكيت لي بـاختصـار مسيرتك وهي مسيرة عصـامي. وهكذا دخلت إلى مكتبك خائفا، وخرجت وقد وجدت "عْـزِيزي" كما يقول المغاربة.

صرت - وثلة ممن سيكونون فيها بعد أول فـوج من مساعدي الكلية - نختلف إلى دروسك في فقه اللغـة، ونتبعك إلى أقسام لم نكن قـد بلغناها بعـد. وسمعنا منك لأول مرة أسماء ابن جني وابن فارس وأضرابهما. وأذكر أنك سألتنا ذات يوم : كيف تتصورون أن تكون خلقة الشيخ ابن جني ؟ اعتبرنـاها مداعبة من مداعباتك التربـوية، أوإمحاضا بعد ملل، وصرنـا نتخرص. كانت دروس فرويـد ما تزال طرية في الأذهـان، وبدا لك أن توجهنـا إلى كوامن صحبة المتنبي : أيكـون ذلك حبا في شعره، أم تنفيسـا عن عقدة

تضخم الأنا التي ارتبطت بالذات المتنبية. وهكـذا صرنا نجمع في الدرس الواحد بين فقه اللغة والنحو والشعر وعلم النفس.

وحيث إننا كنا متحمسين للتجديـد - وتلك دعوى كل عصر - فقد صرنا نصنف هؤلاء الشيوخ تصنيفا جديدا : وهكذا تدرج ابن فارس وابن جني بين التقدمية والرجعية ليصبح الأول ذات يوم وبقدرة قادر بنيويا، والآخـر توليديا. ولا تسألوا عن السبب، إن هي إلا جملـة التقطنـاهـا وأولنـاهـا فصـارت مـذهبـا. لم تكن تخفـي بسمتك من هـذه التصنيفات. تتلقاها بصدرك الرحب وتبقى على حياد أبوي حنون. كنت أول من أدخل دروس اللسانيات إلى الكليـة وشجعت على تدريسها، لا تأبه كعادتك بنقـد ناقد. ومن عجيب أمـرنـا أننا أخـذنـا قـول ابن جني بـالاصطلاح مـأخذ الجد، وقـول ابن فـارس بالتـوقيف مأخذ رأي لا يلتفت إليه ، وصادف الأول هـوانا. ولم نفهم كيف أنك اتجهت لدراسة حيـاة ابن فارس وأعماله، وكان ابن جني في رأينـا الطّري أليق وأجدى. حتى إذا وقع الجدل العلمي المعـروف بين جـان بياجي ونعـوم تشـومسكي في منـاظرة بيـزة التي أسفرت عن كتاب: **نظريات الكلام، نظريات التعلم**، وفيها يصلان إلى أن الاستعداد الفطري لتملك اللغـة مستقل عن التعلم ، قابلنا فكـرة التوقيف عند ابن فـارس بفكرة الفطـرة عند علماء اليـوم وكـان ذلك مـدعاة لنـا للعـودة إلى كتابـك حـول ابن فـارس ومراجعة الأمر.

كنا خـلال دراستنا هذه نجايل محورين شـدا اهتمامنا ، الأول : تيار البنيويـة وقد انبهرنا بنسقها. والثاني عالم المغربيـات وقد شغفنا به سعيا وراء بناء صرح أدبي لهذا البلد الذي لا ينتمي إليه المتنبي ولا أبو العلاء.

كنت من بين الذين اختـاروا المحور الثاني، إلا أن الصدف عـاكستني فقد سبقني بيوم واحـد الزميل الكاظمي فسجل رسـالته لتحقيق «البـدور الضاوية في محاسن الـزاوية الدلائية» لسليمان الحوات مع أستاذنا العلامـة الدكتور سيدي العباس الجراري. ومكثت مدة لا أستقـر على رأي، حتى حضرت إلى الكلية ذات يـوم لأسلم عليك، فاستغـربت لنفوري من اللغـة وقد كنت فيهـا مجتهدا، كما قلت لي. كانت هـذه الجملة منك كـافية لأقعد للدرس ثانية وأعيد الكرة، وهكذا قبلتني مساعدا بكلية الآداب العامرة.

ذات يـوم من شهـر مـارس 1982، وكان يـوم 16 منـه استـدعيتني إلى مكتبك وعرضـت علي منصبا إداريا، قلـت في نفسي - وقد نـذرتها للبحث - أنا يكـون لي هذا الميز ولم أعبر يوما عن أي طموح إداري. غير أنني لم أك لأعصي لك أمرا.

وهكذا نقلتني من طلب العلم الجامعـي إلى طلب العلم الاجتماعي، علم الحياة، وتلك مـدرسـة أرحب وأوسع، أتيـح لي خـلالها أن أراك تتعـامل مع الموظف والأستـاذ، والطالب والباحث، وولي الأمر، وكل الشرائح الاجتماعية في علاقتها بالكلية. كنت أرى

الوفود والحالات تتقاطر على مكتبك، وتعطي كلا حقه فيما يبتغيه، فتشفي غليله بالنصح، والحل المناسب والدعم المراد. كان إعجابي صامتا، ولكنه واضح. ولو جاز لي أن ألخص مواقفك لأوجزتها فيما يلي : سعة الصدر التي جعلتك تحسن الود ولا تحسن الخصام.

أستاذي الجليل،

كنا - وأنت عميد لكلية الآداب- تصلنا أخبار عن ترقية مرتقبة، كنا جميعا نتساءل عمّن يحل المعقّدات بنجاعتك، ومن يستطيع أن يصمد صمودك، ولا أخيفك أنني كنت أشفق من هذا القادم الجديد، لا يساورني شك في أن أكون معنيا ذات يوم، ثم كان ما كان. وأعترف أنك حين ودعتني، بعدما أصبحت عميدا لجامعة القرويين، وجدت نفسي كالطفل المفطوم.

ومن جهة أخرى، فقد شعرت باعتزاز لا يوصف : فمن سواك يجمع بين حنكة إدارية وثقافة عربية إسلامية، وتفتح رزين لتقوم بالتحدي اللازم لإعادة وضع جامعة القرويين في الصورة اللائقة بها كجامعة إسلامية عريقة مدعوة للاستمرار والتفوق في عالم لا يعترف بحدود المعرفة. فهنيئا للقرويين بك، ودمت لذويك ومحبيك.



صورة جلسة افتتاح اجتماع مديري معاهد الدراسات العربية الإسلامية في العالم الإسلامي الذي عقدته منظمة الإيسيسكو بتعاون مع كلية الآداب بفاس، 28 مارس 1967.
يتوسط الصورة معالي الوزير محمد الهلالي، وعن يمينه الأستاذ عبد الهادي بوطالب، وفي يسار الصورة الأستاذ عبد الوهاب التازي سعود

● «ان لهذه الجامعة فضلا علينا معشر الجزائريين، فضلا لا يمكن أن يعد. ويكفي أن نعلم بأن كثيرا من علمائنا وأرباب القلم عندنا وأهل الحل والعقد من رجالنا، كثير منهم، قد استقى من معين هذه الجامعة وتغذى بلبانها قديما وحديثا.

● نعم، للقرويين فضل وأي فضل، يوم أن كنا لا نرحل من بلدنا الا للاستزادة والاستبحار. ونحن في هذه الحقبة الطويلة من التاريخ لا نستعرض شخصياتنا الا ونجد منها من له صلة بالقرويين، درس واغترف منها، أو درس فيها وبذر المعارف في أروقتها، أو تولى قضاءها أو خطب على منبرها.

● هكذا، كانت القرويين في القديم ملاذ علمائنا، ومنهل رجالنا إلى أن جاءنا الإستعمار الفرنسي بوحشيته وصليبيته يهدم المدارس ويحول المساجد كنائس ويرغمنا على الجهل والتفرنس (...) عندئد وجدنا في جيراننا وإخواننا في مشرق العروبة ومغربها ملاجى ومأوي يلجأ إليها طلاب العلم. فغصت جامعة القرويين بعشرات من طلاب العلم.

● من خريجي القرويين والزيتونة والأزهر الشريف تكونت جمعية العلماء التي حملت راية العروبة والاسلام بالديار الجزائرية».

الشيخ خير الدين
(انظر الكتاب الذهبي لجامعة القرويين،
«جامعة القرويين وجامعة الجزائر»، ص. 52)

الأستاذ عبد الوهاب التازي سعود والإشعاع العلمي لجامعة القرويين



يوسف الكتاني
أستاذ بكلية الشريعة - فاس

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه.

إخواني العلماء والأساتذة،

سادتي سيدات،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يشاء الله أن يغمرنا بمتعة اللقاء ونعمة الاجتماع مرة في كل سنة، في رحاب هذه الدار الأدبية الكريمة، دار المرحوم الأستاذ محمد عزيز الحبابي، التي أبى آله الكرام إلا أن تستمر ندواتها، وتتواصل لقاءاتها، كما كانت على عهد صاحبها دار علم وأدب وحوار، ولئن كنا في مثل هذه الأيام من السنة الماضية اجتمعنا لتكريم علم من أعلام القرويين، ومرب كبير من رواد مربيها وأساتذتها، ذلكم هو العلامة الحاج أحمد بنشقرون متعه الله بالعافية وطول العمر ليواصل رسالته العلمية ومسؤوليته السامية، فها نحن اليوم نجتمع من جديد على هدي من الله وبتوفيقه، لنكرم رجلا من رجالات الجامعة، وأستاذا من أساتيذ العربية، هو الصديق العزيز الأستاذ الدكتور عبدالوهاب التازي سعود، عميد جامعة القرويين حرسها الله وصانها.

وأحب أن أؤكد لكم أن سنة تكريم الأحياء من النابغين والمبدعين والرواد، عمل حضاري، وتقليد كريم، تقوم به المجتمعات المتطورة، وتحرص عليه الدول الناهضة، بعثا للهمم، وتزكية للابداع، ودعما للتجديد، وشكرا للعاملين المخلصين، تأكيدا

للمعنى القرآني السامي «أن اشكر لي ولوالديك» وللهدي النبوي فيما نرويه في صحيح الإمام البخاري بالسند المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة، وأنتم شهداء الله في الأرض».

إن إقامة هده الندوة العلمية الكريمة حول الإشعاع العلمي والثقافي لجامعة القرويين- أقدم جامعات الدنيا ومدرستها الأولى- كما اتفق على ذلك الناس من أهل المشرق والمغرب، تكريما للأستاذ التازي، هو في الحقيقة تكريم للثقافة الاسلامية، وللأدب الرفيع، وتكريم للغة العربية في شخص رجل قضى حياته في تعليمها، والكتابة فيها، والدفاع عنها، وله فيها صولات وجولات، استغرقت حياته التي وقفها على ميدان التعليم والتدريس، وحقق فيها ما شاء الله له أن يحقق من أعمال وأهداف. وسأتناول الموضوع من خلال محورين:

- الإلمام بحياة الأستاذ التازي وأعماله الأدبية.
- الاشعاع العلمي والثقافي لجامعة القرويين وكيف يتحقق.

أولا: حول حياة الأستاذ التازي

انطلقت حياة الأستاذ عبد الوهاب التازي خلال العقد الرابع من هذا القرن الميلادي، فأدخل إلى الكتاب القرآني كما يدخله أقرانه وأترابه، ثم أخذ تعليمه الأولي بالقرويين، وتابع دراسته بثانوية مولاي إدريس حتى حصل على الثانوية العامة، والتحق بالتعليم الجامعي فنال شهاداته وإجازاته، ومازال يتدرج إلى أن حصل على دكتوراه الدولة قبل التسعينات بقليل، بأطروحته الممتازة كما سيأتي.

وقد شاء الله أن يعمل في ميدان التعليم والتدريس قبل أن يتم دراساته العليا، حيث انخرط في سلك التعليم الابتدائي الذي قضى فيه أكثر من عشرة سنوات، ثم تدرج فيه إلى التعليم الثانوي الذي ظل يزاوله إلى أن أنشيء فرع كلية الآداب التابع للكلية بالرباط ؛ فعين نائبا للعميد، وتفرغ لإنشاء هذا الفرع الوليد، وتكوين أساتذته، وتأطير موظفيه، وتوجيه طلبته، مدة خمسة عشر عاما إلى أن استكمل هذا الفرع قوامه، واستجمع كيانه، فتحول إلى كلية عتيدة مستقلة بنفسها، أسندت عمادتها إليه، واستمر يتابع بناءها وتشييدها، ويعمل على تطورها وإشعاعها، منذ انطلقت من فرع بسيط متواضع لا يتعدى طلابه بضع عشرات، إلى أن أصبحت كلية تضم الآلاف من الطلبة، بشعبها المتنوعة، وأقسامها المتعددة، فطار صيتها، وارتفع ذكرها، وظهرت آثارها، وغدت في مقدمة كليات الآداب في المغرب عطاء، وتفوقا وإبداعا.

ثم شاء الله أن يتوج حياته وعلمه بتبوئه عمادة جامعة القرويين في فترة دقيقة من تاريخ التعليم بالمغرب، وهو منصب سام جليل توالى عليه جلة شيوخ الجماعة وصفوة

العلماء والنبغاء، منصب يحمل صاحبه مسؤولية كبرى، وتبعة عظمى، للعمل من أجل الحفاظ على مركز جامعة القرويين في حياة أمتنا، ومتابعة تحقيق رسالتها، ومواصلة قيادتها لمجتمعنا وحضارتنا. كما يشهد بذلك تاريخها، والأمل كبير في أن يحقق الأستاذ التازي الآمال المعقودة عليه، بإحياء دورها العتيد، وإعادتها إلى مكانتها، وتحقيق رسالتها الاسلامية والحضارية.

تراث الأستاذ التازي

لا أجد أقتل لمواهب العلماء والنابغين من هذه المهام الادارية التي توكل إليهم، والتي تستغرق أوقاتهم، وتصرفهم عما خلقوا له من إبداع وإنجاز، وذلك ما حصل للأستاذ التازي لطول اشتغاله بالأعمال الإدارية لكلية الآداب وفروعها، والتي استغرقت من حياته حوالي ثلاثين سنة. مما يجعله أطول عمداء كليات الآداب بالمغرب مدة، مما يرشحة للتسجيل في كتاب " كينز "، ومما حال دون وفرة إنتاجه العلمي وعطائه الأدبي. وقد استدرك هذا الأمر وأخذ إنتاجه في الظهور والبروز في العقد الأخير من هذا القرن، إذ نجد له آثارا مهمة، وأعمالا أدبية جليلة، تمثلت في كتبه الأربعة وهي :

- كتابه عن **ابن فارس**،



الأستاذ العميد عبد الوهاب التازي سعود وعن يمينه الأستاذان الجليلان فاروق النبهان مدير دار الحديث الحسنية ويوسف الكتاني

- وكتاب عن **الأخلاق** الذي نشرته منظمة الايسيسكو،
- وكتابه عن **صاعد البغدادي وآثاره،**
- وتحقيقه **لكتاب الفصوص** الذي نشرته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وصدر في أجزائه الستة.

وفي رأيي أن عمله الأخير هذا يمثل عطاءه المتميز، وعصارة جهده وعمله وفكره، خاصة وأن كتابه عن حياة **أبي العلاء صاعد البغدادي وآثاره** يعتبر أول ترجمة مستقلة متكاملة، سلطت الأضواء على هذا الأديب والعالم الجليل، وقربته إلى الدارسين والباحثين، كما نفض الغبار بتحقيقه **للفصوص** عن هذا الأثر العلمي العظيم لأحد أعلام القرن الرابع الهجري، وجعله بين أيدينا محققا مشروحا ميسرا، بعد أن كان شيئا منسيا وتراثا مخفيا، وباعتبار **كتاب الفصوص** تراثا أدبيا قيما، وعملا فكريا متميزا، ومرجعا كبيرا بارزا بين ذلك النوع من التأليف الموسوعي، الجامع في مجال الأدب وعلوم اللغة العربية، وبين كتب الأمالي والمجالس والأدب العام.

و أحب أن أنوه هنا بأن الأستاذ التازي لم يكتف في تحقيقه **للفصوص** بتقديم النص وإخراجه للناس، بل عمد في الكتاب الذي وضعه عن حياة صاحب الفصوص، إلى دراسة هذه الفصوص دراسة علمية متميزة، عرض فيها لمكانة الكتاب بين الامالي والمجالس، وحدد موضع **الفصوص** منها، ثم درس كتاب **الفصوص** دراسة قيمة عميقة، من جوانبه المتعددة، من حيث بناؤه، ومصادره، وشخصية صاحبه، وأثره فيها، كما كشف لنا عن عنوان الكتاب ودلالته، وعلاقته ببناء الكتاب بناء منطقيا، كما تناول بالدرس والتمحيص بناء الفص الواحد، ومعايير تحديده، وأركانه، من خلال مدخله الإسنادي، ومتنه، وشروحه، ثم ما يميز بين الفصوص، وأظهر الفروق بينها، وخواص كل منها، بما اشتملت عليه من آيات، وأحاديث، ومواعيظ، وحكم، وأخبار، وطرائف، وغيرها، مما يبرز القيمة العلمية لهذا التراث العلمي العظيم، والمكانة المتميزة لصاحبه، كأحد أعلام القرن الرابع، عصر ازدهار العلم والفكر في تاريخنا الإسلامي.

ثانيا : الإشعاع العلمي والثقافي لجامعة القرويين وكيف يتحقق ؟

أما عن دور الأستاذ التازي سعود في الإشعاع الثقافي والعلمي لجامعة القرويين، التي شاء الله أن ترتبط حياته بها، عندما عين عميدا لها منذ خمس سنوات، وما زلت أذكر طموحه العظيم، وآماله الكبيرة، ونحن نتحدث عن مستقبل القرويين، وما ينبغي أن تكون عليه إثر تعيينه بقليل، وقد تمنى على الله أن يصبح للجامعة العتيدة فرع في كل إقليم، ليعم إشعاعها وينتشر نورها، وقد أجبته على الفور بأن المهم ليس في فتح الفروع، ولا في كثرة الكليات وانتشارها، ولا في تعدد الندوات والمؤتمرات، وأن عليه أن

يضاعف جهده وعمله لتعود جامعة القرويين جامعة عتيدة قوية، تحتل مكانتها الأولى بين مؤسساتنا الجامعية، ويعود إليها دورها التاريخي لا في بلادنا فحسب، بل في القارة الإفريقية جمعاء، فهذه رسالتنا ومسؤوليتنا جميعا عميدا وأساتذة وعلماء.

وفي رأيي أن هذا الدور لا يتحقق إلا بأمرين أساسيين :

- إصلاح مناهج القرويين وجعلها جامعة الحياة والمجتمع كما كانت.
- ربط الجسور العلمية والثقافية بينها وبين الجامعات والمؤسسات الثقافية، في العالمين العربي والإسلامي ومع العالم أجمع.

1- حول إصلاح جامعة القرويين

واسمحوا لي أن أؤكد هنا للأستاذ التازي وللأساتذة وللعلماء جميعا، بأن الفرصة اليوم مواتية لتحقيق ذلك، بعد ثلاثين سنة من الإصلاح الذي شهدته جامعة القرويين، وتأسيس كلياتها الأربع في كل من فاس ومراكش وتطوان وأكادير، وصدور المراسيم المنظمة لمناهجها وأطرها، والتي أكدت التجربة أنها ليست محتاجة إلى الإصلاح والتعديل، بل إلى وضع مناهج جديدة تحقق ما نرجوه لجامعتنا، وما ينتظر لها ولطلبتها ومناهجها وآفاقها، ومن استعادتها لمكانتها الأولى في مجتمعنا المغربي، خاصة وأن المناهج الحالية جعلت كلية الشريعة أقرب إلى مناهج كلية الحقوق منها إلى الشريعة، مما بان أثره الكبير على مستوى الخريجين، ودرجة تخصصهم وكفاءتهم، باعتبارهم خريجين للجامعة الإسلامية، ومما جعل المواد القانونية تطغى عليها، وتحاصر العلوم الإسلامية في عقر دارها.

ولن أتردد في الجهر هنا، مرة ثانية، بعد أن أعلنت ذلك في ندوة جامعتي القرويين والزيتونة، حول الحوار في الثقافة الإسلامية في فاس، منذ سنتين في مؤسسة ابن سودة الثقافية، بأن علينا أن نكون متحدين، صادقين، صرحاء مع أنفسنا، ومع أمتنا، كملكنا، وألا نبقى نراوح مكاننا مكتفين بتبديل مواد بمواد أو تعديل مرسوم، أو تغيير قانون فقد آن الأوان ليسترد التعليم الإسلامي مكانته الأولى كما كان طوال تاريخنا العتيد، وكما كان قبل أن يحجمه الاستعمار. والفرصة الآن مواتية، ومشكل التعليم مطروح على المستوى الوطني كله، للعمل على وضع مناهج جديدة أصلية، من شأنها أن تعيد للقرويين إشعاعها في الداخل والخارج، وتعيدها إلى مكانتها، جامعة المغرب الأولى المتميزة، وتقضي على النظرة المميزة والازدواجية بين تعليم القرويين وبين التعليم العام، مما كان نتيجة لعمل الاستعمار، وذلك بإصلاح التعليم العام في المغرب وبنائه على أصول الإسلام وعقائده وقيمه، على جميع المستويات وفي جميع المراحل، وفي كل التخصصات، ليحصل أبناؤنا جميعا على قسط أساسي من التعليم الإسلامي الذي ينبغي أن يكون قاسما مشتركا بين سائر الفروع والتخصصات، علمية كانت أو أدبية أو

سياسيـة، وذلك حتى لا تنعـزل جامعة القـرويين عن غيرها من الجامعـات، أو يصبح خريجوها كرجل الدين في المجتمع المسيحي، وحتى لا يعود الطبيب والمحامي والمهندس غريبـا عن دينـه في وطنه، كما خرجـت لنا المناهـج -فيما بعد الاستقـلال- هذه النماذج المفتقرة إلى المعرفة الضرورية لدينها، والمتنكرة لهويتها.

وإنني لا أحجم أن أمثل هنا بـالإصـلاح الجوهـري الذي مس جـامعـة الأزهـر الشقيقــة على عهـد عبــد النـاصر، والــذي حقق التمازج بين التعليم الـديني والمدني، وأصبحت جـامعة الأزهـر تضم إلى جانب كليـات الشريعة والـدعوة والأصـول، كليات الطب والهندسـة والعلوم وغيرها، وأصبح خـريجوها نماذج لما ينبغي أن يكون عليـه العالم المسلم في عالم الصحوة الإسـلامية، جامعا بين الـدين والدنيا، محققا لـوجوده في الحياة، مرتبطا بها، متعلقـا بربه، مقدرا لمسؤولياتـه. ولعل صاحب الجلالة كان يقصد مـا يريد عندما استدعى أحـد الأطباء السوريين وهو الدكتور هيثم الخيـاط، ليحاضر في موضوع «الصحـة والبيئـة» في الـدروس الحسنيـة لهذا العـام، من منطلق حـديث شريف، ولعل المحاضر أخـذ بألباب المغـاربة جميعا لا كطبيب متخصص فحسـب، بل كمسلم يعرف حقائق دينه، مما جعلـه يجمع في محاضرته بين أصالة الإسلام قرآنـا وسنة وبين ما وصلته الإنسانيـة في مجال الطب من إنجاز وابتكـار، وكيف استطاع الربـط بين أمرين، والجمع بين حقيقتين، في أسلوب عربي مبين وإحاطة كبيرة، متمنيا أن يكون في مجتمعنا أمثلة له.

ولعل تعيين صاحب الجلالة لوزير الأوقاف والشـؤون الإسلامية في اللجنة الوطنية لإصلاح التعليم يـؤكد هذا التـوجه الذي نؤمن بـه، والغاية التي نسعى إليهـا ، ونداقع عنها، من بناء تعليمنـا على أساس الإسلام وهديه، ربطا للحـاضر بالماضي، واستشرافا للمستقبل. وإنني أنوه هنا باعتزاز بالورقة التـاريخية التي قدمها السيد وزير الأوقاف لدى افتتاح أعمال اللجنة، التي نعتبرها عملا عظيما، ومنهجا متميزا، رسم الخطوط الإسلامية التي ينبغي أن ينبني عليها تعليمنا، كما أوضح المنهج الذي يـرمي إليه صاحب الجلالة، والذي يدعـو إليه في كل خطاب ومناسبة، والـذي كنا ومازلنا نجـده نحن العلماء عندما يضيق الخنـاق على التعليم الإسـلامي، ويحاصر في عقـر داره، نجـد أمير المؤمنين نصيرا وحاميا ومـدافعا. ولعل معاناة التعليم الإسـلامي في دار الحديث الحسنية مع أحد وزراء التربية، الذي حاول جهده وقف مسيرتها، وتعطيل مناقشـة رسائلها وأطروحاتها، فأوقفه صاحب الجلالـة عند حده، ورفع العـراقيل والقيود من طريق هـذه الدار التي استأنفت رسالتها بحزم وعـزم، وما عاناه أيضا التعليم العالي في كلية الشريعـة من الوقوف في وجه فتح السلك الثالث فيهـا، فجرف التيـار ذلك المسؤول، وجاء وزيـر آخر وهو الـدكتور الهلالي الذي وقف مع كليتنا، ودافع عنها حتى فتـح السلك الثالث في عهده ، ثم توالى ذلك في بقية كليات القرويين .

وأنا أحب أن أذكر هنا بالموقف الشجاع لرابطتنا، رابطة علماء المغرب، في الدفاع عن التعليم الإسلامي في المغرب وحراسته والوقوف إلى جانبه، منذ انطلقت الرابطة في الستينات وإلى اليوم. ولم يخل مؤتمر من مؤتمراتها، ولا ندوة من ندواتها، من العناية بقضية التعليم التي كانت دوما قضية الرابطة الأولى، وهمها الأكبر، الذي جعلته في مقدمة توصياتها وفي أخص قراراتها.

ومن هنا تعظم المسؤولية اليوم أمام رابطة علماء المغرب الممثلة في لجنة إصلاح التعليم، وعليها ألا تكتفي بدور الملاحظ ، فلن يفيد رأي مندوب عنها أو ممثل لها، ولايوجد شخص في الدنيا يستطيع وحده أن يصلح التعليم، أو يقدم منهجا لاصلاحه، لأن التعليم قضية المجتمع، يعني الأمة بأسرها. فعلى الرابطة أن تجمع أمرها، وتعد عدتها، وتستدرك الأمر قبل فواته، وذلك باستدعاء العلماء، واستشارتهم في الأمر، ليضعوا المنهج الصحيح لإصلاح التعليم على أساس سليم، يضمن للأمة تعليما عاما، منبثقا من عقيدة الأمة ومقدساتها، يضمن لها تكوين جيل قوي صالح يجابه تحديات القرن المقبل، بثبات وعزم ويقين، وتعليما يبعث المغرب من جديد، ويحقق آمال أهله في النمو والتطور، تعليما ينقلنا من المحاكاة والتقليد إلى عهد الابتكار والتجديد والتقدم، كما حقق ذلك تعليمنا في أزهر عهود تاريخنا، وجعل فتوح المغرب الثقافية توازي فتوحه السياسية. وعلى الرابطة أيضا أن توحد الرأي وتتعاون مع جامعة القرويين، لاتحاد مقاصدهما وتوجهاتهما، باعتبار موقعهما المتميز في بلادنا.

وأمر آخر أحب ألا أنساه ونحن نتحدث عن إشعاع جامعتنا، وهو خزانتها العتيدة، وضرورة تحديثها، وتدعيم أطرها وأدواتها، فليس معقولا أن تبقى هذه الخزانة تعيش في عصر الجمال كما هي عليه الآن، مما يتعارض مع رسالتها وأهميتها، نظرا لما تضمه بين جنباتها من تراث خالد عز نظيره في غيرها. وقد سبق لجلالة الملك أن أعلن رغبته وموافقته على تحديثها وإصلاحها، ومدها بكل ما تحتاج إليه ، وذلك في أثناء الاحتفال بليلة القدر منذ بضع سنوات، إثر اختتام الدروس الحسنية بحضور علماء المسلمين من كل مكان، وما علينا إلا أن نحقق هذا المسعى، ونبادر إلى هذا الاصلاح، الذي من شأنه أن يجعل خزانة القرويين تؤدي دورها في مجال البحث العلمي والتنمية الثقافية، لتصبح مركزا علميا للدراسة والبحث والتحقيق كما ينبغي، لا متحفا للمخطوطات يتفرج عليها السائحون والزائرون.

2- حول ربط الجسور بين القرويين وبين الجامعات

أما عن ربط الجسور بين جامعتنا وغيرها من الجامعات والمؤسسات العلمية، فذلك هو الشرط الثاني لبعث إشعاعها العلمي والثقافي، وفتح الآفاق في وجهها، ولعل الأستاذ التازي استطاع البداية في هذه الطريق، بتحقيق التوأمة بين القرويين والزيتونة،

والانتقال من مرحلة التوقيع إلى العمل المجدي، حيث استقبلت جامعتنا وفد جامعة الزيتونة في الندوة المشتركة بيننا حول : "الحوار بين الرواية والدراية في الثقافة الاسلامية" ، والتي كانت ندوة ناجحة موفقة، بفضل الدراسات التي ألقيت فيها، والحوار الذي امتد بين الطرفين، وفي التوصيات البناءة الصادرة عن ندوتنا، والتي أعطت ثمارها، إذ عما قريب سنرحل إلى تونس للقاء إخواننا أساتذة الزيتونة في ندوة علمية جديدة، توثق الروابط، وتؤكد العلاقات، في موضوع خصب ممتاز يعتبر موضوع الساعة وهو : " الاجتهاد ودوره في حياة الأمة الاسلامية" .

والمأمول ألا يقف التعاون عند الندوات واللقاءات، بل يجب أن يمتد ويشمل مناقشة الرسائل والأطروحات، واستقبال وفود الأساتذة من الجانبين، وكذا تبادل وفود الشباب وطلاب الجامعتين.

كما نحب أن نرى قريبا ترجمة اتفاقية التوأمة بين جامعتي الأزهر والقرويين، إلى خطوات علمية تعيد حرارة الاتصال بين المؤسستين، والتواصل والتعاون والتحاور بين رجالاتهما وأجهزتهما، اعتبارا للدور الذي تقومان به في العالمين العربي والاسلامي. كما نود أن يمتد التواصل والتعاون بين جامعتنا وبين غيرها من جامعات الدنيا ومؤسساتها العلمية، كما كان الأمر خلال تاريخ القرويين، قويا، ممتدا، موصولا.

وأحب أن أؤكد أخيرا أن إصلاح التعليم على أساس عقيدة الأمة وأصولها المقدسة، هو الطريق لترشيد مسار الأمة، وبناء المغرب الجديد، وأن إصلاح جامعة القرويين، وجعلها جامعة قوية عتيدة، هو روح هذا الاصلاح وأساسه، لأنها قلعة الاسلام، وهويته في هذه الديار. وقد كان دوما ازدهار القرويين وإشعاعها مظهر ازدهار وتطور المغرب في أزهى عصوره ودوله، وذلك هو ما أكده جلالة الملك في خطاب العرش الأخير بقوله :

" والرهان على بناء صرح الحاضر على أسس سليمة هو الجسر المؤدي إلى الغد المشرق الزاهر (. . .)، ولن يتأتى لنا إنجاز ما نصبو إليه من إصلاحات، إلا إذا ساير تعليمنا متطلبات التحول الذي يفرضه العصر، فالغاية من التعليم لم تعد التثقيف وحده، بل بالأخص الإعداد والتكوين للإسهام في الإنتاج ، وهذا يفرض علينا أن نؤهل من الآن أجيالنا لما قد يظهر من حاجيات بعد عقد أو عقدين، أي أن على برمجتنا أن تساير تطور المعرفة بما يلزم من المرونة ومسابقة الابتكارات" .

" إن أريد إلا إصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب" ، صدق الله العظيم .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

« وإن جامعة القرويين العتيدة بما حققته في مجال الإبداع الفكري والريادة العلمية، وبما قدمته من أياد بيضاء في المحافظة على لغة البيان وثقافة القرآن، وأنجبته من قيادات علمية ووطنية، تجاوزت شهرتها حدود الزمان والمكان،

ونظرا لما حظيت به من رعاية ملوك المغرب عبر العصور والأزمان، وتحظى به اليوم من لدن فخر الدولة العلوية وسليل ملوكها الغر الميامين مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني، أطال الله بقاءه، من حدب دائم وعناية موصولة،

فإنها مرجوة اليوم لأن تعيد فينا سيرتها الأولى، فتساهم في إصلاح وترميم ما تأكل وتصدع من القيم والمثل الاسلامية التي كاد أن يطويها النسيان ويبليها طول الإهمال في معترك النهب المادي، وتفجر في أعماقنا روح الاصلاح فتخرج إنسانا جديدا باستطاعته أن ينتصر على نزواته، ويقتلع جذور الشر من نفسه بإجراء عملية تصحيحية إصلاحية هادئة على نحو ما فعل رسول الله ﷺ مع قومه يوم أن صنع منهم خير أمة تحدت الجهل والفقر والمرض في سماحة نفس وإيثار، لا ابتزاز معه ولا استئثار».

أحمد الكنيدري، - وزير التربية الوطنية

(من الخطاب الافتتاحي لندوة «الحوار بين الرواية والدراية في الثقافة الاسلامية»، نظمتها جامعة القرويين بمشاركة جامعة الزيتونة، فاس، ديسمبر 1994.
انظر النشرة الجامعية، رئاسة جامعة القرويين، العدد 2، 1996، ص.6)

«.. وفي نفس السياق، ولكن على مستوى المسؤولية العلمية، تلتقي إرادة جامعتينا العريقتين: القرويين والزيتونة بما لهما من وزن علمي ومكانة دينية وتربوية، وبشعبيتهما التي لاحدود لها، ودورهما الرائد في حماية الذات الاسلامية وحراسة الوجود المعنوي للأمة،

أقول، تلتقي هذه الإرادة في تنسيق المواقف وتوحيد الجهود وإحكام التحضير والتدبير لبداية رحلة جديدة وقودها العلم النافع، والدين الحق، والوطنية الصادقة، والاصلاح الحكيم، رحلة لخير أجيال الحاضر والمستقبل على نحو رحلة الماضي بأمجادها وفتوحاتها العلمية والاصلاحية.

وإننا لنعتقد اعتقادا جازما بأن تجديد رسالة جامعة القرويين والزيتونة، ومعهما بدون شك جامعة الأزهر وغيرها من منارات الاسلام الهادية ومحطاته المضيئة، أصبح أمرا لازما ودينا في عنق الأمة الإسلامية واجب عليها أداؤه، حتى تستطيع النهوض برسالتها الخالدة نحو وطنها الاسلامي في عالم مهدد بالإفلاس الحضاري والخلقي والديني».

عبد الوهاب التازي سعود ـ عميد جامعة القرويين

(من الخطاب الافتتاحي لندوة «الحوار بين الرواية والدراية في الثقافة الاسلامية». انظر النشرة الجامعية، رئاسة جامعة القرويين، العدد 2، سنة 1996، ص. 7)

● «..إنـه لحدث علمي تـاريخي أن ينتقل وفـد من الجامعيين بهذا العدد من جامعة الزيتونة العريقة، الرائدة، المنفتحة إلى جامعة القرويين التي تشترك معها في العراقة والريادة والتفتح، ليقيموا في رحابها ندوة علمية بالاشتراك مع أساتذتها وباحثيها. وإنها لخطوة أولى نحو إرساء قواعد متينة متميزة ستجمع بين جامعتينا المغربيتين - أقدم الجامعات العربية والإسلامية، في العالم. وإننا اليوم نشرع في القيام بأول نشاط علمي في رحاب القرويين وننتظر الندوة التي ستلتئم بتونس في رحاب جامعة الزيتونة بالاشتراك مع زملائنا من القرويين.

● إن جامعتينا تعملان بتوجيهات أصيلة مستنيرة، ومناهج علمية موضوعية لتدريس العلوم الإسلامية وإقامة البحوث الاجتهادية، وهما تسعيان لتكوين المواطن المغاربي الأصيل، المتفتح المستنير، ذي الشخصية المتوازنة، الذي يبني ويعمر ويسهم بكل ثقة وثبات واقتدار في الحضارة المعاصرة.

إني لا أشك في أن توأمة الزيتونة مع القرويين ستثمر ندوات علمية ثرية، وأبحاث طريفة، تأليفا وتحقيقا للتراث، وستعزز أواصر الأخوة بين الشعبين الشقيقين، التونسي والمغربي، وستجمع بين مسؤولي الجامعتين وأساتذتهما وطلبتهما، وستمكن من تبادل الزيارات والتعاون في الطباعة والنشر».

عبد المجيد بن حمدة، رئيس جامعة الزيتونة
(من الخطاب الافتتاحي لندوة «الحوار بين الرواية والدراية
في الثقافة الاسلامية». انظر النشرة الجامعية، رئاسة جامعة القرويين،
العدد 2، سنة 1996، ص. 9)



صورة جماعية للسادة الأساتذة أعضاء مجلس جامعة القرويين الذين حضروا انعقاده بكلية أصول الدين بتطوان (11 ـ 12 جمادى الثانية 1415هـ الموافق 14 ـ 15 نوفمبر 1994). يتوسطهم الأستاذ العميد عبد الوهاب التازي سعود وعن يساره الأستاذان الجليلان العلامة عباس الجراري وفاروق النبهان عضوا أكاديمية المملكة المغربية، كما يبدو في الصورة السادة الأساتذة قيدومو الكليات التابعة لجامعة القرويين : محمد يسف، محمد الطاهري ادريس خليفة، حسن جلاب، وبعض الأساتذة والموظفين الإداريين، نذكر من بينهم محمد أبو الفضل، محمد اليعقوبي خبيزة، حسن العبادي، بنيعيش، محمد جميل، محمد بناني زنير، خالد السقاط...

فضل جامعة القرويين وعميدها الدكتور التازي في إحياء كتاب " الفصوص " لصاعد البغدادي



علي القاسمي

مدير الثقافة والاتصال - الإيسيسكو

أيها السادة الأفاضل،

أيتها السيدات الفضليات،

على الرغم من أن القرآن الكريم أنصف المرأة وساواها بالرجل فيالخَلْقِ والخُلُقِ إذ قال تعالى "ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء" (النساء : 1)، فإن تراثنا الأدبي العربي، ظل - مع الأسف - يحفل بتصورات جاهلية عن المرأة ويصفها بالجهل والغدر وعدم الوفاء، ويردد مع الشاعر الجاهلي علقمة الفحل :

فإن تسألوني بالنساء فإنني بصير بأدواء النساء طبيب

إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له في ودهن نصيب

واستنبط المتنبي نتيجة منطقية على غرار " في كل حائط فأر " عندما قال :

إذا غدرت حسناء وفت بعهدها فمن عهدها أن لايدوم لها عهد

وعبد الله بن المعتز الأمير المترف الشاعر الأديب الخليفة ليوم وليلة يفترض سلفا عدم وفاء المرأة فيقول :

بحياتي يا حياتي، اشربي الكأس وهاتي

قبل أن يفجعنا الدهر بموت وشتات

لا تخونيني إذا مت وقد ماتت نعاتي

إنما الوافي بعهدي منْ وفى بعد وفاتي

ولقد آن لأدبائنا ومثقفينا أن يصححوا هذه الصورة الخاطئة عن المرأة، وإذا أرادوا مثالا يسجل ويضرب به المثل فليكتبوا عن وفاء الأديبة الفاضلة الدكتورة فاطمة الجامعي الحبابي لذكرى بعلها المغفور له الأستاذ محمد عزيز الحبابي ووفائها لمثله الفكرية وقيمه العلمية. وما هذه الندوات الثقافية التي تواصل عقدها وتنظيمها إلا دليل على وفائها لندوة المرحوم الفكرية. وهي بذلك تستحق منا كل تمجيد وثناء.

أيها السادة والسيدات،

إن الدكتورة الجامعي الحبابي قد خصصت ندوة اليوم لتمجيد جامعة القرويين وتكريم عميدها الحالي الأستاذ الدكتور عبد الوهاب التازي سعود. ولجامعة القرويين أفضال كثيرة في مجال ترقية الفكر العربي الإسلامي وتطويره، ولعميدها الجليل أعمال عديدة في خدمة هذا الفكر والتعريف بتراثه. ولكنني - بوصفي عراقيا متغربا- سأقتصر على الإشادة بفضل هذه الجامعة العتيدة وعميدها الكريم على مغترب عراقي آخر حط رحاله في الغرب الإسلامي قبل حوالي ألف عام، ذلكم هو صاعد البغدادي، وأنوب عنه وعن محبي أدبه وفكره بالإعراب عن خالص الشكر وعميق الامتنان لجامعة القرويين وعميدها الهمام. فقد استطاعت خزانة جامعة القرويين أن تحتفظ بنسخة يتيمة، كتبت عام 969هـ من مخطوطة لأهم مؤلفات صاعد البغدادي : **كتاب الفصوص**، ثم اضطلع المرحوم الشيخ العابد الفاسي الفهري بإعداد فهرس مخطوطات القرويين، الذي أصدره نجله الأستاذ محمد الفاسي الفهري في أربعة أجزاء، وأشار فيه إلى وجود تلك النسخة من **كتاب الفصوص**. ثم تعهد عميد الجامعة نفسه بتحقيق المخطوطة ونشرها في ستة أجزاء، وقدم لها بمجلد كامل، تناول فيه حياة صاحب المخطوطة بعنوان **صاعد البغدادي: حياته وآثاره**.

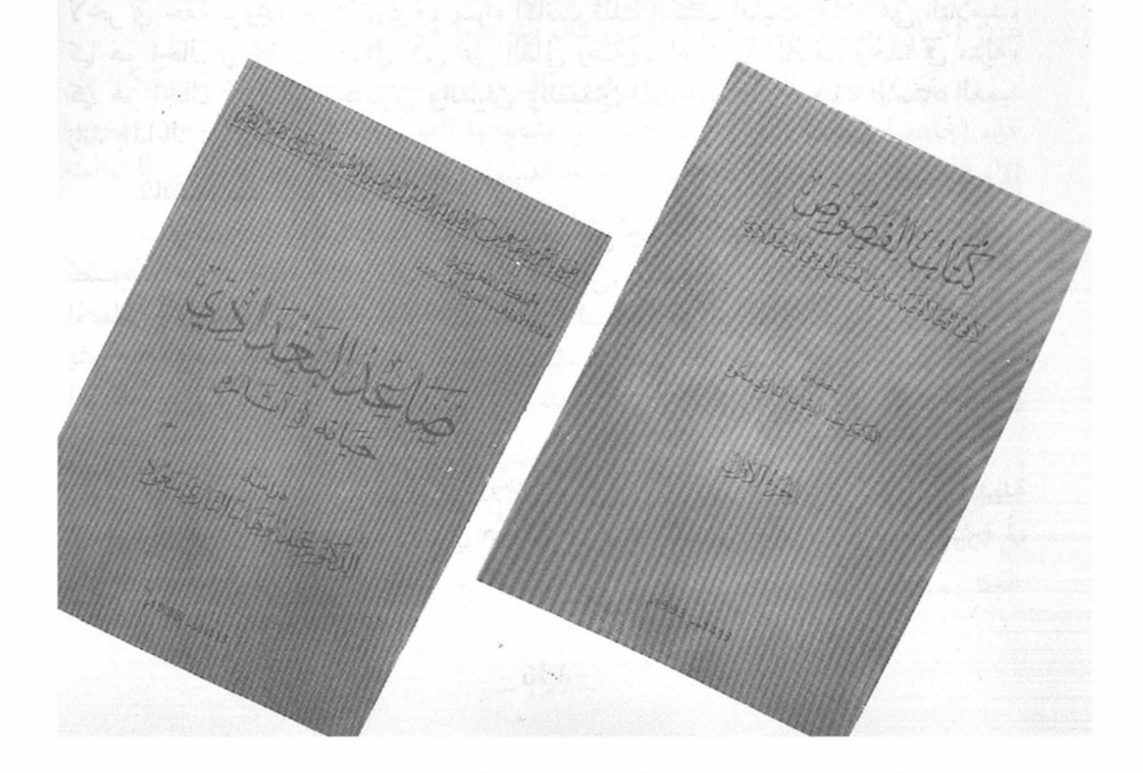
لقد ولد صاعد البغدادي حوالي عام 335 هـ في إحدى قرى الموصل، وارتحل، وهو فتى، إلى بغداد طلبا للعلم، فدرس على ثلة مرموقة من علمائها مثل أبي علي الفارسي في النحو، وأبي سعيد السيرافي في اللغة والأدب، ويحيى بن عدي المنطقي في الفلسفة ، وكان معاصرا لنخبة من أبرز أدباء العربية، اجتمع بهم وتبادل الرأي معهم، منهم أبو الطيب المتنبي وأبو حيان التوحيدي. وأهله نبوغه، على صغر سنه، إلى حضور مجالس الوزير أبي محمد المهلبي والوزير أبي الفتح ابن العميد، وتولى الإشراف على خزانة الوزير الكاتب أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف . وفي عام 375 هـ اضطر صاعد البغدادي لمغادرة بغداد - إثر فتنة حاقت بها - فذهب أولا إلى مصر، ثم حط رحاله في قرطبة وحظي برعاية الحاجب المنصور بن أبي عامر، وألف له روايتين **وكتاب**

الفصوص. وبعد وفاة المنصور، عام 392 هـ، ساءت أحوال صاعد البغدادي وانتقل لفترات متفاوتة في أمدها إلى صقلية ودانية وسرقسطة ، ثم ثانية إلى صقلية - ولعله كان تلك المرة في طريق العودة إلى العراق- حيث لقي حتفه عام 417 هـ.

وعندي أن فضل العميد الدكتور التازي لا ينحصر في تحقيق **كتاب الفصوص** ونشره فحسب ، بل يتجلى كذلك في منهجية بحث أصيلة ابتكرها الأستاذ العميد وانفرد بها، وتستحق أن يقوم أساتذة طرائق البحث العلمي بتدريسها لطلابهم في جامعاتنا. وتتجلى هذه المنهجية الجديدة في ثلاثة جوانب رئيسية :

أولا، كتابة السيرة :

لقد برع العرب في كتابة السيرة بأنواعها المتعددة ، ولهم في كتابتها مناهج مختلفة، وأحسب أن منهجية الأستاذ العميد التازي في كتابة سيرة صاعد البغدادي في كتابه، **صاعد البغدادي : حياته وآثاره** قد أضافت جديدا في هذا المضمار، وشقت دربا لم يسلك من قبل. ففي المدخل الأول من هذا الكتاب تتبع المؤلف الفاضل جميع النصوص التي أشارت إلى صاعد البغدادي وآثاره في المصادر المختلفة منذ القرن الرابع الهجري حتى يومنا هذا، ورتبها تاريخيا وصنفها نوعيا، ومحصها نقديا، ليستخلص منها مشروع سيرة أقرب إلى الكمال والصواب عرضها علينا في المداخل التالية في كتابه. ويقدم لنا المؤلف صاحبه الأثير صاعدا بوصفه لغويا حاذقا، وشاعرا مجيدا، وأديبا بليغا وموسيقيا متمرسا في النغم والألحان، بارعا في العزف على العود ونديما للأمراء والوزراء، متمكنا من اصطناع الهزل والضحك للترويح عن النفس.



ويستعين المؤلف بالجداول التوضيحية التي تبين أساتذة صاعد في العراق من أمثال أبي علي الفارسي ويحيى بن عدي المنطقي وأبي سعيد السيرافي وتلاميذه في الأندلس مثل ابن حزم وابن سيدة وابن حيان، وكأنه يرمي بذلك إلى تأكيد الوشائج الثقافية والعلائق الفكرية بين مشرق العالم الاسلامي ومغربه. ولا يكتفي المؤلف بتعداد تلاميذ صاعد البغدادي وإنما يعرف بتلاميذ تلامذته ليبين أثر الرجل الفكري لا في عدد محدود من العلماء بل في مجمل الثقافة العربية الاسلامية في الأندلس. والجديد في طريقة الأستاذ العميد هو تتبع الاشارات الواردة عن المترجم له في المصادر المختلفة بحيث يشارك القاريء نفسه في تكوين السيرة المطلوبة.

ثانيا، الأنواع الأدبية :

والإسهام الجديد الثاني للأستاذ العميد يكمن في تصنيفه **لكتاب الفصوص** لصاعد البغدادي ضمن كتب الأمالي، لا على أساس شكلي ولكن على أساس نوعي. ويتفق معظم الباحثين في الأنواع الأدبية العربية على أن كتب الأمالي هي نتيجة ما كان يمليه الشيوخ على طلابهم ارتجالا ثم يقوم الطلاب بجمعه في كتاب يسمونه الاملاء أو الأمالي. وقد تم تأليف **كتاب الفصوص** بهذه الطريقة، ولكن الأستاذ العميد لا يكتفي بهذا التحديد الشكلي لهذا الصنف من الكتب وإنما يكاد ينفرد بين الباحثين في اعتماده على تحديد نوعي يتخذ بعين الاعتبار طبيعة النصوص التي يضمها الكتاب، وطريقة تقديم المادة فيه، فيقرر أن كتب الأمالي هي الكتب التي تضم نوادر اللغة والأدب، وطرائف التاريخ والأخبار، وجواهر التفسير والحديث، وتجمع بين الجد والهزل، وتنتقل من خبر لآخر في خفة ترويحا عن القاريء، سواء أكانت تلك الكتب أمليت إملاء على التلاميذ، كما هو الحال في **كتاب الأمالي** لأبي علي القالي وغيره، أم كتبها المؤلف وحده في منزله، كما هو الحال في كتابي **الحيوان والبيان والتبيين** للجاحظ الذي يعده الأستاذ العميد رائد هذا النوع الأدبي.

ثالثا، منهجية التحقيق :

بالإضافة إلى ما يقوم به المحققون من جمع النسخ المخطوطة والمقارنة بين نصوصها، وتصحيح التحريف، وإكمال النقص، والتعريف بالأعلام ، والإشارة إلى المصادر وتخريج الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأبيات الشعرية، وشرح ما لم يشرحه المؤلف، ووضع الفهارس، وغير ذلك مما هو معروف، فإن الأستاذ العميد اضطلع بتقسيم الكتاب إلى فصوص بينة اعتمادا على وحدة الموضوع الذي يتناوله النص ووحدة المروي عنه، ووحدة المختار له.

وهكذا يتضح لنا من هذه الإطلالة العجلى على **كتاب الفصوص** بحلته الجديدة أن عمل الأستاذ المحقق جهد رائد في هذا الميدان ينضاف إلى جهوده المحمودة الكثيرة في خدمة الفكر العربي الإسلامي.

مستقبل جامعة القرويين



الحسن السايح
عالم وباحث ـ الرباط

أيها الزملاء الأعزاء،

ساداتي، سيداتي.

أتوجه بالشكر أولا لصديقي الأستاذ عبد الوهاب التازي سعود، الذي نحضر اليوم جلسة أخوية لتكريمه وتقدير مساهماته العلمية والثقافية، كما أشكر الأستاذة الجليلة السيدة فاطمة الجامعي التي عهدنا في أعمالها رعاية للود لزوجها المرحوم محمد عزيز الحبابي تغمده الله برحمته، والذي كان بيته ندوة مستمرة.

وتكريم أخينا الفاضل عميد جامعة القرويين جدير أن يكون مناسبة للكلام على هذه الجامعة العتيقة التي روينا جميعا من ينابيعها الصافية، وكرعنا من معين علومها الإسلامية على يد علماء أجلاء ظلوا أوفياء لدينهم وقيمهم الحضارية، ولولاهم لما توالت نهضتنا العلمية الإسلامية في وطننا العزيز.

وقد آثرت أن يكون الحديث في تكريمه عن القرويين ورسالتها المستقبلية، أي عن الأعباء الجسيمة التي سيتحملها في أداء هذه الرسالة التي أنيطت به تكاليف النهوض بها... وما أصعب أن يتولى الإنسان مسؤولية جامعة تاريخية لها تقاليدها وشخصيتها، ولها تطلعات معاصرة، فعميدها مشدود إلى الماضي وإلى الحاضر معا.

وإذا كان من الصعب أن يتكلم أحد عن المستقبل دون وعي الحاضر ودون تذكر الماضي، لأن المستقبل هو عملية تكشف تدريجي لنتيجة تعاقب الأحداث وبلوغ ذروتها في الحاضر، فلعلي مسؤول عن أداء شهادة لمرحلة من مراحل التطور في حياة جامعتنا العظيمة، إذ عشت طالبا في القرويين قبل أن أصبح مديرا لإدارتها. لقد كان قدري أن

أعـايش قضـاياهـا، حيث كنت مسـؤولا عنهـا في فترة دقيقة من الفترات التـي عاشتهـا مناضلـة صامدة، وقد انعكست هـذه الفترة من تاريخها على مسيرتها التاريخيـة المعاصرة، وذلك أن القـرويين كـانت حصنا منيعـا ضـد الغزو الثقـافي الاستعماري ، فسـدت كل مشارب الثقافـة الفرنسية خشية أن تكون سيـلا متدفقا يقتلع جذور الثقافـة الاسلامية، وتمسكت «بخشبة النجاة» بدل الغرق في خضم الأغراض الاستعمارية.

وفي هذه الفترة بـالذات كنت طالبـا بالقـرويين، وكنا نفتقد دراسـة الأدب المقارن والتاريخ المقارن والفقه المقارن، وكنا نتطلع إلى معرفة الثقافة الغربية التي جذبتنا ببريقها الأخاذ ،لكن لم تكـن تدرس بالقـرويين لغة أجنبيـة لنتمكن بواسطتهـا من التعرف على الفكر المعاصر، فبدأت أنا وبعض الزملاء، أذكر من بينهم أخي الدكتور عباس القيسي، بـدأنا نـذهب إلى كوليج مـولاي إدريس لنتلقى معلـومات من طلبتـه، وفي هذه الحقبـة بالـذات تعرفت على الـدكتور عزيـز الحبابي رحمه الله الـذي كان من طـلاب الكوليج ، فأخذ يعلمنـا الفرنسية، فأول ما تعلمت الفـرنسية عن أخينا الحبابي بطـريقته الخاصة. كما كنـا نود أن تـدخل مـواد جديـدة إلى القـرويين مثل العلـوم والريـاضيـات والفيزيـاء والكيمياء، ونبحث عن أساتذة لتلقينها.

الواقـع أن تلك الفـترة لم تكن سهلـة، لقــد كانت عسيرة جدا لأن الإدارة آنذاك لم تكن واعية بالمشكل.

هكذا بذلنا الجهـد، فكنا ندرس اللغة الفرنسية في أوقات الفـراغ، ونطالع ما يرد على خـزانة القـرويين من كتب ومجلات تهتم بـالثقافـة الغربيـة، كـ**الرسالة، والثقافة والحديث المقتطف والأزهر.**

وعندما انتهت الحماية، ودخلت القرويين مرحلـة الاستقلال كان طموحها شديدا أن تأخذ من أساليب التنظيم الحديث ما افتقدتـه طيلة تاريخها، فاتجه المصلحون للتعليم إلى إعطاء القرويين مكانة جديرة بتاريخها، فأرادوها "جامعة المغرب الإسلامية" ، وارتأوا أن تكـون لها كليات في مـراكش وتطـوان ،واتجه رأي آخـر إلى أن تكون " القـرويين" جامعة بفـاس، أما مراكش فتحتضن "جامعة ابن يوسف " التي كـانت تشبه القرويين رسـالـة وتـاريخا ،ولم تكن ميـزانيـة التعليـم في المغـرب آنـذاك قـادرة على ذلك ،فأصبح للقرويين كليات متفرقـة في مدن ثلاث، وأصبح الأمر يدعـو إلى بذل مجهود أكبر لتؤدي رسالتها. إن هذه الفترة حددت مسيرة تـاريخ القرويين، ولهذا فتساؤلي هو : كيف يجب الوفاء لعظمة التعليم الأصيل بصفة عامة ؟

وتلكم هي المرحلة الدقيقة التي ستدعو أخانا إلى النهوض بالقرويين الحديثة، وله من تجربته الموفقة في العمادة بكليـة الآداب بفاس ما يعينه على أن يـؤدي رسالته التي هي رسالة القرويين.

«إن الاعتماد على النفس في تونس آنذاك كان يحتاج إلى لقاح في العلوم العربية الأدبية، والعلوم الحديثة وغيرها، زيادة على اللقاح من الشرق، لأن الهمة كانت مصروفة من الكارعين من الشرق إلى العلوم الفقهية، أو العلوم العقلية كالمنطق، أو علوم القواعد العربية كالصرف والنحو، أو علوم القراءات. ورجلا هذه المدرسة الشرقية الشيخ علي النوري الصفاقسي، والشيخ إبراهيم الجمني.

أما العلوم الحديثة، أو العلوم الأدبية، فحفظها بقي نزرا إن لم يكن معدوما، حتى وفد، على البلاد التونسية من علماء القرويين، بعض رجالات هذه الجامعة، فكانت لهم مساهمة في الحديث والعلوم الأدبية والعلمية.

وقد كان لارساليات القرويين التلقائية إلى تونس مساهمة كبيرة في إنعاش الحياة العلمية. إن هؤلاء الوافدين من القرويين كانوا رسل خير، وكانت رسالتهم إلى هذه الديار معينة على إحياء العلوم فيها بصورة تحفظ للقرويين الإكبار والتقدير للمساهمة البارزة مع علماء هذه الديار الذين لم يدخروا وسعا في إحياء الحياة العلمية الإسلامية. وكانت مساهمتم مركزية لبنائها على أصول المدرسة العربية في العصور الإسلامية الذهبية».

محمد الشاذلي النيفر

(انظر، الكتاب الذهبي لجامعة القرويين،

«مساهمة القرويين في اللقاح العلمي بين المغرب وتونس»، ص.221)

«إن علماء اليـــوم وفقهـــاءه بـــالمعنى الصحيح، مطالبون بتوسيع عملهم وعقلهم ليشمل كل المجالات، بما فيها، على الخصوص: فقه الدين الذي هو معرفة الحقائق الدينية من مصادرها الكبرى، وفقه الواقع الإنساني والمجتمعي الذي لايقل عن فهم الدين أهمية ويمس الـــواقع الـــداخلي والخارجي وتطـــور العلـــوم الإنسانية والمجتمعية الحديثة، وفقه التنزيل أي إحكام تنزيل القـواعد الشرعية على الواقـع المعيش. وهذا لا يعرفـه كل الفقهاء، فقـد يعرفـون الفقـه والحضارة ولكنهم حينما ينزلون الأحكام لا ينـزلونها فـي أمكنتها الحقيقيـــة، والإخـــلال في تنزيل الأحكـام ومطابقتها للواقع هو الذي يوشك أن يحلل ما حرم الله ويحرم ما أحـل الله، ويولـد الفوضى والاضطراب والاختـــلاف في المجتمع.

فالفقيـه الذي يفهم شؤون الدين والدنيا هـو الذي سيفتي في القضايا الحديثـة الكبرى التي يخوض فيها الناس وأصبحت حـديث المجتمعات اليـوم : كمسألة الإخصاب الصناعي، واستئجـار الأرحام، والإجهاض، وبنك الحيوانات المنوية، والتحول الجنسي، وداء السيدا، وزرع الأعضاء وبيعها والتبرع بها، وموت «الرحمـة» أو جعل حد لحياة الميؤوس من علاجه رأفة به...»

عبد الوهاب التازي سعود
(انظر : «مناهج البحث العلمي في الإسلام»،
درس ديني ألقاه في حضرة صاحب الجلالة نصره الله، ضمن
الدروس الحسنية الرمضانية، 7 رمضان 1416هـ/28 يناير 1996).

عبد الوهاب التازي
سعود رجل له مكانته السامقة



أحمد ولد الحسن
خبير بمنظمة الإيسيسكو ـ الرباط

شكرا سيدي الرئيس،

فعلا، لقد أنابني الدكتور المختار ولد باه في أن ألقي باسمه كلمة كان على إلقائها في هذا الجمع حريصا لولا أن شغلا طارئا استدعاه لحضور اجتماعات مجمع اللغة العربية في القاهرة. وبما أنه أنابني فأنا أتناول الكلمة في هذا الجمع نيابة عنه. وقد اختصر الكلام كعادته اختصارا فترك الفائض من الوقت استغله لأقول كلمة.

استسمحكم في أن آخذ من وقتكم قليلا.

أود، في البداية، أن أتوجه بالشكر الخالص للسيدة الفاضلة الأستاذة فاطمة الجامعي الحبابي على دعوتها المباركة لي لحضور هذا الحفل الذي يعتبر إحياء وتقليدا لسنة حميدة سنها فقيدنا الغالي عزيز الحبابي.

فكرت، منذ قليل، في أن هذا الجمع الذي نجتمع فيه هذا اليوم، تلتقي فيه عن عمد أو عن غير عمد ثلاث مواضيع أشار إليها الحديث النبوي الشريف، لأن النبيﷺ يقول : "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، علم بثه في صدور الرجال، وولد صالح يدعو له بالخير، وصدقة جارية".

وها نحن اليوم في علم مستمر بفضل سنة سنها الأستاذ الحبابي، وكلنا، إن شاء الله، له أبناء بارون ندعو له بالخير، والصدقة الجارية جارية علينا اليوم.

أود كذلك أن أعبر عن اعتزازي لحضور حفل مخصص لجامعة القرويين، لافقط لما لهذه الجامعة من دور مشهود به معروف في حضن العلم والثقافة الإسلاميين في المغرب، بل كذلك، وبصفة خاصة، لما لهذه الجامعة من دور في نشر العلم والثقافة الإسلاميين خارج المغرب.

وقد كان لنا في موريطانيا وفي غرب إفريقيا حوض كبير من حياض القرويين، وكان لعلمائها وأعلامها ومؤسساتها دور كبير في نشر الثقافة الإسلامية وتوظيفها وتقوية روابط الأخوة والألفة والوحدة بين المسلمين في هذه المنطقة. وأود أن تتاح فرصة قادمة، إن شاء الله، لأن أتحدث بشيء من التفصيل عن دور القرويين وعلاقتها ببلادي في أصقاع الصحراء.

أود كذلك في هذا النصيب من الوقت الذي اختطفته اختطافا أن أشير إلى سروري واعتزازي لحضور حفل يقام تكريما لرجل له مكانته السامقة في مجال العلم والعمل والإصلاح الفكري والديني والدعوة إلى التقدم والنمو الأصيل الحديث عن بصر وبصيرة هو الأستاذ الدكتور عبد الوهاب التازي سعود.

إذن، سأتكلم الآن باسم الدكتور المختار ولد باه، أقرأ لكم كلمته بالحرف يقول:



جامعة القرويين كوليج المغرب



محمد المختار ولد باه

أستاذ جامعي وباحث - الرباط

لقد كنت أتمنى أن أكون حاضرا معكم في هذا الجمع المبارك الذي ينظم في بيت آل الحبابي الكرام، احتفاءا بصديقنا العزيز الأستاذ الفاضل والعالم العامل الدكتور عبد الوهاب التازي سعود الذي يأخذ اليوم بيمينه مسؤولية القرويين التاريخية. لكنني آسف كل الأسف لأن تعهدات سابقة وملزمة قد حالت دون وجودي شخصيا معكم. وأود أن تعتبروني معكم قلبا وروحا.

ولقد تعودنا في هذا البيت على ما سنه المرحوم الفقيد العزيز محمد عزيز الحبابي، وها نحن نرى اليوم أن عقيلته الأخت الفاضلة، وابنه البار عادل يشيدان نفس التراث في تنظيم ندوات الاحتفاء والإفادة والتبليغ، فأرجو أن تتقبلوا عذري، كما آمل أيضا، أن تسامحوني في خطأين اثنين، أحدهما أنني قد سبق لساني في حديث هاتفي مع الأستاذة فاطمة الحبابي، إذ قلت إن القرويين هي كوليج المغرب، وقررت الأخت أن يكون هذا عنوانا لحديثي في هذا الجمع المبارك، وعندما وضعت السماعة، فكرت أن المقارنة بين القرويين وكوليج دوفرانس التي كانت في ذهني إذاك هي من باب قياس مع فارق، كما يقول الأصوليون.

فليس للمؤسسة البارزية ما للقرويين من عراقة وقيم، وإن كانت تجمعهما الشهرة والسمعة وعلوم مواد التدريس وبثها للعموم. وإذا كان لكوليج دوفرانس أساتذة معروفون مثل ويشلي وبرغسون وبول فاليري، فإن هؤلاء لم ينالوا ماكان لأساتذة القرويين من موسوعية وإنتاجية وسعة اطلاع. كما أن أهداف الدراسة بين المؤسستين تختلف في طبيعتها اختلافا كبيرا، فليس الترف البلاغي في الفكر الغربي يداني التعمق في علوم الشريعة الإلـهية وما يتعلق بها من آليات وما تضطلع به من مهام.

الخطأ الثاني الذي ارتكبته هو أنني أعطيت وعدا لتقديم حديث في صفحة ونصف عن القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي، وقديما قال الشاعر الشنكيطي :

والوعد يقوى المخلفون بحمله   ويهاب عقدة حمله من ينجز

وكل من يعد بالحديث عن القرويين في صفحة ونصف فإنه لا ينجز ما وعد، كما لا يمكن أن يقوى أحد على الحديث عن هذه المؤسسة في صفحة ونصف. فلاشك أن الأفكار والأعلام سوف تزدحم وتجعل السلامة للصمت. أيمكن إلى هذا الحد التحدث عن مؤسسة جمعت بين فضاء الماضي وبشائر المستقبل، فكانت مركز دائرة علم في مدينة فاس التي آثرها رب المشرقين والمغربين بآلاء كثيرة. فقد كانت فاس مهد العلم والفكر والفن ودرر المعارف وجواهر المعاني ؛ ففيها أطلق إدريس الأزهر دعاءه الذي مازال يتردد إلى اليوم في الآذان، وباركها الصلحاء، ودفنت فيها جثة ابن عربي وأحرق بها لسان الدين بن الخطيب. . .

إن مؤسسة كهاته التي كانت مكرمة من مكرمات المرأة المغربية عرفت مجموعة مختلفة من أشهر أعلام الإسلام، وأعطت نفائس من أجود قمم العلم الإسلامي نذكر بعضا منها عفوا دون انتقاء أو ترتيب. فكيف يمكن الحديث في صفحة ونصف عن **سلوة الأنفاس** لمحمد بن جعفر الكتاني وعن **البدور الضاوية في محاسن الزاوية الدلائية** لسليمان الحوات وما رق من **حواشي** البناني أو ما ذكره أبو حامد الفاسي في **مرآة المحاسن**، أو ما أبدعه المهدي الفاسي من **إبداع الأسماء**. إنها نجوم طوالع بينت أن هذه المؤسسة كانت ملتقى روافد الحضارة الإسلامية ومنها تفجرت ينابيع العبقرية المغربية.

هكـذا ترون الخطأ الـذي يجعل الحديث لا يمكن أن يختصر في هذا المجـال، لأ
ذلك سوف يؤدي إلى قصور وتقصير واختزال.

وإننا موقنون أن رسـالة القرويين سوف تستمر في عهد الحسـن الثاني الزاهر، على
يد مسؤوليها الأبرار، فقد أعيدت كراسي هذا الجامع، وانتشرت كلياتها بالمدن المغربية مم
يبشر أن دورها سوف ينمو ويستمر. وإذا كانت المعاهد والجامعات العصرية تهتم بإعطا
النشء المهـارة والخبرة التي هي من ملك الإنسـان نفسـه، فإن جـامعة القـرويين أعطت
بالإضـافة إلى ذلك الـوسائل التي تعمل على تقويم سلـوكه وحسن تصرفـه في ما يملك
حتى تنتشر الفضائل عن طريقها بعدوى الاستقامة والالتزام.

وفي الختام أرجو قبول المعذرة وتجديد الشكر للأستـاذة الفاضلة والتنويه بما تقوم ب
من نضـال وما تتحلى به مـن وفاء، وتجديد التهنئـة والتبريك لأستـاذنا الجليل وفقـه الل
وسدد خطاه.



«من أنجع الوسائل لرفع التحديات التي يواجهها الإنسان العربي المسلم العمل على إيجاد ثقافة جديدة، وذلك بتجديد طرقنا في الإبداع والتأليف، وبالقيام بترجمة الأعمال الإنسانية الخالدة الكبرى إلى لغتنا العربية.

القضايا الملحة الآن متعددة متنوعة، أولها تصحيح صورتنا الدينية والحضارية لدى الآخرين ليزول حذرهم وخوفهم منا : فلا ديننا دين عسر، ولا معتقداتنا معتقدات إرهاب. إننا شعب ذو ثقافة عالية وحضارة ضاربة في التاريخ وإبداع ووجود مشرق، وهذا ما يجب أن نُطْلِعُ عليه الآخرين ليعرفوه ويسلموا به.

ولكي تخرج الثقافة العربية من المحلية إلى العالمية ومن «المنغلق إلى المنفتح» اقتباسا من عنوان كتاب لصديقنا المرحوم محمد عزيز الحبابي، يجب علينا أن نكون على علم بأدوات الترويج العصرية من علوم الاتصال والإعلاميات، وأن نشغل ونستغل كل الوسائل والطرق الكفيلة بالتعريف بنا وبتاريخنا وحضارتنا على أحسن وجه وأوسعه وأكمله».

عبد الوهاب التازي سعود

(انظر « المغرب وتحديات آخر القرن : التحديات الدينية والثقافية»،

عرض ألقاه في ذكرى يوم قدماء ثانوية مولاي ادريس بفاس، 23 شتنبر 1995)

طوقتم عنقي بجميل عرفانكم وخالص تقديركم

عبد الوهاب التازي سعود

المحتفى به

السادة الأفاضل،

السيدات الفاضلات.

إن المغرب، وهو ينفض عنه اليوم غبار مخلفات الغفوة ويتطلع إلى مواصلة دوره الحضاري وفق ما يتطلبه العصر، مع المحافظة على أصالته ومقوماته المميزة لشخصيته، ليجد نفسه في حاجة ملحة إلى التوجيه الصحيح وبعث مؤسساته الروحية والفكرية التي تمثل منارات الإشعاع الديني والعلمي والوطني.



الأستاذ العميد عبد الوهاب التازي سعود يلقي كلمة اختتام الندوة التكريمية

وفي طليعة هـذه المؤسسات جـامعة القـرويين التي كونت خـلال تاريخها الطويل هوية المغرب لما اطلعت به من مهمات الدعوة والتنوير والتوجيه والإرشاد؛ فكان إشعاعها الفكـري يغطي المجتمع المغـربي كلـه ويغمـره بنـور الـدين والعلم والعـرفـان والثقـافـة الإسلامية الحقة .

لقد كانت جامعة القرويين منار العلم والعرفان في شتى ميادين المعرفة، كما ظلت حصنا حصينـا للعلوم الإسلاميـة واللغوية والإنسـانية تخرجت منها أجيـال من الباحثين والعلماء الـذين أثروا الثقـافة الإسـلامية والعـربية الإسـلامية في مختلف حقـولها المعرفيـة بإنتاجهم الفكري وعطائهم العلمي .

وبفضل جامعة القرويين انتشرت العلوم والمعارف في المغرب، وتحولت مدينة فاس إلى دار علم حقيقية ومدرسة للمعارف والفنون، بمساجـدها ومدارسها وزواياها، فكانت القلب النابض لهذه الأمـة، تجسد من خـلال حلقاتها العلمية الثقـافة الأصيلـة والنشاط العلمي الذي كان يسري مداه في جميع أطراف المغرب فينعش البلاد والعباد .

كما أن جامعـة القرويين لم تكن غائبـة عن معترك التحرير وطـرد المستعمر المغير، والإسهـام الفاعل في إذكـاء روح الجهاد والاستشهـاد، بـالرغـم من الحصـار الذي كـان مفـروضا عليهـا؛ فكانت بـذلك جبهـة قويـة تكسرت على صخورهـا أمواج التغـريب ومحاولات مسخ الشخصية الإسلامية العربية المغربية وتشويهها.

ويكفي أن نعرف أن رواد القيادات الـوطنية ورموزها ممن نعتز ونفـاخر بهم تربى أكثـرهـم في أحضـان هذه الجامعـة التي تعلمـوا منهـا حب الوطـن والتضحية في سبيلـه بالنفس والمال.

وإننا لا ننسى بجـانب هذا كله خصوصيـة جامعة القرويين الأصيلـة والمتمثلة في خطـابها العلمي المزدوج : الأكاديمي والشعبي الجماهيري، فقـد كـانت بالنهـار جامعـة علمية أكاديمية يلتقي في أبهائهـا وأروقتها ويحيط بمنابرها طلاب العلم المتفـرغون الذين نذروا أنفسهم للطلب، فكان منهم القضاة والخطباء والأئمة والمعلمون والأدباء والمفكرون والدعـاة والوزراء والسفـراء وأهل الحل والعقد في الـدولة؛ فإذا بزغ الفجـر أو جن الليل كانت تتحول إلى جامعة شعبية تنظم الدروس للعامة وسواد الأمة ، وكانت هذه الدروس الشعبية تلقى إقبالا منقطع النظير يضرب برواده المثل في التحصيل والدرس.

ومن تم كان من اللازم عند الحديث عن الثقافة المغربية بل الإسلامية عامة أن تذكر جامعة القرويين التي تهيأت لها نخبة معروفة من الأساتذة، وأحيطت بكل رعاية واحترام وإجلال لتقوم بعملها ورسالتها على الوجه الأكمل.

وتأبى جامعة القرويين اليوم إلا أن يكون لها نفس الحضور الذي كان لها في الماضي، وذلك بمساهمتها في الحفاظ على التراث العربي الإسلامي الأصيل، مع التفتح على الثقافات الأجنبية الحية، حتى يكون المثقف المغربي المسلم متشبعا بثقافته الأصيلة، ومتمكنا من الثقافة السائدة في عصره.

وإن جامعة القرويين وهي تجهد نفسها لتتابع رسالتها وتسهم الإسهام الفعال في تحقيق نهضة المجتمع الإسلامي، لتعيش دون أن تتخلى عن أصالتها وضوابطها الثابتة أو تنحرف عن مقوماتها الدينية والثقافية التي طبعت عملها عبر حياتها المديدة - التي تناهز الإثني عشر قرنا - وذلك بفضل العناية الفائقة التي حظيت بها من لدن الشعب المغربي المسلم وملوكه عامة، ثم من لدن ملوك الدولة العلوية الشريفة وعلى رأسهم جلالة المغفور له محمد الخامس، ووارث سره جلالة الملك الحسن الثاني.



الأستاذ العميد عبد الوهاب التازي سعود، محاطا بعلماء من الوفود المشاركة في المؤتمر الإسلامي الذي انعقد بطهران فبراير 1994، من أفغانستان والبوسنة والهرسك، وفي يمين الصورة الأستاذان الجليلان عباس الجراري ومحمد يسف من الوفد المغربي

إن جامعـــة القـرويين لم تقتصر على تعليم وتلقين العلـوم الدينيـة وحـدهـا -وإن كانت هي الأسـاس والغاية والمقصد- فقـد ازدهرت في أبهائها وأروقتها علـوم أخرى هي في المنظور الإسـلامي في حكم العلـوم الشرعيـة، إن فرط فيها المسلمـون أو أضاعـوها أثمـوا جميعـا، مثل علـوم الطب والهندســة والفلـك والـريـاضيـات والمنطـق والتـاريخ والجغرافية، وكل الفنون التي تطور المجتمع وتهذب الإحساس وترتقي بالشعور والوجـدان.

وتجاهد جامعة القرويين اليوم لتنـدمج من جديد بقوة في المحيط الحضاري المغربي والعالمي، فهي تعيـد النظر بـاستمرار في برامجهـا ومقرراتها، لتخـرج علماء ذوي تكوين إسـلامي متين أصيل يعـرفـون عالمهـم الـذي يعيشـون فيـه، ولهم القـدرة الكبرى على معايشته والتأثير فيه بالتحاور مع نظمه وتطوراته وتقلباته وتغيراته، تحاورا إيجابيا بناء يفتح أمام طلبتها وعلمائهــا السبـل الحضارية والعلميـة الحديثــة؛ فيعملـون وهــم في تناسق مع أصالتهم، وينتجـون وهـم في تناغـم مع ثوابــت ثقافتهم العربية الإسلامية، وإنهم وهم يدرسـون التفسير والحديث والفقــه والأصول والمقاصـد واللغــات الحيــــة والعلوم القانونيــــة والإنسـانيـة، قـــادرون على اقتــحام المجتمــعــات الحديثــة، يحاورونهــا للتعريـف بحضـارتنا وثقافتنــــا وفكـرنا مباشـرة، ولئـلا يظـل ذلك موكـولا إلى غيرنا، يحـرف ويشـوه ما يريد تحريفــه وتشويهـه، ويسكت كيـدا عما يشرف الصورة ويحسنها.

وهي تـرصد كل الـوسائل المتـوفرة لـديها لمسـايرة مختلف التطـورات التي تعرفهـا الجامعات الحديثـة في ميادين التدريس والتكوين والبحث والتعـاون، فتسهر على تكثيف الأنشطة العلمية والثقـافية حتى يستفيد منها الأسـاتذة والطلبة وكل المواطنين، كما تسعى إلى توسيع مجال التعاون العلمي مع كل الجامعات ومختلف القطاعات لتعزيز إدماجها في محيطهــا الإقتصـادي والإجتماعي، وانفتــاحهـا على المجتمع الخارجي، كما تسهــر على استغـــلال وسائــل المعلوميـــات الحديثـــة لتطـويـر أسـاليب التسيير الإداري والتربـوي والبحث العلمي.

وهي تشارك اليـوم مشاركة فعـالة في المشروع الإصلاحي الجامعي الجديـد، إدراكا منها بضرورة مسايـرة مختلف التطورات التي تعرفها بلادنـا، والانفتاح الكبير على مناهج التدريس والتكويـن التربوي والبحث العلمي الذي أصبحت الجامعات المغـربية تهتم به اهتمامـا بالغـا؛ فهي تبذل في إطـار الإصلاح الجديـد مجهودات مستمـرة بهدف تطويـر الدراسة بكل المؤسسات التابعة لها، وتعمل على إحـداث مسالك جديدة، وإدخال مواد

علميـة وثقافيـة عامـة بهدف تمتين تكويـن طلابها وتنـويع اهتماماتهم، مع الاعتنـاء دائما باللغات الأجنبية للانفتاح على العالم الخارجي والثقافات المعاصرة .

هـذه هي جامعـة القرويين التي تحدت كل أشكـال الغزو وقـاومت الانحرافـات الفكريـة بكل الوسائل العلمية، وصـاغت قيادات علمية ووطنية تجاوزت شهـرتها حدود الزمان والمكان، وقدمت عطاء جليلا هـو قلادة في عنق هذه الأمة وتاج فوق رأسها يمثل تراثـا خالـدا، وأمانـة في عنقها، فإن نهضنـا به وحملناه وحـافظنا عليـه وأضفنا إليـه كنا جديرين بالانتماء إلى هذه الحضارة وإلى قيمها.

إن الاحتفـال بجـامعة القـرويين اليـوم في منـزل عـائلة المرحـوم الحبـابي وبفضل صاحبته السيـدة فاطمة الجامعي أكـرمها الله وأثابها على هـذه التظاهرة الثقافيـة الوطنية الكبيرة، ماهو إلا اعتراف لها بـالفضل والإشعاع الوطني وبالدور الكبير الـذي قامت به خلال التاريخ، وبما ينتظرها في عالم اليوم لبناء المغرب الجديد.

إن لساني لعاجز، ولغتي محبوسة، وفكري قاصر عن أن أفي جميع الذين تدخلوا في هذه النـدوة حقهم من الشكر والعرفان على مـا قالوه في حقي وما كـرموني به وطوقـوا به عنقي من جميل عرفانهم وخالص تقديرهـم.

واسمحوا لي، ونحـن في منزل آل الحبابي، أن أشـارك في تكريمهم بـدوري، فهم أهل لكل خير وفضل.

لقد كـان اتصالي بـالمرحوم محمـد عزيز الحبـابي منذ بـداية الأربعينـات في المدرسة العربيـة الإبتدائيـة بسيدي بورمضـان بفاس، التي كـان يديرهـا آنذاك المرحـوم إبراهيم الكتاني، وكنا ونحـن صغار نراه يزور المديـر ويقضي معه أوقاتا في مكتبـه تكون لهما فيها مطالعات ومراجعات طويلة. ثم بعد رجوعه من فرنسا قبل الإستقلال بقليل اتصلت به وصاحبته إلى أن تسلم عمادة كليـة الآداب بفاس سنة 1962؛ فـأصر على أن ألتحـق به وأن أكون نـائبه بها، وأن أحضر مجالس الجامعـة وأن أشارك بجـانبه في بنـائها وفي وضع برامجهـا وإقرار التقـاليد الجامعيـة بها، وبعد خـروجه منهـا وغيابـه عن المغـرب عاد في السبعينات ليتم بيننـا الاتصال من جديد وهو يتـابع عمله الثقافي الجبار حتـى وافته المنية رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.



الأستاذ العميد عبد الوهاب التازي سعود في حديث مع صديقه
المفكر الرائد محمد عزيز الحبابي

وبالنسبة لحرمه المجاهدة في ميدان الثقافة فقد عرفناها طالبة ثم شريكة حياة الحبابي، وهاهي اليوم تسير على نهجه في فتح أبواب منزلها لإقامة ندوات علمية في موضوعات علمية ووطنية كبرى، وتكريم طائفة من رجال الأمة اعترافا بفضلهم وتخليدا لما بذلوه من جهد.

إنها السيدة التي تنتظم في عقد هؤلاء النساء المثقفات العالمات اللائي يحدثنا التاريخ عنهن وهن ينشئن المنتديات العلمية والأدبية للمشاركة في الحياة العلمية والأدبية والتأثير فيها بكيفية فعالة.

وعملها اليوم من هذا القبيل، فهي تحيي ذكرى جامعة القرويين الخالدة، وهي الذكرى التي تجتمعون للمشاركة فيها،

فشكرا لها على جهودها المبرورة التي لا تعرف التوقف، وتحية لها على هذه الالتفاتة الكريمة للجامعة وللقائم على شؤونها اليوم الذي مهما قال فيها فإنه يعجز عن أن يوفيها حقها من الامتنان والعرفان بالجميل لما قامت به نحوه.

أيها السادة، ستتابع جامعة القرويين مسيرتها العلمية والوطنية الخالدة، وسيبقى بيت آل الحبابي عامرا - إن شاء الله - بسيدته التي تحتفل بشؤون العلم والثقافة بمساندة ابنها الشاب البار عادل، الذي يسير لا محالة على نهج أبيه الكبير وأمه العالمة المثقفة.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

شهادات ودراسات
تحية تكريم وتقدير
لعبد الوهاب التازي سعود

ندوة في منزل المفكر الراحل د. الحبابي:

جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي



■ احتضن «بيت آل محمد عزيز الحبابي» ندوة حول موضوع: «جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي» تكريما لعميدها الدكتور عبد الوهاب التازي سعود. وذلك يوم السبت 16 مارس 1996 م في الساعة الثالثة والنصف بعد الزوال بمشاركة عدد من الأساتذة بالمحاور التالية:

الجلسة الأولى:

1- إحياء كراسي العلم بجامع القرويين: قصيدة شعرية - للحاج أحمد ابن شقرون (عضو أكاديمية المملكة المغربية، الأمين العام لرابطة علماء المغرب).

2) جامعة القرويين ورسالتها التربوية بين الأصالة والتحديث - للأستاذ امل جلال (عميد جامعة سيدي محمد بن عبد الله - فاس)

3) جامعة القرويين رسالة حضارية. للأستاذ محمد الكتاني (عضو أكاديمية المملكة المغربية - قيدوم كلية الآداب - تطوان).

4) مستقبل جامعة القرويين - للأستاذ حسن السايح (عالم وباحث).

5) جامعة القرويين وإشكالية الإصلاح التربوي - ... يسف (قيدوم كلية الشريفة - فاس). ... قديما وحديثا

عزيز الحبابي. ثم أضاف أنه عاش القرويين كطالب، وهاهو يعيشها في الوزارة كمسؤول عنها. وفي نهاية حديثه تحدث عن مكانة جامعة القرويين في سياق ثلاث تجارب جامعية عربية: الأزهر والزيتونة والقرويين، فاكد أنه هذه الجامعة الأخيرة تتميز بمنهاجها وتصوراتها البداغوجية بفضل أساتذة أجلاء ذكر منهم الأستاذ والزعيم الوطني علال الفاسي والأديب والمفكر المغربي عبد الله كنون.

أما الأستاذ محمد الكتاني، فقد اختار لموضوعه عنوان: «جامعة القرويين رسالة حضارية» وأشار الى التداخل بين الثقافة والحضارة على اعتبار أن كل حضارة هي حاملة قيم ثقافية، فعقيدتها في الوجود تتلخص في ثقافتها. وهذا الجانب يتجلى في الحضارة العربية، أي علاقة الحضارة بالثقافة وأضاف أن المؤسسة التعليمية في المغرب تظهر ... الارتباط المجسد في جامعة القرويين التي كا... علماؤها يضطلعون بدور ثقافي وعلمي. ذلك ... مقومات الحضارة المغربية هي مقومات الحض... الاسلامية ولذلك كان من الطبيعي أن تقوم جا... القرويين بدور تلقيني وتربوي إسلامي أصيل... وتدخل بعد ذلك الأستاذ محمد يسف بموا... و اشكالية الإصلاح التر...

الأستاذ عبد الوهاب التازي سعود الباحث وجهوده في تطوير الدراسة بكلية اللغة العربية



حسن جلاب
قيدوم كلية اللغة العربية - مراكش*

يسعدني ويشرفني أن أشارك في هذه الجلسة العلمية الممتعة التي خصصها بيت آل محمد عزيز الحبابي - رحمه الله - لتكريم الأستاذ العلامة الباحث الدكتور عبد الوهاب التازي سعود عميد جامعة القرويين حاليا، وإنها مبادرة نشكرها للأسرة الكريمة التي عودتنا منذ زمن مثل هذه المبادرات في حق علماء أعلام، ومفكرين أجلاء.

لقد تعرفت على أستاذنا عبد الوهاب في أواخر الستينات عندما كنت طالبا بكلية الآداب بفاس، وأشهد أننا عرفنا علما جديدا اسمه "فقه اللغة العربية" بواسطته. فقد كانت دروسه تجمع بين العمق في التناول، والتنويع في العرض، وكان يأسرنا بفصاحته، وجمال أسلوبه وطريقة عرضه للموضوعات المقررة، فكانت حصة فقه اللغة من أمتع الحصص الدراسية في الإجازة.

وللأستاذ عبد الوهاب التازي أبحاث في مجالات علمية مختلفة : الفكر الإسلامي، الحضارة المغربية، الدراسات الإسلامية، إلا أن تخصصه وعطاءه الكبير برز

---

*) **كلية اللغة العربية بمراكش :**
وهي امتداد تاريخي لكلية ابن يوسف بمراكش، وبعد الاصلاحات التي عرفتها مختلف الجامعات المغربية في الميدان التربوي والإداري، تحول اسمها إلى "كلية اللغة العربية" التي تم تأسيسها بناء على الظهير الشريف بمثابة قانون رقم 1.62.249 الصادر في 12 رمضان 1382 (6 يبراير 1963) وتهتم بالدراسات الإسلامية واللغة العربية وتتوفر على شعبتين هما :
- شعبة اللغة العربية وفقه اللغة.
- شعبة الأدب العربي وتاريخه والنقد الأدبي.

في اللغة العربية وعلومها وفقهها، ونقدم نماذج لذلك من خلال كتابيه عن **أحمد بن فارس**، **وصاعد البغدادي**.

1 - كتاب أحمد بن فارس : حياته وآراؤه في اللغة والنحو

يتناول الكتاب دراسة مفصلة للقرن الرابع : عصر الثقافة الذهبي، جوانبه التاريخية والاجتماعية والعلمية، وازدهار العلوم والآداب والفنون خلاله.

وقد تناول الكاتب حياة ابن فارس وآثاره اللغوية والنحوية وأبرز ما كان له من بلاء حسن في تبسيط اللغة العربية وجمع شواردها ومحاولة الإحاطة بها.

وكان ابن فارس أحد كبار علماء اللغة قديما تظهر أصالته في كون الأقدمين أثنوا عليه وذكروا علمه وفضله وتفوقه.

وحاول المؤلف التركيز على الجوانب التي أهملها الباحثون من قبل وهي دراسة فكرة الأصول عنده والوقوف على حقيقتها والتفريق بينها وبين فكرة الاشتقاق الأكبر التي نادى بها ابن جني ولم يتم التوسع في دراستها.

وكان هدف الأستاذ عبد الوهاب التازي سعود من ذلك التعرف على حقائق اللغة العربية في هذا القرن، لإيمانه الأكيد بأنه إذا ما جدد النظر فيها، وأزيح عنها ما يشوه وجهها ويستر عن أنظار بعض الناس أصالتها وقوتها وعبقريتها فإنها ستكون السلاح النافع الذي سيدخل به العرب معركة التقنيات الحديثة التي لها في كل ساعة جديد، وفي كل يوم وليد.

وقد وفق الباحث في تقديم صورة مشرفة عن ابن فارس بدراسة مفصلة لحياته، وعرض تحليلي لآثاره : **معجم مقاييس اللغة ومكانته بين المعاجم اللغوية**، وكتابه **متخير الألفاظ** ورسائله **اللغوية** الصغيرة. كما وفق في عرض مناقشة مستفيضة لآرائه في اللغة، كأصل اللغة والخط العربي، وخصائص العربية، والقياس

والسماع، والاحتجاج في اللغة، واتساع العربية في التعبير، كما تناول مكانته بين علماء اللغة المنتمين لمدرسة الكوفة.

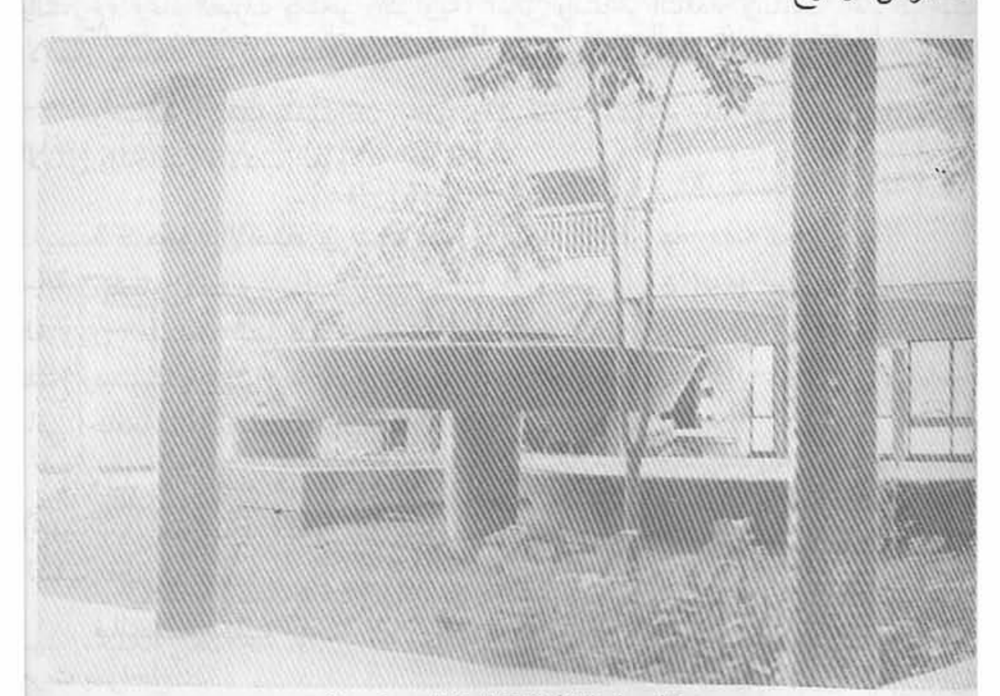
وبذلك يكون الأستاذ عبد الوهاب التازي سعود قد أضاف إضافة جديدة إلى صرح الدراسات اللغوية بالكشف عن شخصية بارزة من شخصيات علوم اللغة العربية: ابن فارس.

2 - صاعد البغدادي وكتاب الفصوص

عالم آخر من علماء القرن الرابع عشر، ونابغة من نوابغ اللغة العربية ينكب الأستاذ عبد الوهاب التازي سعود على دراسة آثاره زمنا يناهز ربع قرن ليخرج لنا دراسة رائدة عنه، وتحقيقا دقيقا لمؤلفه، أعجب اللجنة المناقشة فنوهت به تنويها لا نظير له، وخولته أعلى الدرجات والتقديرات.

وقد تركزت الدراسة على ثلاثة محاور :

- **المحور الأول** : قراءة في المصادر، عرضها عرضا تاريخيا وصنفها تصنيفا نقديا باعتبار أن منها ما يؤرخ لحياة صاعد، ومنها ما تنوعت معلوماته أو تحدث عن غير الفصوص أو أرخ لها.



منظر عام لفناء كلية اللغة العربية بمراكش

- **المحور الثاني** : تفاصيل سيرة صاعد انطلاقا من الهوية والجذور إلى المولد والنشأة، ثم حياته في بغداد ورحلته المصرية ووصوله إلى الأندلس وخروجه إلى عدد من مدنها، وتناول المحور كذلك شيوخ صاعد وتلامذته وجوانب شخصيته ومصنفاته والروايات المختلفة **لفصوصه.**

- **المحور الثالث** : **كتاب الفصوص في الآداب والأخبار**، تناول فيه الباحث الحديث عن الفصوص ومقارنته بكتب الأمالي والمجالس والأدب العام، وما يتميز به من خصوصيات بينها، وكذا تناول بناءه ومصادره وشخصية مؤلفه من خلالها ؛ فقد كان عبارة عن مزيج من الأخبار والطرائف والأشعار والشروح والتفاسير لا يخضع توزيعها لمنهج ثابت، ولكل فص مدخل إسنادي، ومتى يطول ويقصر بحسب الموضوع الذي يتناوله : الآيات والأحاديث والمواعظ والحكم والأخبار والطرائف، والمختارات الشعرية والنثرية، وفصوص تفسير الأشعار وشرح أبيات المعاني، والفصوص اللغوية والعروض والقوافي. . .

وقد تمكن الباحث من الكشف عن شخصية صاعد العالم المفسر والمحدث والشارح، وعالم الصرف والنحو والراوية، الموثق والشاعر الناقد، وبذلك أعاد الباحث الاعتبار لصاعد وما كان يشاع عن مستواه العلمي ومستوى فصوصه ومضامينه.

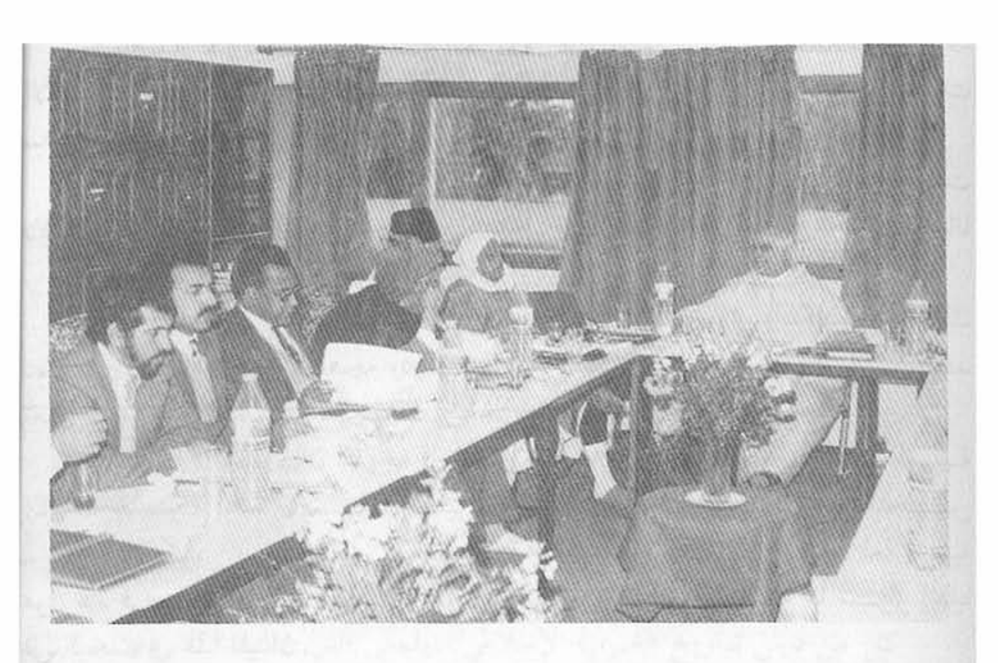
وأضاف إلى هذا تقديم نص محقق دقيق موثق مشروح يعد إضافة مهمة إلى كتب الأمالي والمجالس والأدب العام.

3 - جهود الأستاذ في المجال التربوي

وتشاء الأقدار أن نلتقي من جديد ابتداء من سنة 1991 على صعيد جامعة القرويين العتيدة، التي تدين له بها أدخل عليها من إصلاح، وما أصبحت عليه من تفتح وديناميكية ومواكبة لطرق التسيير والإشراف الحديثة التي لا تختلف في شيء عن باقي الجامعات والكليات المغربية.

وقد بدأ بتنظيم هياكل الجامعة على أسس سليمة : مقرا، وموظفين إداريين، وتجهيزات. . . وكان له الدور الرائد في توجيه الكليات التابعة لجامعة القرويين التوجيه السليم المطلوب.

فبالنسبة لكلية اللغة العربية بمراكش التي أتشرف بإدارتها يمكن القول إنها مرت بمراحل :



العميد عبد الوهاب التازي سعود يترأس إحدى جلسات العمل الإدارية، وعن يمينه العلامة الحاج أحمد ابن شقرون ويتوسط المجموعة الأستاذ القيدوم حسن جلاب وهو يتصفح ملف الأعمال

1 - فالكلية هي امتداد لكلية ابن يوسف العريقة، كانت مكملة لجامعة القرويين، وتعمل مثلها على نشر الثقافة العربية الإسلامية، وكان العلماء والطلبة ينتقلون بين الكليتين للأخذ عن الشيوخ المشاهير واستكمال دراستهم.

2 - وبعدما صدر ظهير 1963 المنظم لجامعة القرويين في صورته الحديثة استمرت كلية اللغة العربية بمراكش في تلقين المعرفة بأغلب الأساتذة والشيوخ الذين كانوا يدرسون في القسم النهائي من ابن يوسف، خاصة وأنها بقيت في قسم من أقسام ثانوية ابن يوسف للتعليم الأصيل مدة، ثم انتقلت بعد ذلك إلى مقر المجلس العلمي بالرميلة، قبل أن تستقر في مقرها الحالي بشارع علال الفاسي.

3 - لقد عرفت كلية اللغة العربية طفرة مهمة بإشراف الأستاذ التازي عليها؛ فبفضل توجيهاته وإرشاداته تمكنا من تجاوز آفاق المهام التربوية العادية التي تكتفي الكلية بالنهوض بها إلى معانقة البحث العلمي :

- بفتح تخصصين في الدراسات العليا، نتج عنهما مناقشة رسائل جامعية.

- بالاهتمام بالندوات العلمية الرصينة التي لها ارتباط بتخصص الكلية، منها ماكانت له صبغة دولية أو وطنية.

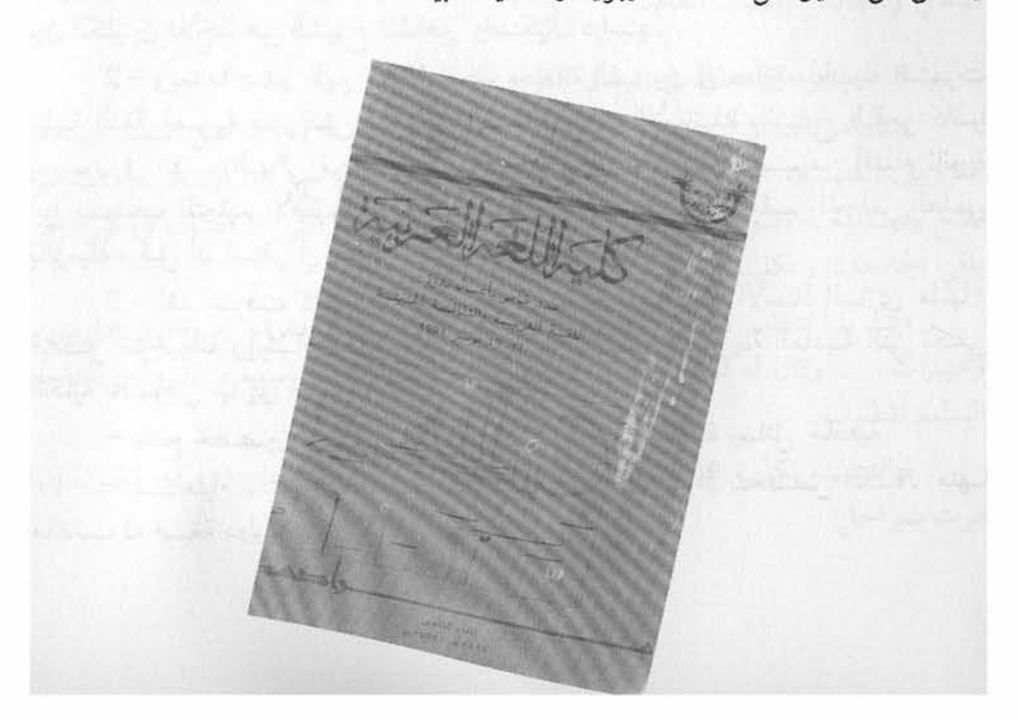
- بإصدار **حوليات كلية اللغة العربية**، مجلة نصف سنوية متخصصة في اللغة والأدب العربيين والدراسات الإسلامية، وقد وصلنا بحول الله إلى ثمانية مطبوعات صدرت انطلاقا من سنة 1991 إلى الآن.

- بتنظيم محاضرات متعددة تنمي معارف الطلبة وتقوي تكوينهم : كالمحاضرات الافتتاحية والشهرية والحلقات الدراسية، يستقبل فيها أساتذة من خارج الكلية وأحيانا من خارج المغرب : من بلاد عربية وأجنبية.

- ولعل أهم ما نفتخر به جميعا من أفضال الأستاذ التازي وابتكاراته هو ذلك التفتح على لغات العصر ومناهجه ودراساته، وفتح الكليات في وجه هذه التيارات لتأخذ وتعطي، مع الحفاظ لها على هويتها العربية الإسلامية وتراثها الحضاري الخالد.

وفي هذا الصدد كان اقتراحه في إطار الإصلاح فتح تخصصات اللغة العربية واللغات الأجنبية الحية (فرنسية، إنجليزية وإسبانية)، ومن المؤكد أن هذا التخصص سيمكن من تكوين طلبة متمكنين من معارفهم اللغوية والإسلامية، ويتقنون لغة أجنبية تخول لهم فرص الدفاع عن الإسلام وتوضيح أركانه ومناهجه وتعاليمه مما سيؤثر إيجابا على البحث في هذا الميدان.

هذه لمحات عن أبحاث أستاذنا الدكتور عبد الوهاب التازي سعود في سبيل تطوير كلية اللغة العربية ومناهجها وفتح أفق مشرق في وجه طلبتها. وهو نفس ما فعله بالنسبة لباقي الكليات التابعة لجامعة القرويين، نرجو له الصحة والعافية وطول العمر ليتمكن من تحقيق كل أهدافه التربوية والعلمية النبيلة.



إشعاع جامعة القرويين
على سوس والصحراء



لحسن العبادي

نائب قيدوم كلية الشريعة - أكادير*

كل من درس تاريخ الغرب الإسلامي سيلمس أثر جامعة القرويين بارزا في الثقافة والحضارة الفكرية على مر العصور ، ذلك لأن هذه الجامعة أسست على تقوى من الله ورضوان، ومن منا لا يتذكر أن مؤسستها كانت تصلي وتصوم وتتضرع إلى الله أن يتقبل عملها، ويجعل هذا الجامع مكانا للعبادة، ومعينا للعلم لا ينضب، ومنارا للدين يستضيء به القاصي والداني الى يوم الدين. وعملها هذا يصدق عليه الحديث النبوي الشريف الذي أخرجه الامام مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له، أو علم بثه في صدور الرجال" .

وقد جمع هذا العمل الذي قامت به أم البنين فاطمة الفهرية كل هذه الجوانب، فهو صدقة جارية وعاملة ومستمرة، وسبب مباشر لبث العلم ونشره في هذه الربوع،

---

*) **كلية الشريعة بأكادير :**

وهي ثاني كلية للشريعة بالمملكة، تم إحداثها بالمرسوم رقم 2.79.382 بتاريخ 23 من رجب 1399 29 يونيو 1979، وتهتم بالدراسات الفقهية والاسلامية و القانونية. وشعبتا التدريس بها هما :

- شعبة تفسير القرآن والسنة النبوية وأصول الفقه.
- شعبة الفقه والتشريع و الفروع المرتبطة بهما.

يشرف على تسيير شؤون هذه الكلية الأستاذ الجليل القيدوم محمد الطاهري الذي نأسف لتعذر حضوره بيننا في هذه الندوة.

ومدرسة قائمة لتربية الأولاد الصالحين. وإذا كان الحديث عن هذه الجامعة طويل الذيل، وبعيد النيل يحتاج إلى تسويد مجلدات لأنه يغطي حقبا من الزمن تمتد أكثر من ألف عام، كما يمتد من حيث المكان الى أقطار عديدة في هذا الغرب الاسلامي، فإن هذه الكلمة القصيرة التي هُيِّئت بمناسبة تكريم عميد هذه الجامعة العلامة الدكتور عبد الوهاب التازي سعود سنقتصر فيها، إن شاء الله تعالى، على بعض الومضات التي أضاءت بها جامعة القرويين على إقليم سوس والصحراء.

فمن خلال الحقب والأجيال المتعاقبة في سوس من العلماء والمدرسين نجدهم دائما يأخذون العلم في فاس ثم يبثونه في بلدانهم من خلال القضاء أو الفتيا أو التدريس أو التوجيه والإرشاد .

من ذلك، على سبيل المثال لا الحصر، العلامة الحسن بن عثمان الجزولي التملي (تـ 933 هـ) تخرج من جامعة القرويين عن العلامة الونشريسي وابن غازي، ثم قفل إلى سوس واشتغل بنشر العلم حتى حصلت له منزلة عظيمة لدى علماء سوس، نجد أثر ذلك في نوازلهم وفتاويهم ومؤلفاتهم وأعرافهم، وهو أستاذ الأمراء ملوك السعديين الأوائل الذين أسسوا تلك الدولة المجاهدة، فقد كانوا يستشيرونه ولا يتجاوزون رأيه في المعضلات من الأمور.

ومن خلال نفس الفترة نجد عالما آخر تخرج من جامعة القرويين ثم رجع الى بلده فنشر العلم، خاصة الفقه في جزولة وكل ربوع سوس، وصار مفتي تلك الجهة حتى لقب بعمرو المفتي، وخلد في المجتمع السوسي فتاوي وأعرافا دقيقة لا زالت معروفة بين الناس في تلك الجهات. ولما لم يجد الجو الملائم في سوس رجع إلى فاس وسكنها مشتغلا بالتدريس حتى توفي بها سنة 969هـ.

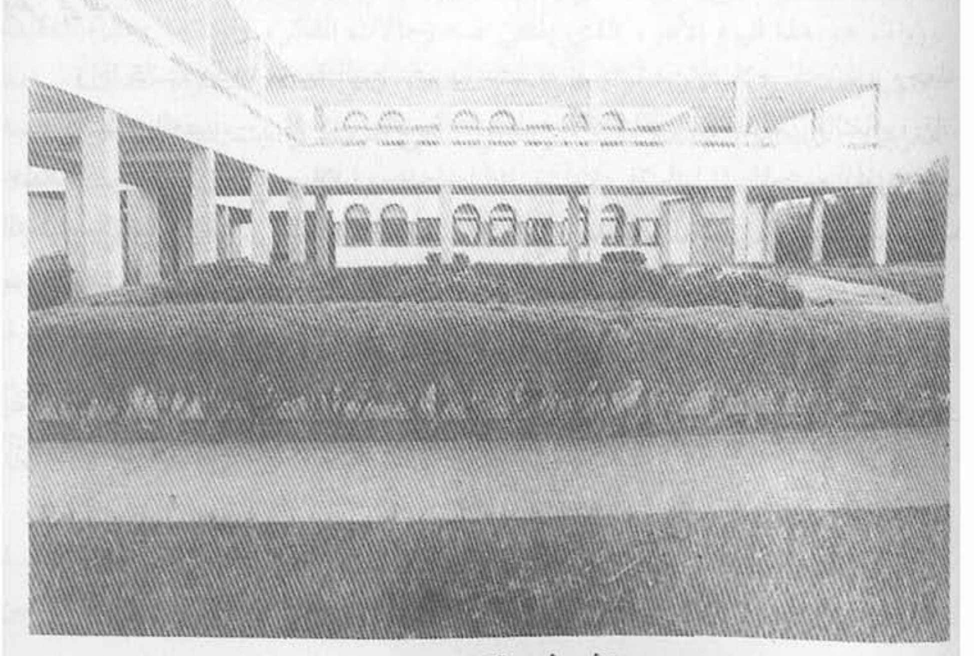
أما خلال القرن الحادي عشر فيكفي للدلالة على إشعاع جامعة القرويين على سوس والجنوب كله العالم الكبير و المفتي المشهور النظار قاضي القضاة صاحب النوازل المشهورة أبو مهدي عيسى السكتاني (تـ 1062 هـ) الذي تخرج من جامعة القرويين وحمل راية العلم والعرفان في كل جهات الجنوب.

كما نجد منارة أخرى أضاءت على الجنوب كله خلال القرن الثاني عشر وهو العلامة أحمد أحزى المشهور بالمشتوكي (تـ 1127 هـ)، تخرج من جامعة القرويين بعد أن أخذ العلم في كل من زاوية تامكروت والزاوية الدلائية . وقد عكف على نشر العلم في مناطق عدة منها مركز "تغرى" بجنوب مالي بقلب الصحراء الكبرى، وهناك ألف فهرسته المشهورة **قرى العجلان على إجازة الأحبة والاخوان**، وفيها لائحة كبيرة ممن أخذوا عنه من علماء إفريقيا والصحراء الكبرى بصفة خاصة.

وممن حملوا راية العلم في سوس خلال القرن الثالث عشر الهجري العلامة السيد ابراهيم بن محمد الظريفي الصوابي (تـ 1214 هـ)، ربض في جامعة القروين أكثر من عشرين سنة حتى صار محققا وباحثا كبيرا خاصة في الفقهيات، ولما رجع إلى سوس ملأ جبال جزولة بالفتاوي والنوازل حتى قال فيه العلامة أبوزيد عبد الرحمان الجشتمي في نظمه المعروف :

اجابي بمثل ذا الظري نجل محمد بلا تحريف

وهو أب سالم التاكوشتي وهو الذي في سوسنا نستفتي



صورة أحد أجنحة كلية الشريعة بأكادير

كما نجد من خلال القرن الرابع عشر العلامة أحمد بن ابراهيم الساحلي، سماه المختار السوسي في **معسوله** " يا قوتة علماء سوس " ، تخرج من جامعة القرويين، وكان ماهرا في العربية والفقه والفرائض والحساب. كان يحضر مجالس الملك مولاي الحسن الأول حتى توفي في مضاربه أثناء زيارته الثانية لسوس فجأة سنة 1303 هـ. ولو أردنا تتبع الأسماء اللامعة فقط ممن تخرجوا من هذه الجامعة لطال بنا الكلام، فممن أدركناهم الفقيه العلامة الحاج أحمد بن الحاج علي الكشطي (تـ 1376 هـ)، والعلامة محمد المختار السوسي (تـ 1383 هـ) صاحب المعسول وغيره من المؤلفات المفيدة. وقاضي تزنيت المشهور، السيد أحمد اعمو المتوفى أخيرا، وغيرهم كثير.

وهكذا ظلت جامعة القرويين معينا للعلم لا ينضب، ومنارا يستضيء به القريب والبعيد من أبناء الغرب الاسلامي. ولست بحاجة الى القول بأن هذه الكليات التي تكون الآن جامعة القرويين، والمنتشرة في كافة ربوع المغرب من تطوان إلى أكادير، ومن فاس إلى مراكش ، لم تكن هكذا صدفة، بل كان ذلك لتحقيق أماني وآمال أبناء تلك الجهات التي ترغب في أن يصل إليها شعاع جامعة القرويين بدون انقطاع وعن قرب.

وإذا كانت هذه الجامعة اليوم تهتم بما تهتم به زميلاتها من إصلاح للتعليم، وجعله مسايرا لتطور العصر، وربط كل جامعة بمحيطها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، فإن جامعة القرويين لم تنقطع صلاتها بمحيطها منذ نشأتها، فقنواتها الى المجتمع المغربي هي التعليم والقضاء والفتوى والتوجيه الديني والكراسي العلمية والمجالس العلمية وغير ذلك من القنوات التي لم تنقطع أبدا.

ومع ذلك فإن إصلاح برامجها ومناهجها، وفتح آفاق المستقبل في وجه خريجيها يظل الشغل الشاغل لعميدها المحتفى به في هذه المناسبة، لجعل هذه الجامعة تخطو وترنو إلى غد أفضل.

والله من وراء القصد.

الأستاذ العميد
عبد الوهاب التازي سعود
رجل مخلص لبلاده، وصلب في مواقفه



محمد أبو الفضل

نائب قيدوم كلية الشريعة - فاس

تنفرد بعض الأيام والشهور بحظ يكسبها مهابة وجلالا، ويخلع عليها عزا ومجدا، ويجعلها دائما موضع الحفاوة والتكريم. ولعل أكثر هذه الأيام روعة وبهاء، وإشراقا ورواء، هو هذا اليوم الأغر، الذي يلتقي فيه رجالات الفكر، وقاداته، وعلماء العقيدة، وفقهاء الشريعة، والأدباء والشعراء، يستحضرون في هذه الندوة، ندوة "جامعة القرويين، وآفاق إشعاعها الديني والثقافي" التي نظمت في بيت آل محمد عزيز الحبابي تكريما لرائد الوطنية، وأديب الأدباء، الأستاذ المقتدر، عميد جامعة القرويين، العلامة الدكتور عبد الوهاب التازي سعود، الذي كلما رأيناه يتكلم في نادي أو يلقي محاضرة أو يتدخل من أجل التعقيب على كلام مفكر، إلا وذكرنا بالأوصاف التي كان الرعيل الأول من خريجي جامعة القرويين يتصف بها. ولعل أبرز هذه الصفات التي قلما يتصف بها اليوم عالم، أو مفكر، أو فقيه، أو شاعر، أو أديب، لكونها خلقا عسيرا على النفوس البشرية، ولأن للشياطين مداخل كثيرة يصلون منها إلى إفساد الضمائر، وزجها في مهاوي الرياء والنفاق ألا وهي الإخلاص.

فالإخلاص هو العروة الوثقى، والصفة المثلى، والخلق الكريم، فهو الوسيلة لصحة الإيمان والأعمال، والسر العظيم الذي استودعه الله قلوب أوليائه الصالحين،

وعباده المقربين، أولئك الذين تغلبوا على أنفسهم الأمارة، وملكوا زمام شهواتهم الجامحة، فلم يكن لها عليهم من سلطان.

وأزمة العصر الحاضر، أزمة الضمائر الحية، والأخلاق العالية. فالأمة الإسلامية بعلمائها وفقهائها تشكو هذا النقص الكبير، وتئن من قلته وندرته، وتبحث عنه في أماكن متعددة فلا تكاد تجده.

والأستاذ العميد يعلم بأن الإخلاص تصفية الأفعال والنوايا من الشوائب والمكدرات، ولذلك اتخذه شعارا له في حياته، فإذا تكلم تدفقت الأفكار من مخيلته تدفق المياه من العيون والينابيع، وإذا ناقش أو حاور كان ذلك الحوار نابعا من القلب، فسرعان ما يستولي على أذن السامع.

وقد أمر الله تعالى العباد أن يتحلوا بصفة الإخلاص فقال: "وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين"، وسميت سورة " قل هو الله أحد" بسورة "الإخلاص"، لأنها خالصة في ذكر صفات الله وحده، فلم تتعرض لذكر جنة ولا نار، ولا أمر ولا نهي ولا وعد، ولا وعيد، فكانت بحق سورة التوحيد.

وتعلمنا في جامعة القرويين من المشاييخ والمربين، والأساتذة والعلماء أن الإخلاص وسيلة لإجابة الدعاء ونيل الرغائب، فقد روي عن الرسول الكريم عليه السلام أنه قال لسعد بن أبي وقاص، حينما أظهر دالة، واعتقد أن له فضلا على من دونه من صحابة رسول الله ﷺ: « إنما نصر الله هذه الأمة، بضعفائها ودعوتهم وإخلاصهم وصلاتهم». ولعلو مكانة الإخلاص، وعزة شأنه يحدثنا الرسول عليه السلام عنه فيقول: " يقول الله تعالى : الإخلاص سر من سري استودعته قلب من أحببته من عبادي". ويقول علي رضي الله عنه: "لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول، فإن النبي قال لمعاذ بن جبل: أخلص العمل يجزك منه القليل".

وقد لعبت جامعة القرويين دورا كبيرا في نشر الثقافة الإسلامية، وإذكاء الروح الديني في المواطن العربي والمغربي، قرونا طويلة تخرج فيها أجيال وأمم نهلوا من معينها الصافي، وتعلموا على يد الشيوخ الكبار، والأساتذة المبرزين، درسوا الفقه والتوحيد

والتفسير وعلوم الآلة وغير ذلك من العلوم التي تكشف الحجب، وترفع صاحبها إلى أعلى عليين، فنالوا بذلك قيادة العالم، وأجابوا عن قضايا العصر الذي عاشوا فيه وكانوا إذا سئلوا عن نازلة فقهية، أو قضية يومية استعملوا النصوص التشريعية وخاضوا فيها بعمق فأوجدوا الحلول المناسبة للأمة، وحلوا مشاكلها اليومية، وأناروا الطريق للسالكين، وعبدوا السبل للسائلين، فكان ذلك خدمة وهدية قدموها للعالم أجمع.

إلا أن العالم إذا سئل ولم يحضره الجواب كان يجيب «بلا أدري»، وهذه صفة غرسها العلماء في طلابهم لئلا تصاب مقاماتهم.

يُسْأل العالم ذو الخلق الكريم عما لا يعلم، فلا يجد في صدره حرجا أن يقول: «لا أعلم»، وهذه سيرة علمائنا الأجلاء، يسأل الواحد منهم في العلم الذي علا فيه كعبه، فإذا لم يحضره الجواب أطلق لسانه بكلمة: «لا أدري»، غير مستنكف ولا مبال بما يكون لها من الأثر في نفوس السائلين، وإذا فاته أن يجيب طالب العلم عما سأل لم يفته أن يعلمه خلقا شريفا هو أن لا يتحدث في العلم إلا على بصيرة، فيحفظ مقامه من أن يرمى بضعف الرأي إن كانت المسألة من قبيل الدراية، أو بقلة الأمانة إن كانت عائدة إلى الرواية، ولأن يقال: سئل فلان فقال: لا أدري خير من أن يقال: سئل فلان فقال خطأ، أو روى ما لم يكن واقعا.

قال ابن هرمز: ينبغي للعالم أن يورث جلساءه قول: لا أدري.

والمسائل التي قال فيها كبار العلماء: لا أدري، لا يحيط بها حساب.

سأل رجل مالك بن أنس عن مسألة، وذكر أنه أرسل فيها من مسيرة أشهر من المغرب، فقال له: أخبر الذي أرسلك أنه لا علم لي بها، قال: ومن يعلمها ؟ قال: من علمه الله ؛ وسأله آخر عن مسألة استودعه إياها أهل المغرب فقال: ما أدري ما هي، فقال الرجل: يا أبا عبد الله، تركت خلفي من يقول: ليس على وجه الأرض أعلم منك، فقال مالك غير متوحش: إذا رجعت فأخبرهم أني لا أحسن ؛ وقال الكاتبون في سيرته: لو شاء رجل أن يملأ صحيفته من قول مالك: "لا أدري"، لفعل.

ويقرأ الإنسان في سيرة الشعبي فيجد أنـه سئل عن مسألة فقال: لا أدري، فقال له السائل: فبأي شيء تأخذون رزق السلطان، فقال: لأقول فيها لا أدري، لا أدري.

وقد تخون الرجل ذاكرته أو تصيبه غفلة، فيخطىء، ويسبقه لسانه فينبه بعد، أو يتنبه من نفسـه إلى هفوته، فإن كان على حظ وافـر من الأمانة العلمية بـادر إلى إصلاح خطئه بنفسـه غير مستنكف ولا مكترث بما أخذه مـن ذهول. يـروي لنا التاريـخ أن أبا بكر بن العربي حضر مجلس أبى الفضل النحوي فسمعه يقول: "طلق رسول الله ﷺ، وآلى، وظاهر"، فلما انصرف قصده إلى منزله وقال له: أصلحك الله، قلت: "إنه صلى الله عيـه وسلم، طلق، وآلى، وظاهـر؛ وإنه «ص» لم يظـاهر، فإن اللـه جعل الظهار منكرا من القـول وزورا"، فكان من أبي الفضل أن شكره، ومن الغد، قـال أبو الفضل لأهل مجلسه بعـد أن قرب ابن العـربي إليه: إني قـد قلت لكم بالأمس: إن رسـول الله صلى الله عيه وسلم طلق، وآلى، وظـاهر، وإن هذا أرشدني إلى أنه لم يظـاهر، وهو كما قال، وإنه شيخي في هذه المسألة. هكذا وردت هذه القصة في **كتاب الفائق** لابن راشد القفصي، وأوردها أبو بكر بن العربي في كتاب **الأحكام** على أنها وقعت لمحمد بـن قاسم العثماني حين حضر مجلس أبي الفضل الجوهري.



أستاذي الدكتور عبد الوهاب التازي سعود



محمد العلمي

كاتب عام كلية الآداب، ظهر المهراز - فاس

إنها لمناسبة سعيدة حقا، هذه التي دعيت فيها لأعبر عن امتناني العميق لأستاذي الدكتور عبد الوهاب التازي سعود بمناسبة تكريمه في ندوة الأستاذ محمد عزيز الحبابي.

وإن الصورة التي أنا سعيد الآن لرسمها لأستاذي الفاضل هي صورة المثقف الأصيل المتفتح. فمن خلال ملمحي الأصالة والتفتح تتشكل شخصيته الإنسانية والعلمية، ذلك أنه بتمكنه من علوم الثقافة العربية والإسلامية الأصيلة والثقافة الغربية في علوم اللسانيات والآداب، استطاع أن يكون مرتبطا بتراث أمته، متصلا بثقافة العصر. وإذا أضيف إلى هذين الملمحين حرصه على الدقة والمنهجية والموضوعية والضبط، تأكد كيف أن تلامذته في مختلف المراحل تمكنوا من التأثر بشخصيته الإنسانية والعلمية وانطلقوا بهدي من خلقه وتعليمه في الآفاق التي سهر على توضيحها وإبرازها لهم.

إن أجيالا متعددة من طلبة كلية الآداب وأساتذتها مدينة لهذا العالم بالتكوين الذي عمل على تزويدهم به، وبالآفاق الفكرية المختلفة التي عمل على انفتاحهم عليها. ووجوده اليوم على رأس جامعة القرويين مما سيساعد على تأكيد أصالتها وتفتحها، فبالمحافظة على التراث والانفتاح على ثقافات العصر تتحقق الانطلاقة الحقة لكل مؤسسة علمية.

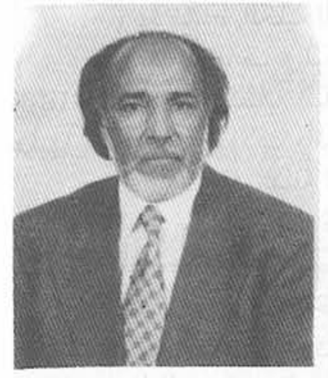
وإني لأذكر باعتزاز، كيف استطاع أن يوجهنا، ونحن طلبة، سواء في مرحلة الاجازة أو الدراسات العليا، إلى الجمع بين العلوم اللسانية العربية واللسانيات الحديثة، فقد كان يرى أن العلماء العرب القدماء بذلوا جهودا جبارة للإحاطة بعبقرية اللغة العربية في مختلف مستوياتها العلمية، ولكن ذلك لا يكفي لخدمة اللغة العربية وعلومها المختلفة، إذ يجب تلقيحه بما جد من علوم ومناهج وآفاق نظر متعددة في اللسانيات الحديثة.

ويكفي كلية الآداب فخرا أنه هو الذي أرسى أسس الدراسة اللسانية بها، وساعد على فتح مختلف الآفاق العلمية والفكرية لمرتادي هذه الدراسة بها طلبة وأساتذة.

وإن في تكريمه تكريما للعلم ورجاله ومحبيه، وتعزيزا للأصالة العربية المتفتحة على ثقافة العصر.



من ذكرياتي مع
الأستاذ العميد عبد الوهاب التازي سعود



امشيش العلمي حمدان

أستاذ بكلية الآداب، ظهر المهراز - فاس

عرفت الأستاذ العميد الدكتور عبد الوهاب التازي منذ سنة 1962، وهي السنة التي أنشىء فيها بفاس فرعا كليتي الآداب والحقوق، التابعتين لجامعة محمد الخامس بالرباط، كان عميد كلية الآداب آنذاك الأستاذ الدكتور محمد عزيز الحبابي رحمه الله، وكنت من أوائل الموظفين بفرع فاس.

في نفس السنة، عين الأستاذ التازي نائبا للعميد بفرع الكلية الذي كانت هيكلته جد ضعيفة: ستة موظفين وستة طلبة و 39 مصدرا فقط بالمكتبة، ومجموعة أولى من الأساتذة تنتقل من الرباط إلى فاس لإلقاء محاضراتها.

أما وسائل النقل الداخلية، فكانت منعدمة لأن مقر الكلية آنذاك لم يكن داخل المدار الحضري للمدينة. ولما كنت أملك دراجة نارية، فقد كنت أحمل، أحيانا، معي على ظهرها نائب العميد الأستاذ التازي، للنزول إلى ساحة الأطلس وهي آخر نقطة تقف فيها الحافلة، وقد كان لا يطمئن على سلامته إلا عند الوصول إليها.

كانت ظروف العمل صعبة جدا، أحيانا لانعدام الكهرباء مما يجعلنا نشتغل على ضوء الشموع في الساعات الأخيرة من يوم العمل، خصوصا في فصل الشتاء.

في هذه الظروف القاسية تحمل الأستاذ التازي مسؤولية إنشاء أول نواة حديثة بفاس. لقد كان الوضع لا يشجع على العمل ولا يوحي بالتفاؤل والأمل، لكن همة الأستاذ التازي وخبرته ووضعيته الاجتماعية وعلاقاته الإنسانية بزملائه الأساتذة والمثقفين. . . كل ذلك كان أقوى من جميع أنواع الصعوبات التي تعترض طريقه، خصوصا وقد التقت المعرفة بالخبرة في الإدارة وصاحبها التوفيق الذي هو إرادة ثانية، وذابت الصعاب، وتحقق المبتغى والمطلوب. لقد سلك الأستاذ التازي منهجا هادفا لازدهار فرع الكلية وبنائه بناء قويا تجلى في ما يلي :

- تشجيع الأساتذة على استكمال دراساتهم العليا، وتأطير الفرع بأساتذة قارين.
- توجيه الطلبة الجدد وحثهم على طلب العلم والأخذ بيدهم،
- إمداد الإدارة بموظفين جدد، وإغناء المكتبة بأمهات المصادر والمراجع المختلفة.
- ربط نشاط الكلية العلمي بشريحة المثقفين والجامعيين بفاس.

وبذلك أخذ فرع الكلية مظهرا جديدا تجلى في إحداث تخصصات جديدة، وارتفاع نسبة عدد الطلبة الذين أصبحوا بعد سنوات قليلة يعدون بالآلاف ممن يفدون عليها من مختلف عمالات وأقاليم المغرب .

وبالإضافة إلى ثقافة الأستاذ التازي الواسعة وبعد نظره، ودرايته بشؤون الإدارة فإنه - كما هو معلوم - من كبار المنظرين في مجال التربية والتعليم، يعلم ذلك ويحققه من عمل بجانبه مثلي، فقد حظيت بالاشتغال معه مدة ثمانية أعوام كنت خلالها المريد الذي يأخذ عن شيخه، ووقفت خلال هذه المدة على الكثير من جوانب السلوك الإداري الذي هو موهبة من مواهبه إلى جانب معرفته وخبرته الواسعتين؛ فكان تعامله مع الأساتذة والموظفين والطلبة يطبعه الرفق في العمل والصدق في القول، والكلمة الطيبة، والليونة في الحوار، فهو مع الأساتذة الأخ الوفي، ومع الموظفين الناصح الصبور المسامح، ومع الطلبة الأب الموجه المتفتح الحريص على مستقبل أبنائه، لذلك كان محبوبا عند جميع من تعرف عليه أو تعامل معه أو تتلمذ عليه، يحظى بتقدير الجميع وينعم بثنائهم عليه.

كما حظيت بعد ذلك بشرف التلميذ التلميذ عليه بقسم الدراسات العليا، فأخذت عنه العلم والمعرفة ومناهج التدريس وطرق البحث العلمي التي نسعى اليوم إلى توجيه طلبتنا إليها لأنها أثبتت فائدتها العلمية ونتائجها الإيجابية.

وقد كان من نتائج الجهود التي بذلها الأستاذ التازي للنهوض بفرع الكلية الذي أصبح في منتصف السبعينات كلية مستقلة، أن عرفت مدينة فاس نشاطا ثقافيا وحركة علمية دورية بعدما كانت تشكو فقرا معرفيا وجمودا ثقافيا، فعمل لذلك على توظيف النشاط العلمي للكلية في محيط فاس، وأثبت وجود كلية للآداب بها عن طريق دعوة مجموعة من أساتذتها، من حين لآخر، لإلقاء محاضرات في موضوعات مختلفة، نشطت بها مختلف الجهات بالمدينة، فكان بذلك سباقا إلى فكرة توظيف نشاط الجامعة في المحيط الاقتصادي والاجتماعي للعاصمة العلمية وهي الفكرة التي عادت إليها وتبنتها أخيرا ومن جديد جامعات المغرب ومعاهده العليا .

الأستاذ التازي أستاذ عدة أجيال، تتلمذ عليه عدد لا يحصى من الطلبة، أغلبهم اليوم من أعلام التربية المرموقين يحتلون مراكز القرار في عدة مجالات. وقل أن تجد مؤسسة علمية أو جامعة بربوع الوطن تخلو من طلبته الذين أصبحوا، بدورهم، أساتذة واستفادوا من علومه ومعارفه وسلوكه.

ذكرياتي مع الأستاذ العميد عبد الوهاب التازي لا تحدها كلمات، ومسيرتها لا تسعها صفحات. زاده الله توفيقا، ومتعه بالصحةوالعافية، وبارك فيه وفي عمله المتواصل.

ندوة فكرية في بيت الدكتور الحبابي

جامعة القرويين

وآفاق إشعاعها الديني والثقافي

جريدة العلم، 5 أبريل 1996.

احتضن «بيت آل محمد عزيز الحبابي» ندوة حول موضوع «جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي» تكريما لعميدها الدكتور عبد الوهاب التازي سعود. وذلك يوم السبت 16 مارس 1996م، في الساعة الثالثة والنصف بعد الزوال بمشاركة عدد من الأساتذة في المحاور التالية:

الجلسة الأولى:

1) إحياء كراسي العلم بجامع القرويين: قصيدة شعرية للحاج أحمد ابن شقرون (عضو أكاديمية المملكة المغربية، الأمين العام لرابطة علماء المغرب).

2) جامعة القرويين ورسالتها التربوية بين الأصالة والتحديث، للأستاذ أمل جلال (عميد جامعة سيدي محمد بن عبد الله - فاس)

3) جامعة القرويين رسالة حضارية، للأستاذ محمد الكتاني (عضو أكاديمية المملكة المغربية - قيدوم كلية الآداب - تطوان).

4) مستقبل جامعة القرويين، للأستاذ حسن السايح (عالم وباحث).

5) جامعة القرويين وإشكالية الإصلاح التربوي، للأستاذ محمد سيف (قيدوم كلية الشريعة - فاس).

6) نظم التدريس بجامعة القرويين قديما وحديثا، للأستاذ ادريس خليفة (قيدوم كلية أصول الدين - تطوان).

7) جامعة القرويين: كوليج المغرب، للأستاذ محمد المختار ولد باه (أستاذ جامعي وباحث).

8) إشعاع جامعة القرويين داخل المغرب وخارجه، للأستاذ محمد المنوني (أستاذ بكلية الآداب - الرباط). (تعذر على الأستاذ المنوني تقديم عرضه).

9) الدكتور عبد الوهاب التازي سعود والإشعاع العلمي لجامعة القرويين، للأستاذ يوسف الكتاني (أستاذ علم الحديث بكلية الشريعة - فاس).

10) ثلاثون سنة مع الدكتور عبد الوهاب التازي سعود، للأستاذ محمد الشاد (قيدوم كلية الآداب - ظهر المهراز - فاس).

11) جهود الدكتور عبد الوهاب التازي سعود، في تحقيق **كتاب صاعد البغدادي،** للأستاذ علي القاسمي (مدير الثقافة والاتصال - الإيسيسكو).

افتتح الجلسة الأولى الأستاذ محمد الكتاني قائلا إنه يفتتح هذه الجلسة التكريمية المقامة لعالم وأديب مغربي لامع، وروح الفقيد محمد عزيز الحبابي ترفرف وتبارك ما تقوم به أسرته الصغيرة، وعلى رأسها الأستاذة فاطمة الجامعي الحبابي، وذكر أن أهمية هذه الندوات لاتُقَوَّم بثمن، خصوصا وأنها تعقد لتكريم من لهم إسهام حقيقي في الدفع بمسيرة الأدب والفكر بالمغرب.

بعد ذلك أخذت الكلمة الأستاذة فاطمة الجامعي وألقت كلمة ترحيب بالحضور وشكرت كل المشاركين على تلبيتهم الدعوة. وأكدت في كلمتها الترحيبية الرقيقة والصادقة أن هذه الندوة هي تكريم لأحد أعمدة الثقافة والفكر في المغرب. وعن وظيفة بيت آل محمد عزيز الحبابي، قالت الأستاذة فاطمة الجامعي الحبابي: «إنها وظيفة احتفائية واحتفالية بالشخصيات الفكرية في مختلف المجالات والميادين»، وأشارت إلى الندوات التي أقيمت سابقا في هذا البيت مذكرة بندوة حول عبد الله كنون، وعبد الهادي بوطالب، والحاج أحمد ابن شقرون وهي ندوات أصدرتها السيدة فاطمة في كتب مطبوعة، واسترسلت قائلة إن هذه الندوة، علاوة على تمحورها حول المحتفى به الدكتور عبد الوهاب التازي سعود، هي أيضا اهتمام بجامعة القرويين وآفاق إشعاعها الحضاري والديني والثقافي، مذكرة باهتمام الملوك المغاربة بهذه الجامعة وعلى رأسهم محمد الخامس، طيب الله ثراه.

ثم تدخل الأستاذ أمال جلال بموضوع يحمل عنوان «جامعة القرويين ورسالتها التربوية بين الأصالة والتحديث»، وأشار في بداية موضوعه إلى أن هذا اللقاء تكريم للعلم والعلماء، وتكريم لجامعة عزيزة على كل المغاربة مما يدل على احترام المغاربة لرموز حضارتهم وثقافتهم. وهذا مؤشر واضح وإيجابي في سيرورة الحضارة المغربية ثقافيا ودينيا. وأكد أن الدكتور عبد الهادي التازي سعود في مقدمة المغاربة الذين كرسوا حياتهم للرسالة التربوية، من خلال تلقين تربية إسلامية للأجيال الجديدة مع انفتاح ظاهر

علمي وانتقائي على المغرب وثقافته. وما زال يتابع رسالته هذه بلا اعوجاج أو انحراف.

وفي موضوع: «مستقبل جامعة القرويين» تدخل الأستاذ حسن السايح، وأشار إلى أنه لايمكن فلسفيا أن نتحدث عن المستقبل دون وعي بالحاضر واستدعاء للماضي، وأنه لن يتحدث عن تاريخ القرويين القديم، بل عن حقبة المخاض التي قد تفيد في وضع خطة مستقبلية. وذكر أن تعلمه للفرنسية كان على يد الأستاذ المفكر الفقيد محمد عزيز الحبابي. ثم أضاف أنه عاش القرويين كطالب، وها هو يعيشها في الوزارة كمسؤول عنها. وفي نهاية حديثه تحدث عن مكانة جامعة القرويين في سياق ثلاث تجارب جامعية عربية: الأزهر والزيتونة والقرويين، فأكد أن هذه الجامعة الأخيرة تتميز بمنهاجها وتصوراتها البداغوجية بفضل أساتذة أجلاء ذكر منهم الأستاذ والزعيم الوطني علال الفاسي، والأديب والمفكر المغربي عبد الله كَنون.

أما الأستاذ محمد الكتاني، فقد اختار لموضوعه عنوان: «جامعة القرويين رسالة حضارية»، وأشار إلى التداخل بين الثقافة والحضارة على اعتبار أن كل حضارة هي حاملة قيم ثقافية، فحقيقتها في الوجود تتلخص في ثقافتها. وهذا الجانب يتجلى في الحضارة العربية، أي علاقة الحضارة بالثقافة. وأضاف أن المؤسسة التعليمية في المغرب تظهر هذا الإرتباط المجسد في جامعة القرويين التي كان علماؤها يضطلعون بدور ثقافي وعلمي، ذلك لأن مقومات الحضارة المغربية هي مقومات الحضارة الإسلامية ولذلك كان من الطبيعي أن تقوم جامعة لقرويين بدور تلقيني وتربوي إسلامي أصيل.

وتدخل بعد ذلك الأستاذ محمد يسف بموضوع «جامعة القرويين وإشكالية الإصلاح التربوي». واستهل موضوعه قائلا: «إنه لا يمكن الإلمام بهذا الموضوع في هذا الحيز الضيق من الوقت نظرا لأهميته أولا ، واتساعه ثانيا».

ثم انتقل إلى تحليل الدور الوظيفي التعليمي الذي كانت تقوم به هذه الجامعة، قائلا: « إن لها دور حراسة الشخصية الثقافية للمغرب». فهذه الجامعة، يضيف الأستاذ يسف، «هي نابعة من ضمير الشعب، منذ أن أسست حضورها كقوة فاعلة في الحياة الفكرية والدينية والوطنية، لذلك كانت دائماً تسعى إلى تجديد مناهجها حتى تتمكن من متابعة مستجدات التيارات الإصلاحية».

أما الأستاذ إدريس خليفة فقد تدخل بموضوع «نظم التدريس بجامعة القرويين قديماً وحديثاً»، وأكد أن القرويين هي من أقدم الجامعات العربية الإسلامية ،فهي منذ

القدم كـانت قلعة حصينة للـدفاع عن الإسـلام، وذلك بتبنيها لمجموعـة من الإتجاهات الفقهية والعقـدية، ثم انتقـل إلى الحديث عن المتحفى به الـدكتور عبـد الوهـاب التازي سعـود قائلا إنـه من بين العلماء الدينـاميين في هـذه الجامعة، فكـان يقترح مجموعـة من المسالك من بينها الإهتمام بالأصول والإنفتاح على اللغات الأجنبية.

بعد ذلـك تحدث الأستاذ أحمد ولـد الحسن نيابـة عن محمد المختـار ولد بـاه الذي اختار لموضوعه عنوان «جامعة القـرويين، كوليج المغرب» وأشار إلى أن هذه الجامعة كان لها دور علمي ودراسي ليس على صعيد المغرب فقط، ولكن في الخارج أيضاً، فيما يتعلق بنشر المبادئ الإسلامية وتوطيد العلاقة والوحدة بين المسلمين.

ثم قرأ الكلمـة التي بعث بها الأستاذ محمد المختـار ولد باه، التي أكد فيهـا بدوره على أن جامعـة القرويين قـامت بالـدور الذي قـام به كـوليج دي فرانـس، وأضاف أن الحديث عن القـرويين لابد أن يكـون في أكثر من مستـوى، وعلى أكثر من صعيـد لأنها جامعة جمعت بين الماضي والحاضر والمستقبل.

وتدخل الأستـاذ يوسف الكتـاني بموضـوع «الدكتـور عبد الـوهاب التـازي سعود والإشعـاع العلمي لجامعة القـرويين»، فقـال : «إن هـذ التكريم هـو تكـريم رجل من رجالات الجامعة المغربية، وأستاذ من أساتـذة العربية الأجلاء. فتكريم الأحياء (أضاف) هو عمل نبيل تقوم به المجتمعات المتحضرة».

وهذا التكريم أيضا هو احتفال باللغة العربية في شخص دَرَّسَ وكتب بها.

وتحت عنوان «ثلاثون سنـة مع الدكتور عبد الوهاب التـازي سعود، أو حب مريد لشيخه» تـدخل الأستاذ محمد الشـاد، ووجه ما يشبه الـرسالة أو النص إلى أستـاذه عبد الوهاب التازي سعود، وذكره بالأسئلة المعرفية القلقة التي كان يوجهها إلى طلبته، أسئلة مليئة بالمعرفة، وأشار إلى أن الدكتـور عبد الوهاب كان من الأوائل الذين أدخلوا دروس اللسانيات إلى الجامعة.

وفي الأخير تدخل الأستاذ علي القـاسمي بموضوع : «جهود الدكتور عبـد الوهاب التـازي سعود في تحقيق كتـاب صـاعد البغـدادي»، وأكد الـدور العلمي الـذي قام بـه الدكتور عبد الـوهاب في هذا التحقيق النادر إلى درجة أننا يمكن أن نضعـه بارتياح جنبا إلى جنب مع المحقق العـربي الشهير «عبـد السـلام هارون»، ذلـك لأنه «أثبت نظـريـة جديدة في التحقيق وكتابـة السيرة». وأضاف «إنها طريقة جديدة انتهجهـا باقتدار، ولابد أن تدرس في الجامعات».

ملحق :

جامعة القرويين بفاس

تعتبر جامعة القرويين منبعا للاشعاع الثقافي و منبرا للحضارة العربية والإسلامية بالمغرب و غرب إفريقيا، وهي أقدم جامعة في العالم. كانت دائما محط عناية و اهتمام ملوك المغرب عبر العصور، خاصة ملوك الدولة العلوية، مما ضمن لها الحيوية والاستمرار.

ولكي تصبح هذه الجامعة مسايرة لتطور العصر الحديث، فقد كان من اللازم إعادة النظر في الدراسة بها ووضع نظام جديد لها يسير وفق روح هذا العصر وتطوره، حيث أصبحت جامعة القرويين ابتداءا من سنة 1975 تخضع في تسييرها التربوي والإداري للظهير الشريف رقم 1.75.102 بتاريخ 13 صفر 1395 هـ (25 يبراير 1975م) المتعلق بتنظيم الجامعات المغربية.

تشتمل جامعة القرويين حاليا على أربع كليات هي :

- كلية الشريعة بفاس.
- كلية اللغة العربية بمراكش.
- كلية أصول الدين بتطوان.
- كلية الشريعة بأكادير.

إن المواد التي تدرس بمختلف فروع جامعة القرويين جد متنوعة، فهناك علوم القرآن والحديث والتفسير والفقه وأصوله، والسيرة النبوية والعقيدة والتشريع والقانون بمختلف فروعه، والاقتصاد السياسي والفلسفة الإسلامية والفرق والمذاهب الكلامية، والفكر الإسلامي المعاصر، واللغة العربية وعلومها، والنقد الأدبي واللسانيات، ومنهجية البحث واللغات الأجنبية (الفرنسية والانجليزية والإسبانية).

والهدف من تدريس هذه المواد والعلوم تكوين الطلبة تكوينا إسلاميا أصيلا متينا مسايرا لتطور العصر، فهي تتسم بالأصالة والمعاصرة في نفس الوقت.

والنظام المتبع في جامعة القرويين هو نفس النظام الذي تخضع له باقي الجامعات والمعاهد المغربية الأخرى، سواء فيما يخص نظام الدراسة أو الامتحانات أو الشهادات والإجازات.

إن جميع الطلبة الذين يتابعون دراستهم بمختلف كليات جامعة القرويين يقصدونها من جميع جهات وأقاليم المملكة دون مراعاة أي توزيع جغرافي، بالإضافة إلى عدد لابأس به من الطلبة الذين ينتمون إلى موريتانيا، السنغال، نيجيريا، سيراليوني، السودان، مالي، الكامرون، طايلاندا، ماليزيا، الأردن، جزر القمر... ألخ.

وشهـدت هذه الجامعـة تطورا كبيرا ونمـوا مضطردا، فقـد أصبح عدد الطلبـة بها خلال الموسم الجامعي 95/ 1996 يصل إلى حوالي 7000 طالبا.

أما هيأة التدريس فقـد وصل عدد أفرادها إلى 125 أستاذا، وتطور عدد الموظفين حيث وصل إلى 230 موظفا.

في إطار إبراز دور الجامعة الثقافي والعلمي والمعرفي، وإيمانا من المسؤولين بضرورة تنشيط حركة البحث والدراسة، انصرفت العناية إلى أمرين هامين هما :

- تنظيم عـدة لقاءات علميـة، حيث تقوم المؤسسـات التابعـة للجامعـة بتنظيم ندوات وأيام دراسية وملتقيـات علمية وطنية ودولية. كما أن أساتذتها يشـاركون في العديد من المؤتمرات واللقاءات العلمية الوطنية والدولية.

- إنشـاء مجمع للبحـوث الإسلاميـة تـابع لعمادة الجامعة، الغـرض منـه تشجيع البحث العلمي، ودفع الباحثين إلى القيـام بمجهودات هـامة في ميادين اختصـاصاتهم، إسهاما من جامعة القرويين العتيدة في المجهود الثقافي العام.

وفي مجال النشر، تصدر جامعة القرويين مجلـة سنوية بعنوان **القرويين**، بالإضافة إلى **النشرة الجامعية** التي تقـدم صـورة شـاملة عن منجـزاتها ومجهـوداتها في التكـوين والتدريس والبحث والتعاون. كما أن كل مؤسسة من المؤسسـات التابعة لها تقوم بإصدار عدة منشورات علمية في العلوم الإسلامية واللغوية والفلسفة الإسلامية.

وتستعد جامعـة القرويين لإصدار عدد من المنشـورات تتمثل في طبع الأطروحات التي تنـاقش بها، وإحياء بعـض المؤلفات في التراث المغـربي الإسـلامي ونشـرها محققـة تحقيقا علميا.

وفي إطار التعاون الثقافي، عملت جامعة القرويين على توقيع عدة اتفاقيات ثقافية مع جامعات عربية وعدة مراكز للبحث العلمي نذكر منها :

- اتفاقية تعاون مع المركز العربي للبحوث القانونية والقضائية بالرباط.

- اتفاقية تعاون علمي وثقافي مع جامعة الأزهر بجمهورية مصر العربية.

- اتفاقية تعاون علمي وثقافي مع جامعة الزيتونة بجمهورية تونس.

وهـناك مشاريع اتفاقيـات جديدة مع عدد من جامعات عربية وإسلامية وغربية.

انطلاقا مما تقدم، يتبين أن جامعة القرويين تحظى بمكانة خاصة نظرا لكونها أقدم جامعة في المغرب ونظرا للدور الهام الذي لعبته في سبيل المحافظة على كيان المغرب وعلى لغته وثقـافته ودينـه الإسلامي الحنيف، حيث إن دورهـا لم يقتصر على المغرب فقط، بل امتد إشعاعه إلى باقي الدول العربية والإفريقية والإسلامية.

وظلت على امتداد حقبة طويلة من الزمن منبرا للحضارة العربية والإسلامية، ومازالت إلى يومنا الحاضر تقوم بهذا الدور الهام المتمثل في تشجيع جهود البحث والدراسة ودعم النشاط العلمي والتربوي، مما يعطي لجامعة القرويين بعدا علميا هاما سواء على المستوى الوطني أو على المستوى الإفريقي والعالمي.

* * *

ليست جامعة القرويين وليدة اليوم أو الأمس القريب، فوجودها مرتبط بظهور أول دولة إسلامية بالمغرب، فلقد تأسست سنة 245 هـ / 859 م على يد أم البنين فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري، وعرفت هذه الجامعة خلال تاريخها الطويل عدة إصلاحات وتوسيعات قام بها ملوك وأمراء الدول التي تعاقبت على حكم المغرب.

عرفت القرويين توسعا في البناء على عهد المرابطين والموحدين، وامتاز عهد المرينيين والوطاسيين والسعديين بتعدد المرافق التابعة لها؛ فقد جهز الجامع بمستودع توضع فيه أموال أحباس وأمانات الناس، وأقيمت غرفة للمؤقتين وخزانة للكتب عين لها قيم لضبطها وللمحافظة على ذخائرها، بالإضافة إلى مرافق أخرى خاصة بالأساتذة والطلبة.

وعلى عهد العلويين أعيد النظر في مرافقها وأصلحت سائر جوانبها، وعرف سلاطين هذه الدولة باهتمامهم بالعلم والعلماء، فالمولى الشريف كان على صلة مباشرة بعلماء فاس، كما كان ابنه المولى الرشيد أول من التفت إلى الناحية العلمية بالمغرب، فازدهرت جامعة القرويين في عهده بما أولاها من عناية خاصة، وجلب لها كبار العلماء من مختلف أنحاء الأمة الإسلامية، وبنى مدرسة الشراطين ؛ كما تميز عهده بإحداث تقليد جامعي طريف يفصح عن مدى العناية والتقدير اللذين كانت تحظى بهما هذه الجامعة وطلبتها لديه، إنه احتفال "سلطان الطلبة" الذي كان يجري خلال عطلة فصل الربيع من كل سنة ويقوم فيه الطلبة بنزهة على ضفاف واد الجواهر بضواحي فاس، يؤسسون فيها حكومتهم المؤقتة لمدة 15 يوما، تتكلف الدولة خلالها بالإنفاق عليها والإشراف على تنظيمها، كما كانوا ينظمون مناظرات علمية ومساجلات فكرية يتبارون أثناءها في إلقاء الخطب والأشعار أمام زملائهم وأساتذتهم، وكانت نخبة من أعيان فاس تشارك الطلبة في احتفالهم هذا وتقوم بإكرام سلطانهم. وبذلك كان هذا المهرجان يكتسي مظهرا شعبيا ممتعا، يزورهم جلالة السلطان أثناءه ويقدم لسلطان الطلبة الهدايا الملكية التي توزع على الطلبة كما يأمر بتنفيذ بعض المطالب التي يتقدم بها إليه سلطانهم، وهو نوع من التكريم والاحترام للعلم وأهله لا يوجد في غير المغرب من بلدان العالم الإسلامي.

ومن أبـرز مظاهـر التجديـد والتطوير التـي عرفتهـا هذه الجامعـة خلال تـاريخها الطـويل إدخـال التنظيمات على سير الـدروس بها حتى تنسجـم مع مختلف المستـويـات الطلابية الوافدة عليهـا، وهذا ما قام به سيدي محمد بن عبد اللـه حين فتح ملفا خاصا يتعلق بجامعـة القرويين وأصـدر ظهيرا ملكيا في هذا الصـــدد سنة 1203 هـ/ 1789م، يأمـر فيه شيخ القـرويين بتحـديد المواد المدروسـة والكتب التي ينبغي أن يستعـان بها في دراسة تلك المواد.

ومما تؤكده المصادر أنه كان بفـاس على هذا العهد مائة كرسي للتدريس ، عشرون منهـا في جـامعـة القـرويين والبـاقي مـوزع على مختلف فـروعهـا في كل أنحـاء المدينـة، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من المكتبات العامة والشخصية.

واهتم السلطان المولى عبد الـرحمان بن هشام كذلك بأمر القرويين، ووجـه خطابا إلى قـاضي القضاة بفـاس ينتقـد فيه سير الـدروس وطرق التـدريس العقيمـة، ويدعـو الأساتذة إلى التجديد في المناهج والمواد المدرسة.

استمرت هـذه العنايـة إلى عهد المولى يـوسف الذي طلب مـن العلماء في رمضان 1330 هـ / شتنبر 1912 م. إثر توليه بقليل أن يهيئوا تقريرا من أجل إدخال بعض المواد في التدريس، كما أمـر بإنشاء مجلس علمي يتـولى شؤون الجامعـة كان على رأسـه الفقيه العلامة أحمد بن الخياط.

وبعدما استتـب نظام الحماية بالمغرب ونقلـت العاصمة من فاس إلى الـرباط أخذ مركز الجامعة يتقلص من جـراء التقصير والمضايقة التي همشت دورها في المجتمع، فأبى صاحب الجلالة المغفور له محمـد الخامس إلا أن يرأب صدعها، ويلم شتاتها، ويشجع من بقي من علمائها وطلبتها، وأصدر ظهيرا شريفـا بتاريخ ذي القعدة عام 1349 هـ. الموافق 29 مارس 1931 م في شأن تعيين مجلس أعلى للإشراف عليها. وعقب ذلك تكون مجلس تحسيني داخل القـرويين للسهر على تنفيذ مـا سنه المجلس الأعلى من قـوانين وما وضعه من ضـوابط وبرامج، وقـد أصبح بمقتضاه النظـام في هذه الجامعـة مشتملا على أطوار ثلاثة :

- طور أول : يستمر ثلاث سنوات للتعليم الابتدائي.
- طور ثان : يستمر ست سنوات للتعليم الثانوي.
- طور ثالث : يستمر ثلاث سنوات للتعليم العالي.

وهو الطور النهائي، ويشتمل على شعبتين: التعليم الشرعي والتعليم الأدبي.

وتتوج المرحلة الأخيرة، بعـد النجاح في الامتحان النهائي، بشهادة العالميـة عوضا عن الإجـازة القديمـة التي كـان يعطيها كبـار العلماء لمن استكمل تعليمه وتحصيلـه على الطريقة التقليدية.

وبمجرد ما زال عن المغرب شبح الحماية والاحتلال، وحل عهد الحرية والاستقلال زاد اهتمام جلالته بجامعة القرويين، وواصل إصلاح نظام الدراسة وتحسين أحوال العلماء والطلبة، تقديرا لهم ولجهودهم في توعية الشعب ومحاربة المستعمر وللمحافظة على مقومات الوطن وأصالته.

أما في عهد صاحب الجلالة الحسن الثاني، نصره الله، فقد نالت جامعة القرويين ما كانت في حاجة إليه من مزيد الرعاية والاهتمام إيمانا من جلالته بأهمية الدور الذي تضطلع به في تكوين علماء الشريعة والحفاظ على الثقافة العربية الإسلامية. وتبرز هذه الرعاية المستمرة في عدة مظاهر وفي كثير من المناسبات التي جمعته بالسادة العلماء قصد التعرف على سير التعليم الأصيل لبلادنا ولتدارس حاجياته ووسائل النهوض به ماديا وتربويا وحثهم على مواصلة أداء رسالتهم العلمية وإبلاغها للأجيال الناشئة.

ويتجلى اهتمام جلالته بجامعة القرويين كذلك في الخطب السامية والظهائر الملكية والمراسم الوزارية التي تستهدف النهوض بها وبمعاهدها، وإعادة النظر في برامجها ومناهجها قصد إتمام تحديثها وتطورها.

المدارس القديمة :

نظرا للدور الهام الذي لعبته القرويين في نشر العلم وللتزايد المستمر في أعداد الطلبة عبر العصور عززت الجامعة بمجموعة من المدارس لإيواء الطلبة، وذلك ابتداء من العصر المرابطي ومرورا بالعصر المريني ثم السعدي فالعلوي، ومنها :

- مدرسة المرابطين التي أنشئت سنة 462 هـ/ 1096م. وقد عرفت في ما بعد باسم مدرسة الصابرين.
- مدرسة الحلفاويين، أنشأها أبو يوسف يعقوب المريني سنة 670هـ. / 1271م.
- مدرسة فاس الجديد التي بناها أبو سعيد المريني سنة 720هـ وجددها السلطان محمد بن عبد الله العلوي سنة 1204هـ.
- مدرسة العطارين بناها أبو الحسن بن السلطان أبي سعيد المريني سنة 723 هـ.
- مدرسة الصهريج شيدها أبو الحسن المريني سنة 723هـ.
- مدرسة الوادي شيدها أبو الحسن المريني سنة 723هـ.
- المدرسة المصباحية شيدها أبو الحسن المريني 745هـ.
- المدرسة العنانية بناها السلطان أبو عنان سنة 755هـ.
- مدرسة الشراطين (1081-1089هـ) بناها المولى الرشيد وأكملها المولى اسماعيل.
- المدرسة العبدلاوية بفاس الجديد بناها المولى عبد الله.
- المدرسة المحمدية أنشأها المغفور له محمد الخامس سنة 1359 هـ.

المكتبات :

إلى جانب المدارس كانت تنشأ أيضا خزانات الكتب موزعة على مختلف أنحاء المدينة خاصة الجهات المجاورة لجامعة القرويين، منها :

- خزانة أبي يوسف المريني.
- خزانة أبي عنان المريني.
- خزانة المنصور السعدي.

وقد كانت تجلب لهذه الخزانات والمكتبات الكتب والمؤلفات المهمة والضرورية، فقد ذكر في كتب التاريخ أنه نقل إليها مرة من الأندلس ثلاث عشر حملا من نفائس المخطوطات.

الأوقاف ودورها في تسيير الجامعة قديما :

كانت القرويين بعلمائها وطلبتها والمدارس المتفرعة عنها والتابعة لها تستفيد من الأوقاف وكان ذلك أهم عامل وأكبر دعامة لاستمرار هذه الجامعة، فأوقاف تساند الطلبة في مأكلهم ومشربهم وملبسهم، وأخرى لتجهيز المدارس العلمية التي كان الطلبة يسكنون بها، وأخرى تخص رواتب العلماء والمدرسين، وأخرى لإصلاح الجامعةوتجهيزها، وأوقاف لتزويد المكتبات بما تحتاج إليه من مؤلفات...

التعليم الأصلي خارج فاس :

بالإضافة إلى المدارس الكثيرة التي كانت تموج بها مدينة فاس فإننا نجد معاهد كبيرة في مدن مغربية أخرى جندت كذلك للمحافظة على اللغة العربية والثقافة الإسلامية ولإنقاذ مقومات الشخصية المغربية خلال التاريخ.

فهذه كلية ابن يوسف بمراكش التي أسسها السلطان أبو الحسن علي بن يوسف اللمتوني المرابطي سنة 514 هـ، كانت خلال تاريخها منبرا للدعوة ومنهلا للمعرفة ومنتدى للثقافة، ومركزا لتثبيت دعائم الدولة، فقد جلب إليها أهل العلم والفضل ورجال الفكر والأدب من كل الأصقاع المغربية والأندلسية، فأخذت بها مراكش طابعها العلمي والأدبي بين كبريات العواصم العلمية.

إلى جانب جامعة القرويين وكلية ابن يوسف كان يوجد تعليم ديني أصيل في مدينة تطوان بشمال المملكة وقد أصبح يتجسد في المعهد العالي الذي يعتبر ركيزة من ركائز هذا التعليم، وركنا متينا من أركانه في مدينة عريقة للعلم والعرفان أصيلة في الحضارة كمدينة تطوان.

ومثل هذا كان في كل أنحاء المغرب وفي كل جهاته في الشمال والشرق والجنوب.

فمدارس سوس مشهورة بعلمائها ومستواها العلمي، ومدارس الصحراء معروفة كذلك برجالها وعلمائها الذين ما زال يذكرهم التاريخ، وعلماء المدن الأخرى كالرباط ومكناس كانت لهم مشاركة علمية ومستوى عال في التدريس والتعليم.

وهكذا كان لجامعة القرويين بفاس ولغيرها من معاهد التعليم الأصيل إشعاع علمي وثقافي قوي في المدن والبوادي، وكان العلماء والطلبة يفدون على فاس لاستكمال معارفهم وتعميق تكوينهم، بحضور حلقات كبار العلماء وقضاء سنوات بعاصمة المغرب العلمية للاستفادة وتوسيع المدارك.

جامعة القرويين حديثا :

لقد كان من اللازم وضع نظام جديد لجامعة القرويين لكي تصبح مسايرة لتطورات العصر الحديث، ومن تم صدرت ظهائر ملكية ومراسيم وزارية نذكر منها :

- الظهير الشريف الذي أصدر بتاريخ 12 رمضان 1382 هـ/ 6 فبراير 1963 م. لإعادة تنظيم جامعة القرويين تنظيما جديدا يلائم روح العصر.

- الظهير الشريف بمتابة قانون رقم 103. 75. 1 بتاريخ 13 صفر 1395 هـ 25 فبراير 1975م المتعلق بتنظيم الجامعات المغربية.

وبذلك أنشئت في المغرب جامعة إسلامية كبيرة تضم كل المعاهد والمنشئات القديمة تحت اسم " جامعة القرويين".

لقد قامت جامعة القرويين وكل المعاهد التابعة لها بدور جبار خلال تاريخ المغرب الطويل لنشر العلم والإسلام والثقافة العربية الأصيلة وتكونت أجيال من العلماء الفطاحل الذين طبقت شهرتهم الآفاق وقاموا بواجبهم العلمي خير قيام.

وجامعة القرويين اليوم وهي منبثة في كل الجهات تعمل جاهدة لمتابعة دورها التاريخي قصد تخريج العلماء المتطورين الذين يحتاج إليهم المغرب الحديث، فهي تعمل على تكوين طلبتها تكوينا دينيا ولغويا متينا يليق بمستواها، وتمدهم بكل العلوم التي يحتاج إليها الإنسان المواطن في حياته اليومية العلمية وفي علمه مهما كان.

فطلابها اليوم يدرسون العلوم الشرعية واللغوية والإنسانية والاجتماعية واللغات الأجنبية ليشاركوا المشاركة الفعالة في بناء المغرب الحر المستقل كما يريده صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده.

«إن الفضل في إدامة التعليم في جامعة القرويين طوال تلك القرون، وجعله في تطور مستدام راجع إلى القوة والمقاومة اللتين اكتسبهما الاسلام في البلاد المغربية، ولا أراني مبالغا إذا قلت إن المغرب كان حصن الاسلام الحصين، ومعقله المنيع مع قربه من البلاد الأوربية وكونه عرضة للتيارات اللا إسلامية، ومرادا للاستعمار الغربي الجائر المجتاح. وإن الثبات والوظاب والدوام، والثبار والصبار والقوام، خصائص للمغاربة الأحرار غير مدفوعة، وخلالهم كريمة موروثة غير ممنونة ولا مبتوتة، وهي السبب الأقوى في إنجاحهم وإفلاحهم وفلجهم في معترك الحياة، وإفلاج حجتهم في كل خصومة، وستكون الوسيلة الوثقى في ظفرهم وفوزهم في مستقبل الزمان، والطريق الأقصد إلى غايتهم المثلى وهدفهم الأسمى.

إن أحسن المآثر الواضحة ما كان راهنا أي دائما ثابتا، وخير المعاهد العلمية ما كان كجامع القرويين والجامع الأزهر اللذين هما من فخر الاسلام الفاخر، ومجده المتكاثر، وثباته الباهر. ولقد حق لجامع القرويين أن يفتخر على الجوامع، كما حق لمدينة فاس أن تفتخر على المدن ما عدا الحرمين الشريفين مكة والمدينة».

مصطفى جواد
(انظر الكتاب الذهبي لجامعة القرويين،
«جامع القرويين وجامعة بغداد»، ص. 190)

نبذة عن حياة
الأستاذ عبد الوهاب التازي سعود

- ولد السيد عبد الوهاب التازي سعود سنة 1933 بمدينة فاس.
- يقطن بحي الأدارسة، رقم 558، فاس.

*** الشهادات**

بعد حفظ القرآن بالكتاب، تلقى دراسته الأولية بجامعة القرويين ثم بثانوية مولاي ادريس بفاس، ثم التحق بالتعليم العالي فحصل على :

- دبلوم اللغة العربية من معهد الدراسات العليا بالرباط.
- شهادة الإجازة في الأدب العربي.
- الشهادة العليا في الأدب المقارن.
- دبلوم الدراسات العليا.
- دكتوراه الدولة في الآداب.

*** الوظائف**

- أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس.
- نائب عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز - فاس.
- نائب مدير المدرسة العليا للأساتذة بفاس.
- عميد / قيدوم كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله - فاس.
- رئيس / عميد جامعة القرويين حاليا.

*** النشاطات الجامعية**

- إن تخصصات الأستاذ التازي المتنوعة في اللغويات العربية والدراسات الإسلامية واللسانية العامة، بالإضافة إلى إتقانه بعض اللغات الأجنبية وعلى رأسها اللغة الفرنسية، مكنته من القيام :

- بمهمة أستاذ زائر للعديد من الجامعات،
- تمثيل الجامعة المغربية في عدة لقاءات ومؤتمرات عربية وإفريقية ودولية،
- عُـيِّـنَ عضوا بالمجلس العلمي الإقليمي بفاس.
- انتخب أميناً عاماً لرابطة الجامعات الإسلامية.
- كما تشرف، مرارا، بالمساهمة في الدروس الدينية التي تُلْقَى في حضرة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، نصره الله، خلال شهـر رمضان المبارك وآخرها الـدرس التي تنـاول فيـه الحديث عـن «منـاهج البحث العلمي في الإسـلام» (رمضان 1416- مارس، 1996).

*** المؤلفات**

- **أحمد بن فارس اللغوي، حياتـه وآثاره، في اللغة والنحو**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992.
- **صاعـد البغدادي، حياتـه وآثاره**، منشـورات وزارة الأوقـاف والشـؤون الإسلامية، مطبعة فضالة - المحمدية، 1993.
- **تحقيق كتـاب الفصـوص لأبي العـلاء صـاعـد بن الحسن الـربعي البغدادي**، ستة أجزاء، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة - المحمدية 1996-1993.
- نشر عدة دراسات وبحـوث في مجالات فكرية متنوعة في العـديد من المجلات الجامعية ومنشورات مراكز البحوث العربية والفرنسية.

*** تقديرات وأوسمة**

- وسام العرش من درجة فارس (1974).
- وسام العرش من درجة ضابط (1987).
- أوسمة وجوائز أجنبية عليا.

الفهرس

بيت آل محمد عزيز الحبابي ينظم ندوة حول :
جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني
تكريما لعميدها عبد الوهاب التازي سعود

شهـادات ودراسـات

تحية تكريم وتقدير لعبد الوهاب التازي سعود

ملحـق

Textes en langue française

فهرس أصحاب النصوص المقتبسة

Hommages et Recherches 5 *Bayt âl Mohamed Aziz Lahbabi*

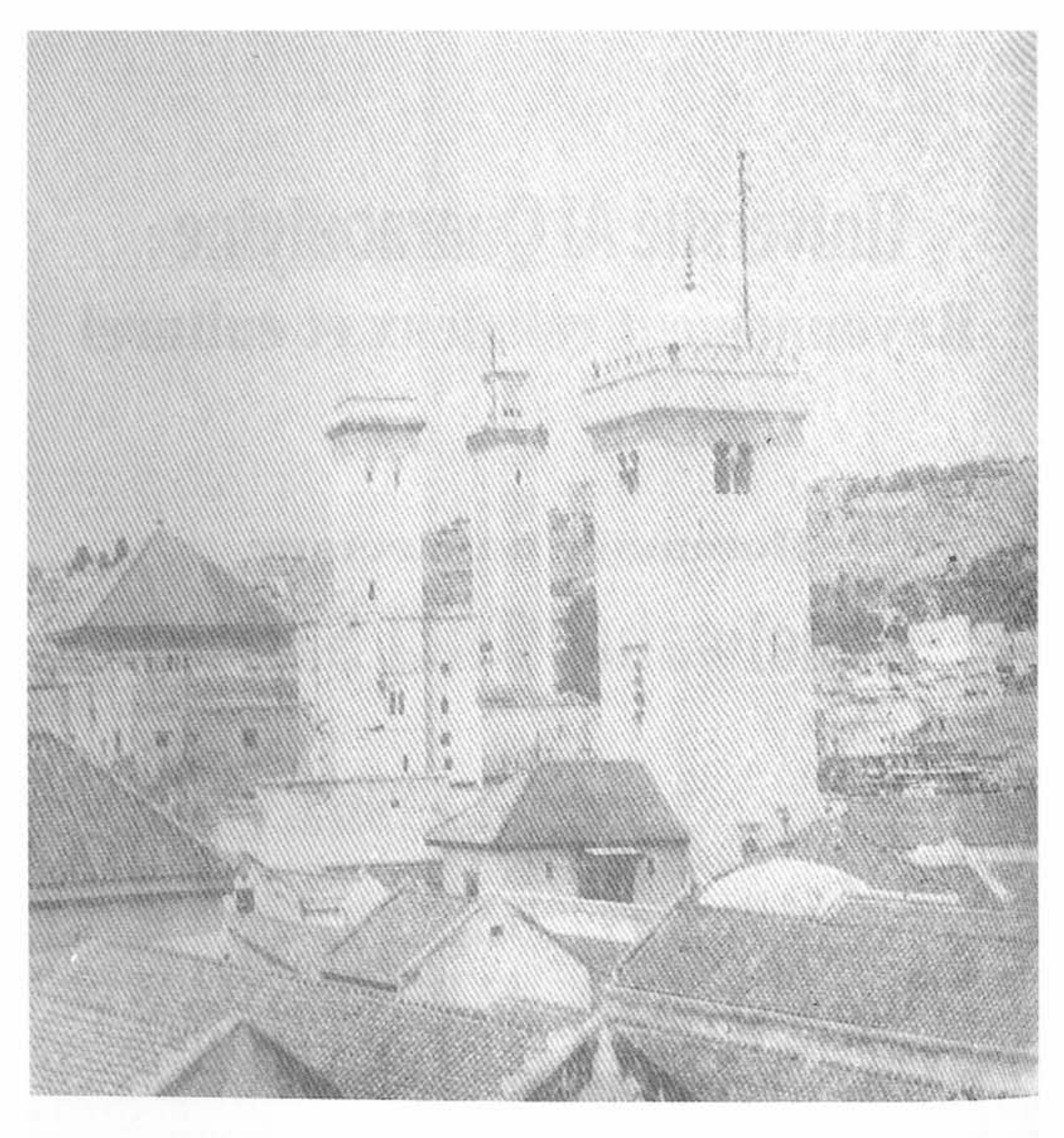
Université Al Quaraouiyine :
Rayonnement religieux et culturel

Hommage au Recteur
Abdelwahab TAZI SAOUD

Rencontres animées et publiées par :

Fatima Jamai-LAHBABI

1996



Vue générale de la Mosquée Al Quaraouiwyine - Fès

La présence de l'Islam en Europe exige qu'on tienne compte :

- d'une part, de sa sédentarisation qui constitue aujourd'hui une réalité incontournable,

- de la quête de sa légitimation, revendication bien affirmée aussi et dont la reconnaissance par les pays d'accueil ne peut signifier qu'une organisation mieux contrôlée d'une communauté et une gestion mieux maîtrisée de ses besoins et ses problèmes sociaux, cultuels et confessionnels ; ce qui représente pour ces pays une occasion propice à la fois pour une meilleure compréhension d'eux-mêmes, et en même temps d'une meilleure connaissance de l'Autre.

- d'autre part, de la dispersion géographique et de l'hétérogénéité ethnique et nationale de la population musulmane d'Europe : il ne peut y avoir d'insertion sans accommodements légaux particuliers, sans droits spécifiques, sans législations nationales qui permettront à l'Islam - et c'est une chance pour lui - d'évaluer sa force d'adaptation et sa capacité à l'évolution .

C'est de cette double épreuve inéluctable et définitivement engagée, reconnaissance par l'Europe de l'Islam et capacité de l'Islam à s'adapter au contexte européen que dépend l'avenir des relations entre eux.

Quelles propositions peut-on aujourd'hui faire pour que cette épreuve n'engendre pas chez les uns et les autres, les réactions les plus extrêmes parce que les plus désespérées ?

Il faudra simplement que les uns et les autres dans les mêmes élans et avec la même volonté, consentent les efforts nécessaires à regarder l'Autre "d'un peu plus près", c'est-à-dire un peu plus en profondeur pour tenter de le comprendre et en le comprenant de se préparer à l'accepter et donc à le respecter.



Le récteur A. T. Saoud represente l'Université Al quraouiyine au colloque
"les routes de la foi" organisé par l'UNESCO et l'ESCCO
Rabat, 25 Juin 1995

L'Islam, la Modérnité et L'Occident

Abdelwahab TAZI SAOUD
Recteur de l'Université Al Quaraouiyine



L'Islam, religion monothéiste par excellence, habite depuis des siecles différentes régions du monde, pratiquée par les sociétés les plus diverses pour qui, il demeure l'héritage vivant de la communauté qui se dévoue sans faille à un Dieu unique, transcendant.

Le monde islamique regroupe ainsi des peuples et des états différents, arabes et non-arabes, blancs,noirs et asiatiques, égaux devant Dieu; ils ne se surpassent que par la force de leur foi et les scrupules qu'ils mettent à observer les prescriptions de la religion, enseignées par le Coran qui constitue l'édifice principal et la première référence de la religion ; bien qu'il ne soit pas exclu pour toute question opposant les musulmans, si la référence au texte fait défaut, la Sunna, dits et faits du Prophète, explicite ce qui est implicite ou peut prêter à équivoque, spécifie ce qui est général ; renforcée en cela par un formidable effort d'interprétation (Ijtihad), régi lui aussi par des règles strictes et soumis à des critères précis; effort sans lequel les sociétés musulmanes auraient été effectivement frappées d'immobilisme, et depuis longtemps condamnées à l'isolement et à la sclérose atrophiante.

Le Prophète de l'Islam, Sidna Mohamed, a accompli dans ce domaine, l'oeuvre grandiose d'un message inspiré, et doublé d'un organisateur dont la vie est l'exemple parfait d'humilité, de générosité, de sacrifice, de tolérance

incomparables ; bref un homme pourvu de toutes les qualités qu'il ait plu à Dieu d'octroyer à l'un de ses élus.

Au XIX et XX siècles, les musulmans ont déployé des efforts extraordinaires dans des mouvements multiples, pour essayer de restaurer, de moderniser, d'adapter et d'intégrer la société et la pensée musulmanes aux impératifs de la vie moderne, afin de les mettre en conformité, tant que possible avec les exigences d'un monde, en mouvement continu, en changement ininterrompu.

La société musulmane continue d'affronter, aujourd'hui, de considérables défis ; d'un coté la modernité avec le progrès scientifique et technologique triomphant, de l'autre, la crise des valeurs morales, des croyances et des fondements spirituels.

Les assauts de la modernité ont été à l'origine d'un bouleversement profond, ils ont imposé des modes de vie inconnus jusqu'alors ; l'ordre ancien étant fortement malmené et dérangé aussi bien sur le plan matériel que sur celui de la culture et de la religion même.

La modernité qui se définit à la fois par rapport au passé, révolu, avec ses traditions, ses coutumes, ses mentalités, ses positions et ses visions propres, et par rapport au futur auquel s'attachent le progrès, la science, la technologie et toutes sortes d'ouverture et de changement, exige de pratiquer de nouveaux modes de pensée pour profiter efficacement de la culture et de la science actuelles.

Il s'agit de savoir comment aménager une transformation créatrice dans l'invariance et de réactiver la pensée islamique en l'ouvrant aux connaissances positives d'aujourd'hui avec lesquelles elle ne devrait pas rester en divorce, et, ce par l'effort d'interprétation qui a toujours constitué un cadre enrichissant pour la culture et la science islamiques.

L'ouverture religieuse est par nature délicate et difficile. La religion étant un ensemble organisé, avec ses dogmes, son rituel, son eschatologie, rien ne peut en être supprimé sous peine de la défigurer ou de créer une religion nouvelle.

La pensée religieuse n'obéit pas à la même logique que la pensée scientifique, elle apparaît quelquefois, à ceux qui ne la pratiquent pas, confuse, étrange, primitive et contradictoire.

Les musulmans, en même temps qu'ils cherchent à réconcilier l'Islam avec le monde moderne et évitant le sécularisme agressif dans lequel baignent les sociétés occidentales, essayent de protéger leur identité collective qui constitue l'enracinement, la continuité et l'authenticité de leur existence.



Au milieu du photo Le récteur A.T. Saoud, à sa gauche le directeur de l'Institut Chatholique de Paris et son adjoint, à droite le ProfesseurAmal Jallal, récteur de l'université Sidi Mohamed ben Abdellah - Fès

Ils ne craignent pas le renouvellement scientifique et matériel, mais ils refusent certaines de leurs implications déstabilisatrices de la culture et de la pensée en général. Ils ne peuvent accepter l'idée que la modernité est en contradiction avec la religion ; à l'idée que l'occident n'a réussi que lorsqu'il a rejeté toutes les certitudes anciennes et surtout religieuses, comme certains le prétendent ; on répond que malgré tout, la civilisation occidentale est le produit de la philosophie grecque, de la loi romaine et de la religion chrétienne qui y occupe une place prépondérante.

Toute restauration est acceptée quand elle ne remet pas en cause les fondements du dogme et de la foi ; les innovations impies qui ne reposent pas sur des bases sûres en matière de religion, sont rejetées.

On reproche aux musulmans, le regain de vigueur des pratiques religieuses ; le retour abusif du sacré dans la vie quotidienne ; l'insertion, en quelque sorte, du transcendal dans l'immanence, l'Islam étant considéré comme un ordre globale qui porte sur tous les aspects temporels et spirituels de la vie en conséquence, les musulmans essaient ainsi de vivre dans un monde régi par la technologie envahissante, avec des comportements inspirés d'une éthique révélée propre aux sociétés traditionnelles basées sur les valeurs (passéistes !!) enseignées par la religion.

* * *

On sait que la rencontre de l'Islam et de l'Occident a eu lieu depuis longtemps sous différents aspects culturel, spirituel, économique, paisible et conflictuel.

Le monde de l'Islam a rencontré la philosophie occidentale au moyen âge une première fois déjà ; les grands penseurs musulmans ont traduit et assimilé la pensée grecque qu'ils ont favorablement accueillie et adaptée à l'usage de l'Islam, répondant ainsi à l'aspiration au renouveau de la société islamique en développement et tendant dans son expansion vers l'universel.

Ainsi, nous voyons que l'Islam en général, hier comme aujourd'hui, ne se veut aucunement conservateur, figé et replié sur lui-même ; les musulmans déploient des efforts immenses pour réactualiser, réinterpréter et ordonner le droit islamique sans altérer l'esprit et la philosophie qui le fondent ; car la modernité n'est pas synonyme de laxisme, d'acculturation et d'alignement inconditionnel sur les modèles étrangers, à une identité culturelle et religieuse importée.

D'un autre côté, nous constatons malheureusement aujourd'hui, que les rapports de l'Islam à l'Occident portent, quelquefois, les signes d'une violente confrontation ; l'Islam selon certains, ne peut être que contre la modernité, intégriste, fondamentaliste et contraire à l'esprit scientifique, tant que les musulmans n'acceptent pas de se conformer complètement au modèle occidental qui représente l'exemple achevé et unique de perfection culturelle et civilisationnelle.

L'Islam est peut-être aussi coupable, à leurs yeux, de vouloir construire et proposer un modèle de société différent, en concurrence avec celui conçu par l'Occident.

Les musulmans qui veulent distinguer la modernité matérielle de la modernité intellectuelle et surtout religieuse, oeuvrent dans le sens de réconcilier leur religion, leur culture, et leur pensée avec la vie moderne, se plaignent de l'agression générale qu'ils subissent ainsi dans tous les domaines spirituel, politique, social, économique et autres. Et c'est alors que l'Islam devient, pour certains le refuge, dans la lutte pour la sauvegarde de l'identité en général, et de l'islamique propre en particulier.

Certains groupes qu'on qualifie d'islamistes, (bien que leur action violente soit contraire aux principes de l'Islam et reniée par l'ensemble des pays musulmans), ont développé la crainte de l'Islam dans les milieux occidentaux, et remplacé l'obsession du danger communiste qui a toujours inquiété l'Occident ; certains théoriciens ont même commencé à parler du péril islamique que pourtant rien se justifie.

Mais à quoi renvoie l'Islam dans les esprits aujourd'hui ? Les réponses ne sauraient être que nombreuses et variées selon les intérêts et la multiplicité des points de vue : aux Etats arabes ou non-arabes, dont l'Islam est la religion officielle ? aux régimes politiques qui les sous-tendent ? à l'histoire pour beaucoup "bloquée " d'une religion à la fois proche et lointaine ? aux populations musulmanes en émigration ? enfin à cette représentation relativement répandue d'une religion conquérante et dangereuse ?

Cette vision irrationnelle occulte la réalité propre à l'Islam, et ses dimensions historiques, culturelles et philosophiques par une interprétation étriquée qui ne voit en lui qu'un système cultuel, un ensemble de croyances et de pratiques figées, génératrices de conduites sociales stéréotypées et pratiquées par les fidèles et d'une agressivité qu'il faut contenir.

Comprendre de la sorte l'Islam nous paraît dangereux, on ne peut réduire les individus à leur seule dimension communautaire, les contraindre à une identification avec la seule dimension confessionnelle, sans les engager dans la voie de l'intégrisme qui est celle des rejets et des exclusions.

Cette représentation de l'Islam peut évoluer dans deux voies : ou elle exacerbera de plus en plus les fantasmes, multipliera les formes d'exclusion, poussera à la défense, au repli, ou elle sera l'occasion de réviser ou vérifier l'universalité de ses valeurs fondamentales, de repenser le concept central de laïcité par exemple ; elle sera aussi l'occasion pour les musulmans de mesurer leur aptitude à agir sur leur religion, pour l'adapter à un environnement étranger.

Notons à ce propos le décalage qui existe, en Occident, en matière de connaissance de l'Islam entre les deux sociétés, savante, minoritaire et sans véritable influence, et civile, majoritaire, soumise la plupart du temps à des influences étrangères à la recherche scientifique ; la place réservée à l'Islam dans les programmes scolaires est loin de répondre aux interrogations suscitées par lui durant les années 80/90, aussi bien parmi les jeunes issus de l'émigration que parmi la population scolarisée d'origine européenne.

Pour revenir au discours savant, celui des anthropologues, sociologues, politologues, orientalistes et autres, nous constatons que, longtemps prisonnier de ses catégories analytiques, il a laissé échapper les vraies problèmes actuels de l'Islam européen à un moment où le consensus semble être fait à l'échelle mondiale sur le respect des minorités et la lutte contre les exclusions.

On ne peut malheureusement manquer à ce propos de constater que le discours orientaliste qui est un discours de l'Occident sur l'Orient destiné à l'Occident, est parfois perçu comme un acte agressif, par certains intellectuels musulmans qui se sentent très concernés par lui, étant l'objet de ses études ; l'Occident lit l'Orient, interprète son passé, fait des recherches à son propos, sur son patrimoine et avance des jugements sur sa culture, sa civilisation et sa religion, en se servant de méthodes et d'instruments de recherche et d'investigation étrangers au contexte de l'Orient et de l'Islam.

C'est pour cela que les intellectuels, se trouvant mal à l'aise dans ces études, considèrent comme si elles visaient à les priver de leur histoire, de leur culture, de leurs illusions et de leur imaginaire ; bref, un discours oppresseur qui viole et violente l'objet de l'étude.

Un esprit de méfiance, de polémique et d'incompréhension s'installe alors; tout discours occidental sur l'Islam et le monde islamique devient suspect et occasionne des contradictions et des critiques acerbes ; la critique constructive ne doit pas voir seulement les faiblesses et s'ingénier à montrer toutes les imperfections de détail comme si elles constituaient le tout. Cet état de chose s'est exaspéré avec la montée des intégrismes et de leur discours spécial et violent.

On reproche en même temps à l'Occident de se considérer à l'origine de toute activité culturelle, philosophique et scientifique, à travers l'histoire, affirmant que la civilisation actuelle n'est que la continuation du miracle grec, négligeant et niant toute autre influence.

Les autres civilisations, l'Islam par exemple, n'ont accompli à leurs yeux, qu'une oeuvre secondaire qui n'a pas dépassé le stade de transmission, de traduction et d'interprétation du patrimoine grec.

Ajouté à cela certaines croyances qui avaient été admises comme de vraies théories scientifiques au XIXème siècle et qui affirmaient la supériorité de la race arienne et ses possibilités prodigieuses et en même temps les incapacités des autres ethnies avec la race sémitique en tête.

Il reste, malgré tout, que l'orientalisme est une connaissance et une méthode qui relèvent des sciences humaines où le choix d'une méthode en générale ne peut échapper à l'idéologie ; le chercheur peut croire le contraire, mais c'est la réalité. Il ne se sent pas concerné ; il analyse du dehors et ne peut en conséquence saisir profondément le système étranger qu'il étudie.

Il faut malgré tout reconnaître que ces idées - ces théories xénophobes - qui n'étaient pas de nature à plaire aux non-occidentaux, ont été réfutées

plus tard par la science européenne elle-même. L'Occident les a démenties et reniées après les ravages racistes et les ardeurs belliqueuses dont il a souffert en premier lieu, dans la première moitié de ce siècle.

On peut craindre, aujourd'hui qu'à cause de l'emprise médiatique, la recherche scientifique ne sacrifie ses exigences d'honnêteté et de rigueur au profit de l'impératif de l'information et de la communication immédiate. On peut craindre aussi de voir le discours scientifique rejoindre sur les mêmes thèmes le discours médiatique, bien que les principes et méthodes d'analyse soient dans les deux cas différents.

Le discours médiatique est sûrement le plus largement lu, écouté, visualisé, en tous cas, le plus présent physiquement dans l'espace culturel et donc mentalement dans les esprits, au point que sa quasi hégémonie sur les autres discours est une donnée redoutable, la plus redoutée de la circulation des idées, des images et de la diffusion de l'information. Le discours médiatique, si l'on exclut quelques cas, est généralement défavorable à l'Islam dont il donne une image plutôt négative.

La présence de l'Islam en Europe exige qu'on tienne compte :

- d'une part, de sa sédentarisation qui constitue aujourd'hui une réalité incontournable,

- de la quête de sa légitimation, revendication bien affirmée aussi et dont la reconnaissance par les pays d'accueil ne peut signifier qu'une organisation mieux contrôlée d'une communauté et une gestion mieux maîtrisée de ses besoins et ses problèmes sociaux, cultuels et confessionnels ; ce qui représente pour ces pays une occasion propice à la fois pour une meilleure compréhension d'eux-mêmes, et en même temps d'une meilleure connaissance de l'Autre.

- d'autre part, de la dispersion géographique et de l'hétérogénéité ethnique et nationale de la population musulmane d'Europe : il ne peut y avoir d'insertion sans accommodements légaux particuliers, sans droits spécifiques, sans législations nationales qui permettront à l'Islam - et c'est une chance pour lui - d'évaluer sa force d'adaptation et sa capacité à l'évolution .

C'est de cette double épreuve inéluctable et définitivement engagée, reconnaissance par l'Europe de l'Islam et capacité de l'Islam à s'adapter au contexte européen que dépend l'avenir des relations entre eux.

Quelles propositions peut-on aujourd'hui faire pour que cette épreuve n'engendre pas chez les uns et les autres, les réactions les plus extrêmes parce que les plus désespérées ?

Il faudra simplement que les uns et les autres dans les mêmes élans et avec la même volonté, consentent les efforts nécessaires à regarder l'Autre "d'un peu plus près", c'est-à-dire un peu plus en profondeur pour tenter de le comprendre et en le comprenant de se préparer à l'accepter et donc à le respecter.

Tout l'avenir d'une rencontre, d'une interaction fortuite ou voulue d'éléments différents, dépend de la disposition ou non disposition de ces éléments à former, au lieu de kystes indépendants, un bloc uni et divers.

Dans le cas précis qui nous intéresse, la disposition à la compréhension, au rapprochement, au dialogue n'est pas de l'ordre du naturel mais procède bien de l'éducation et de la formation du citoyen. C'est l'éducation au sens large qui forge le citoyen, le prépare à affronter les difficultés de la vie, à résoudre les problèmes, à gérer les conflits qui l'opposent à un autre citoyen ou à un groupe de citoyens. C'est par elle qu'il apprend en même temps que le sens, les modalités du dialogue, de la négociation, du consensus.

Le besoin d'explication, la demande de connaissance que suscite l'Islam aujourd'hui en Occident autant du côté des jeunes issus de l'émigration que dans la population de souche occidentale, sont sans commune mesure avec la place réservée à l'Islam dans les programmes scolaires.

L'éducation constitue le premier et le plus important des lieux de socialisation et de discours appropriés dans ce domaine ; l'école, la famille, la rue et son spectacle, les associations, les médias, tout participe par delà les savoirs à inculquer, à travers les informations à transmettre, à former l'enfant, l'adulte, à l'aider à "vivre ensemble" avec les autres, à ne pas s'enfermer dans ses idées et se retrancher derrière ses croyances.

C'est donc à ce niveau qu'il devient nécessaire de porter l'effort de réflexion, multiplier les actions pour éviter que s'installent les préjugés, que se développent les tendances à la supériorité et à la domination, pour que "dans la tête" ne germent les idées, pour que "dans le coeur" ne naissent les sentiments qui, les unes comme les autres, convergent vers l'intolérance et vers l'exclusion.

L'éducation moderne doit créer chez le citoyen cette motivation d'établir des relations avec les autres en s'inscrivant dans les perspectives les plus lointaines et dans un espace qui se confond avec les limites de la planète, une planète où les frontières sont de moins en moins étanches et où les mouvements de populations ont déjà créé des brassages culturels et

biologiques et donné des sociétés politiquement unies, même si linguistiquement et culturellement elles sont hétérogènes.

Maintenant dans quels termes, peut-on envisager l'avenir ?

- En termes d'accommodation ? ou acceptation par les deux parties d'une situation aujourd'hui conflictuelle où l'Islam continue à revendiquer sa légitimité, à militer pour des droits spécifiques.

- En termes d'intégration ? qui implique à terme un relâchement des liens communautaires originels au profit d'un sentiment d'appartenance nationale de plus en plus fort.

- En termes d'assimilation ?, processus d'intégration qui conduirait des générations entières de jeunes, d'origine musulmane, à adopter les schémas et modes culturels dominants, à perdre tout sentiment d'appartenance à la communauté des parents à laquelle on ne devrait plus-d'aucune manière-allégeance.

On peut aisément comprendre que les musulmans installés en Europe cherchent plutôt à s'insérer dans les sociétés d'accueil, convaincus qu'un tel processus implique une double démarche : la leur propre et celle des sociétés d'accueil.

A la communauté des musulmans, il appartient de se doter pour sa reconnaissance de moyens légaux, pour ses relations avec les autres, de structures démocratiques autorisées, de tracer, en somme, une politique de l'insertion qui, en s'appuyant sur le passé, s'inscrit dans l'avenir.

Les rapports entre musulmans et européens ne doivent pas se réduire à un conflit entre les prescriptions de l'Islam et les lois des pays d'accueil. Ils doivent, au contraire, être envisagés comme des rapports entre des communautés d'êtres humains, interagissant selon ce qu'ils sont vraiment et non selon ce qu'ils paraissent être les uns pour les autres, sans perdre de vue que les musulmans sont des monothéistes à qui leur religion enseigne la tolérance, la générosité, le respect de l'Autre tel qu'il a plu à Dieu de le créer.

* * *

Le monde musulman étant en quête d'un statut de régulation des changements qu'il vit et subit et des bouleversements qu'il tend à maîtriser, les questions principales restent donc les suivantes :

- Comment assurer la permanence des valeurs islamiques propres qui constituent la force motrice majeure de la religion ?

- Comment assurer aussi la permanence de la culture islamique à travers l'imaginaire, la créativité et la langue ?

- Comment construire une société nouvelle de connaissance et de communication ?

- Comment vivre et coexister avec les différentes civilisations et les différentes spiritualités, dans la paix, la tolérance et le respect mutuel ?

- Comment vivre la modernité sans perdre ses valeurs spirituelles propres?

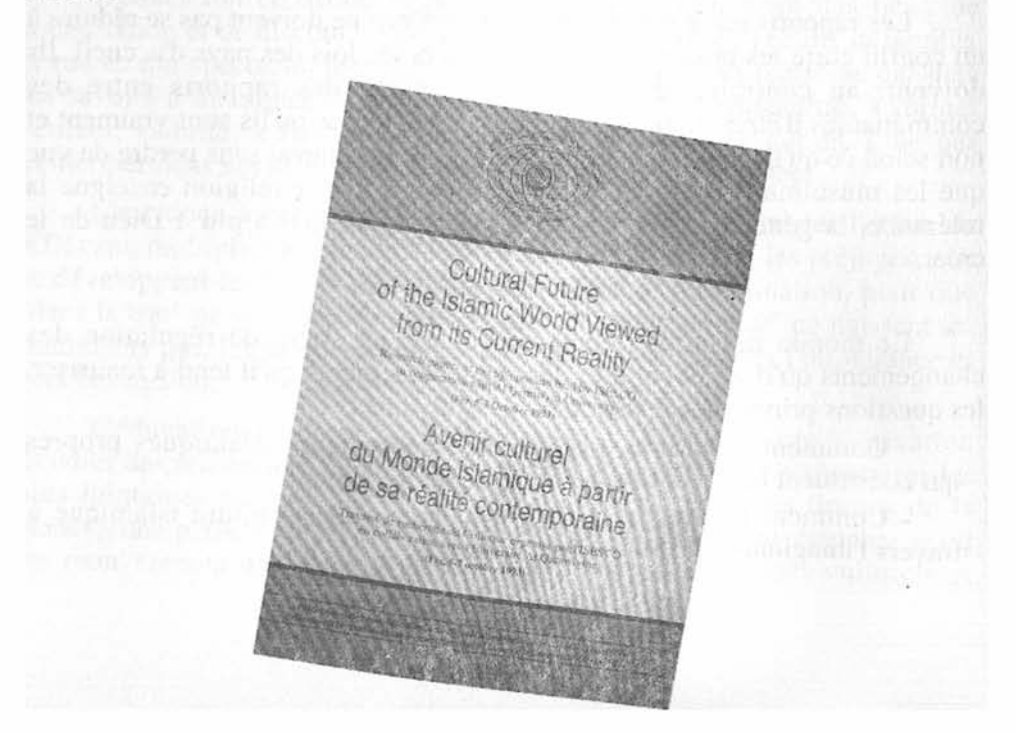
- Comment enfin et surtout faire de l'Islam une idée neuve dans le monde d'aujourd'hui, en perpétuel changement ?

L'avenir de l'Islam modernisé en Occident, son insertion souhaitée dépendent à la fois de :

- La communauté musulmane, de sa capacité de s'adapter en se structurant, en s'institutionnalisant à un espace étranger, de sa capacité d'agir sur les représentations qui en donnent aujourd'hui une image négative.

- De la capacité des sociétés d'accueil d'assumer une différence en ajustant leurs valeurs dans ce domaine et leurs lois dans le sens d'une plus grande tolérance et au profit d'une reconnaissance, d'une acceptation de l'autre et d'une convivialité nécessaire.

L'avenir de l'Islam se dessine déjà à travers cette double épreuve qui sera sûrement pour les uns comme pour les autres, la plus grande leçon de l'histoire contemporaine qui aura privilégié, encore une fois, la paix et la tolérance par le dialogue constructeur, créatif et bénéfique pour l'humanité entière.



ANNEXE

Université Al Quaraouiyine

L'Université Al Quaraouiyine a toujours été un foyer de rayonnement culturel et un haut lieu de la civilisation arabo-islamique. Elle a toujours joui d'un intérêt particulier qui s'est nettement accru avec les rois de la dynastie Alaouite.

Pour lui permettre de s'adapter aux évolutions de l'époque moderne, de répondre à de nouvelles attentes, il était nécessaire de reconsidérer son système éducatif, de la doter d'un nouveau statut en parfaite harmonie avec les réalités actuelles. Ainsi, à partir de 1975, elle a été alignée, au plan de la gestion tant administrative qu'éducative, sur le dahir Chérifien promulgué le 13 Safar 1395 (25 Fév. 1975), sous le n° 1.75.102, relatif à l'organisation des Universités Marocaines.

L'Université Al Quaraouiyine comprend actuellement 4 facultés:
- Faculté chariâ (théologie) à Fès.
- Faculté de langue arabe à Marrakech.
- Faculté Ousoul Eddine (théologie) à Tétouan.
- Faculté Chariâ (théologie) à Agadir.

1- Faculté Chariâ (théologie) à Fés:

Fondée dans le cadre de la réorganisation de l'Université Al Quaraouiyine en vertu du Dahir Chérifien ayant force de loi, promulgué le 12 Ramadan 1382 (6 Fév 1963), sous le n° 1.62.249, la Faculté de théologie de Fès est la Faculté mère. Elle constitue, en fait, le prolongement historique naturel de l'ancienne Al Quaraouiyine, y sont enseignées les disciplines du Fiqh, d'Islamologie et de Droit au sein de deux départements:

- Département du Tafsir, de Théologie, de la Sunna et des fondements
- Département du Fiqh, de la législation Islamique et des disciplines annexes.

2 - Faculté de Langue Arabe à Marrakech:

La Faculté de Langue Arabe de Marrakech est historiquement issue de la Faculté Ibn Youssef. C'est, en effet, à la suite des différentes modifications qu'ont connues les universités marocaines qu'elle prit le nom de Faculté de Langue Arabe avec le dahir ayant force de loi, promulgué le 12 Ramadan 1382 (6 Fév. 1963) sous le n°1.62.249, y sont dispensées les Sciences Islamiques et la langue arabe dans deux départements:

- Département de Langue et de Philologie Arabes.
- Département d'Histoire de la Langue et de Critique Littéraire.

3 - Faculté Ousoul Eddine (théologie) à Tétouan:

La Faculté de Théologie de Tétouan repose sur les mêmes enseignements religieux organisés selon les mêmes modalités et conformément aux mêmes objectifs qu'à Al Quaraouiyine à Fès et à Ibn Youssef à Marrakech. C'est dans ce sens qu'elle constitue le prolongement historique de l'Institut Islamique Supérieur créé en 1944. Elle fut réorganisée et baptisée "Faculté de théologie" par le dahir Chérifien ayant force de loi, promulgué le 12 Ramadan 1382 (6 Fév. 1963) sous le n° 1.62.249. Les enseignements du Fiqh, des fondements de la Foi dans le Coran et la Sunna ainsi que celui de la philosophie Islamique s'y répartissent sur deux départements:

- Département de la Science (Ousoul Eddine) et de l'Histoire des Religions.

- Département de la Philosophie, de la Pensée et de la Civilisation Islamique.

4 - Faculté Chariâ (théologie) à Agadir:

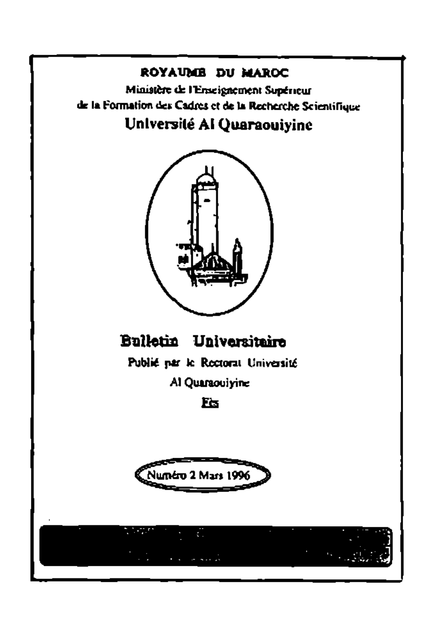
La Faculté de théologie d'Agadir, la deuxième en importance dans la spécialité, fut créée par décret, le 23 Rajab 1399 (29 juin 1979) sous le n° 2-79-382. Elle comporte deux départements dont l'intitulé explicite les intérêts scientifiques:

- Département du Tafsir, de Théologie, de la Sunna et des Fondements de la Foi.

- Département du Fiqh, de la Législation Islamique et de ses disciplines annexes.

On peut observer ainsi la diversité et la richesse des disciplines enseignées dans les différentes facultés périphériques relevant de la grande Al Quaraouiyine; l'Exégèse et ses méthodes, le Fiqh, la Sira du Prophète, la Législation Islamique, le Droit, l'Economie Politique, la Philosophie Islamique, la Pensée Islamique Moderne, la langue Arabe et ses différentes sciences, la Critique Littéraire, la Linguistique, les Méthodes de Recherche, les langues Etrangères (Français, Anglais et Espagnol), Cette diversité correspond à un choix concerté et cherche à répondre à un objectif essentiel: doter les étudiants d'une solide formation islamique traditionnelle en aménageant les ouvertures nécessaires sur le monde moderne, ses exigences et ses problèmes. L'enseignement est aussi conçu de façon originale .. présente cette caractéristique d'être à la fois originel fondé sur l'Islam et ouvert sur le monde extérieur, toujours à l'écoute de la modernité.

L'Université Al Quaraouiyine connaît les mêmes principes d'organisation en vigueur dans les autres Universités et Instituts Supérieurs marocains au niveau du fondement des études comme au niveau de leur évaluation (examens) et de leur sanction par des diplômes


ROYAUME DU MAROC
Ministère de l'Enseignement Supérieur
de la Formation des Cadres et de la Recherche Scientifique
Université Al Quaraouiyine

Bulletin Universitaire
Publié par le Rectorat Université
Al Quaraouiyine
Fès

Numéro 2 Mars 1996

Les étudiants marocains s'inscrivent dans les différentes facultés de l'Université Al Quaraouiyine indépendamment de leur origine géographique (région ou province), s'y inscrivent aussi depuis des années et règulièrement des étudiants venus de pays frères:

- Arabes (Jordaniens, Soudanais, Mauritaniens...).
- Africains (Sénégalais, Camerounais, Nigérians...).
- Ainsi que des étudiants venus de plus loin, Turcs, Malaisiens, Thaïlandais...

Cette Université a connu depuis sa création une évolution et un développement qui ont atteint tous ses secteurs, amortissant les pesanteurs de l'histoire et empêchant de s'installer toute forme d'inertie. Le nombre d'étudiants (7000) qui s'y sont inscrits au compte de l'année 1995-96, encadrés par 125 professeurs et servis par 230 fonctionnaires, signifie à sa manière et suffit à lui seul d'attester sa vitalité, de témoigner de la réputation et du prestige dont elle continue à jouïr.

Parallèlement à ce dynamisme interne observé par tous et conformément au rôle culturel, scientifique et intellectuel qu'elle a toujours joué ; l'Université Al Quaraouiyine, porte du soutien et de la perspicacité des responsables, s'est résolument engagée à développer la nécessité et à perfectionner ses enseignements. Un intérêt particulier se trouve ainsi accordé à l'organisation de rencontres scientifiques de haut niveau, en témoignent les nombreux colloques et journées d'études scientifiques d'ampleur nationale et internationale, organisés régulièrement par les différentes facultés de l'Université. Il a été créé, dans le même sens, un organisme de recherches islamiques dépendant de l'Université, ayant pour objectif déclaré de promouvoir la recherche en offrant un lieu de rencontre qui regroupe et cristallise des savoirs spécialisés.

Une telle initiative verse de façon déterminante dans l'effort culturel général du pays. Dans le domaine de l'édition, l'Université publie une revue annuelle intitulée **"Al Quaraouiyine"**. Parallèlement à cette publication principale, de nombreuses publications de qualité ont vu le jour, oeuvres de l'une ou de l'autre des facultés, enrichi la connaissance dans les domaines de l'Islamologie, de la Linguistique Arabe et de la Philosophie Islamique. L'Université s'apprête, par ailleurs, à publier de nombreuses thèses ainsi que des manuscrits provenant du patrimoine islamique du Maroc et d'ailleurs.

Dans le cadre de la coopération culturelle, l'Université, consciente de l'importance d'une ouverture sur le monde extérieur, n'a pas manqué de signer des conventions avec des universités arabes et des centres de recherche à travers le monde, dont certain y ont déjà mises en place:

- Convention de coopération avec le centre des recherches juridiques et pénales à Rabat.
- Convention de coopération scientifique et culturelle avec l'Université Al Azhar (Le Caire, Egypte).
- D'autres conventions sous forme de projets ou en cours de concertation, multiplieront les échanges avec les universités du monde arabe, islamique et occidental..

D'une telle présentation de l'Université Al Quaraouiyine, on doit nécessairement retenir le rôle primordial qu'elle a joué et continue à jouer dans l'édification et la préservation de l'identité nationale dans ce qu'elle a de vital et d'essentiel: la langue, la religion et la culture. Ce qui explique l'attention dont elle a fait l'objet tout au cours de sa longue histoire.

Mais son rayonnement-faudrat-il le souligner-déborde les frontières nationales, irradie bien loin pour atteindre l'ensemble des pays où l'Islam, religion d'Etat ou de minorités nationales s'est implanté et se perpétue. Les arabes et les musulmans d'une façon générale se sont toujours tournés vers Al Quaraouiyine, foyer exceptionnel de la Civilisation Arabe et Islamique, source intarissable de savoirs tout à fait remarquables. Ce qui lui a valu cette immense prénommée à peine partagée qui n'a cessé de se consolider à travers les âges.

Al Quaraouiyine a en fait, une histoire d'autant plus ancienne que prestigieuse. Sa naissance a coïncidé avec l'avénement du premier Etat islamique au Maroc. Fondée en l'an 245 de l'Hégire (859 après J.C) par Oum Al Banine Fatima bent Mohamed ben Abdellah Al Fihri, elle a fait tout au long de son histoire l'objet de travaux de restauration et d'agrandissement, autant d'oeuvres à la gloire des différentes dynasties: Almoravide, Almohade, Mérinide, Wattacide et Saâdienne qui, chacune y a opposé son cachet particulier. Elle fut ainsi dotée d'un entrepôt où étaient déposés les biens du Habous destinés aux habitués, d'une bibliothèque ainsi que de pavillons réservés les uns aux professeurs, les autres aux étudiants.

Elle connut sous la dynastie Alaouite, réputée par son intérêt pour la science, l'érudition et ses maîtres (les Oulémas) de nouvelles modifications et restaurations.

Tout le monde connaît les rapports étroits que My Chérif entretenait avec les oulémas de Fès et l'intérêt porté au domaine scientifique par son fils My Rachid dont Al Quaraouiyine a largement profité. Il y attira des oulémas d'autorité venus de tous les coins du Maroc. Il créa aussi la Médersa connue sous le nom de "Acharratine" et institua la tradition dite "Soltan ttolba", manifestation qui avait lieu chaque année durant les vacances du printemps sous le patronage de l'Etat et du Roi lui même et au cours de laquelle la masse des étudiants choisissait un Sultan, désignait son gouvernement pour une période de quinze jours. A cette occasion, on organisait des colloques scientifiques, des débats autour de questions cruciales ; on prononçait des discours et on lisait des poèmes. Une élite de notables de la ville honorait de sa présence cette manifestation et entourait de sa sollicitude le Sultan des étudiants. Cette manifestation qui revêtait les aspects d'une fête populaire mais d'un type particulier était aussi marquée - événement rare - par la visite du Sultan Alaouite qui à l'occasion, offrait des cadeaux aux étudiants, écoutait leurs doléances et veillait à ce que leur voeux fussent satisfaits. C'était là le témoignage le plus sûr et la preuve la plus directe que le Sultan pût apporter de son intérêt pour la science et ses promoteurs attitrés et à venir, un geste qu'on n'enregistrât nulle part ailleurs, du moins sous cette forme, dans le monde musulman.

L'action des Alaouites au profit de la Quaraouiyine continua en la personne de Sidi Mohamed Ben Abdellah dont l'intervention infléchit de façon décisive les efforts de l'Université pour réorganiser ses enseignements, les adapter aux besoins et attentes des étudiants qu'elle acceuillait. Il ouvrit un dossier consacré à l'Université et promulgua un dahir royal en l'an 1203 de l'Hégire (1789 de l'ére chrét.) où il demanda au cheikh de Al Quaraouiyine de définir les matières enseignées et d'en indiquer les ouvrages de référence.

A cette époque, plusieurs sources s'accordent sur l'existence à Fès d'une centaine de chaises d'enseignement dont 20 étaient établies à Al Quaraouiyine et les autres disséminées à travers la ville dans ses différentes dépendances ou annexes. Les mêmes sources font état d'un grand nombre de bibliothèques autant publiques que privées.

A son tour, Moulay Hicham s'interéssa à Al Quaraouiyine. Il adressa au grand Cadi de Fès une correspendance où il formula ses objections quant au déroulement des études et où il s'attaqua aux méthodes d'enseignement jugées figées et stériles. Il incita du même coup les professeurs à

reconsidérer les programmes des matières enseignées et à s'intérroger sur leurs démarches et options pédagogiques.

L'intérêt des Rois Alaouites ne s'est ainsi jamais démenti puisque le Sultan My Youssef demanda, dès son intronisation, aux Oulémas en ce mois de Ramadan de l'année 1330 de l'Hégire (Sept. 1912) de préparer un rapport visant à ouvrir les cursus à de nouvelles matières. Il demanda à cet effet la création d'un conseil scientifique chargé des affaires de l'Université et en confia la présidence à l'éminent Fqih Ahmed Ben Al Khayat.

Avec la mise en place du protectorat, l'intérêt pour l'Université Al Quaraouiyine allait pourtant décliner et son rôle jusqu'ici central se réduire progressivement. Fès, elle même, allait perdre les privilèges accordés à une capitale. Mais la situation fut rapidement rétablie grâce aux efforts de Feu Mohamed V qui ne cessa de soutenir et stimuler oulémas et étudiants. Il promulgua un dahir Chérifien en l'an 1349 de l'Hégire (exactement le 29 Mars 1931 de l'ére chrét.) instituant un haut conseil chargé de la direction de l'Université doublé d'un conseil intérieur qui s'occupa de l'exécution des décisions prises par le haut conseil en matière de programmation et de gestion. C'est ainsi que, conformément au dahir surnommé, les études des Universités furent organisées en 3 cycles:

– a) Le premier cycle qui concerne les premiers enseignements (études primaires) s'échelonne sur 3 ans.

– b) Le second cycle qui correspond aux études secondaires s'échelonne sur une période de 6 ans.

– c) Le 3ème cycle de 3 ans clôt les études. Il s'effectue au sein de deux départements, le premier consacré à l'enseignement de la Chariâ, le second à l'enseignement littéraire.

Le 3ème cycle était sanctionné, après admission à l'examen final par un diplôme, "al alimiya" qui réorganisait les anciennes attestations d'études "al ijaza" qu'avaient coutume de délivrer individuellement les grands oulémas aux lauréats du système éducatif traditionnel.

Le même Sultan Feu Mohamed V intervint, l'indépendance du pays acquise, pour appeler à la poursuite de la réforme du système éducatif à Al Quaraouiyine et pour améliorer la situation des Oulémas et des étudiants dont il a apprécié les efforts déployés pour sensibiliser le peuple marocain à la cause nationale et pour préserver les valeurs fondamentales de la nation.

Sa Majesté Hassan II que Dieu le glorifie, bien au fait du rôle joué par l'Université en tant que pôle prépondérant des sciences islamiques et que centre de formation des générations à venir, lui témoigna, à son tour, tous les égards dont elle est digne. Il n'hésita jamais à rencontrer les Oulémas, à partager leurs préoccupations relatives à l'enseignement originel,

à discuter avec eux des possibilités de sa promotion au double plan matériel et pédagogique. Il les exhorta ainsi à continuer encore à chaque occasion à s'acquitter honorablement de leurs tâches non seulement d'enseignants mais aussi d'éducateurs, à être à l'écoute des besoins et attentes d'une jeunesse assoiffée de savoir et de foi et de connaissances modernes.

L'intérêt de Sa Majesté pour Al Quaraouiyine a été explicitement exprimé avec des accents différents dans nombre de ses discours toujours de haute portée , traduite aussi dans de nombreux dahirs et décrets ministériels qui tous convergent vers la nécéssité de promouvoir cette Université en même temps que ses institutions, de reéxaminer ses programmes et méthodes d'enseignement pour la développer, la moderniser, la préserver ainsi de la sclérose et de l'inertie qui guettent les institutions qui, comme elle, risquent de fléchir sous le poids de l'histoire.

Les anciennes médersas:

En raison du rôle important que jouait Al Quaraouiyine dans l'expansion de la science et en vertu de l'augmentation croissante des effectifs des étudiants à toutes les époques, les médersas furent construites pour loger les étudiants. Ce fut le cas sous le règne des Almoravides en passant par ceux des Almohades, des Saâdiens et des Alaouites. Citons parmi ces médersas:

- La médersa des Almoravides: créee en l'an 462 de l'hégire (1096), elle était connue sous le nom de Médersa Assabirine.

- La médersa des Halfaouyine, fondée par Abou Youssef Yacoub al Marini en l'an 670 de l'hégire (1271).

- La médersa Fès al jedid, fondée par Abou Saîd al Marini en l'an 720 de l'hégire, et renovée par le Sultan Sidi Mohamed ben Abdallah Al Alaoui en 1204 de l'hégire.

- La médersa Al Attarine, fondée par Abou Al Hassane ben Assoultane Abi Saîd Al Marini en l'an 723 de l'hégire.

- La médersa Assahrij, fondée par Abou al Hassane Al Marini en l'an 723 de l'hégire.

- La médersa Al Ouadi, fondée par Abou Al Hassane Al Marini en l'an 723 de l'hégire.

- La médersa Al Mesbahiya, fondée par Abou Al Hassane Al Marini en l'an 745 de l'hégire.

- La Médersa Al Inaniya, qui porte le nom de son fondateur mérinide Abou Inan en l'an 755 de l'hégire.

- La médersa Acharratine (1081-1089 de l'hégire) : dont la construction fut amorcée par Moulay Rachid et achevée par Moulay Ismaîl.

- La médersa Al Abdallaouya à Fès Al Jadid, fondée par Moulay Abdallah.

- La médersa Al Mohamadiya, fondée par Feu Mohamed V en l'an 1359 de l'hégire.

Sous le règne de Sa Majesté Hassan II que Dieu le glorifie, l'Université Al Quaraouiyine acquiert tous les égards dont elle avait besoin, et ce, en raison de la foi qu'a Sa Majesté dans le rôle que joue cette Université dans la formation des Oulémas de la chariâ, ainsi que dans la sauvegarde de la culture arabo-islamique. Cet intérêt continu de Sa Majesté se reflète dans de nombreux aspects et lors de ses multiples rencontres avec les Oulémas au sujet du déroulement de l'enseignement originel dans notre pays, de ses problèmes et des possibilités de sa promotion sur le plan matériel et pédagogique, rencontres durant lesquelles, il les exhorte à mener à bien leur tâche scientifique, à la communiquer aux générations montantes.

L'intérêt de Sa Majesté pour Al Quaraouiyine se manifeste dans ses éminents discours, les Dahirs Royaux et les Décrets Ministériels. On y constate l'insistance sur la nécessité de promouvoir cette Université ainsi que ses instituts, de réexaminer ses programmes et ses méthodes afin d'achever sa modernisation et son développement.

Les Bibliothèques:

En plus des médersas, des bibliothèques furent construites à différents endroits de la ville, plus particulièrement à proximité de Al Quaraouiyine. Citons, entre autres:

-La bibliothèque Abou Youssef Al Marini.

- La bibliothèque Abou Inane Al Marini.

- La bibliothèque Al Mansour Assaâdi.

Ces bibliothèques étaient régulièrement alimentées en ouvrages de qualité importés en grandes quantités à l'origine des villes andalouses.

Les Habous et leur rôle dans la gestion de l'Université à l'époque ancienne:

Al Quaraouiyine, ses oulémas, ses étudiants et les médersas qui étaient sous sa tutelle, bénéficiaient de l'appui des habous. C'était là une source importante et un réel soutien pour la continuité de cette Université. Les

Habous prenaient en charge la nourriture des étudiants, leur logement, et leur habillement. Ils s'occupaient aussi de l'équipement des médersas, des salaires des enseignants et des oulémas, de l'entretien de l'Université et de la fourniture des bibliothèques en ouvrages.

L'enseignement originel en dehors de Fès :

En plus des nombreuses médersas qui existaient à Fès, on trouve des instituts supérieurs dans d'autres villes marocaines dont le rôle était de sauvegarder la langue arabe, la culture et les valeurs islamiques à travers l'Histoire.

Il en est ainsi de la Faculté Ibn Youssef à Marrakech, fondée par le Sultan Abou Al Hassan Ali ben Youssef Allamtouni (en l'an 514 de l'hégire). Elle fut à son époque une tribune de prédication, une source de savoir, un forum culturel et un centre de consolidation des structures de l'Etat . Il y fit venir des oulémas, des hommes de lettres et des penseurs de toutes les régions du Maroc et de l'Andalousie. Grâce à elle, Marrakech prit un cachet scientifique et littéraire comparable à celui des grandes capitales scientifiques.

A côté de l'Université Al Quaraouiyine et de la Faculté Ibn Youssef, il existait un enseignement religieux originel à Tétouan au Nord du Maroc, enseignement qui était dispensé dans le Haut Institut que l'on considérait comme l'un des hauts lieux, une ville aussi enracinée dans la science, le savoir et la civilisation que la ville de Tétouan.

De semblables établissements existaient dans toutes les régions du Maroc du Nord, à l'Est et au Sud. Les médersas du Souss sont connues pour leur qualité scientifique et la compétence de leurs oulémas. Les médersas du Sahara sont connues aussi pour leurs oulémas dont l'Histoire parle encore de nos jours. Les oulémas d'autres villes comme Rabat et Meknès contribuèrent eux aussi au développement de la science et de l'enseignement.

L'Université Al Quaraouiyine à Fès ainsi que d'autres établissements de l'enseignement originel, avaient ainsi un grand rayonnement scientifique et cultrurel dans les villes et les campagnes. Les oulémas et les étudiants affluaient à Fès afin d'approfondir et de compléter leur formation intellectuelle en assistant à des séances animées par d'éminents oulémas.

L'Université de la Quaraouiyine actuellement :

Il était nécessaire d'établir un nouveau système d'organisation de l'Université lui permettant de s'adapter aux évolutions de l'époque moderne. A cette fin, plusieurs dahirs royaux et décrets ministériels furent promulgués, en l'occurence:

- Le dahir Chérifien promulgué le 12 Ramadan 1382 (6 Fevrier 1963) concernant la réorganisation de l'Université Al Quaraouiyine selon les exigences et l'esprit de notre époque.

- Le dahir Chérifien ayant force de loi, promulgué le 13 Safar 1395 (25 Février 1975) sous le n° 1.75.103 concernant l'organisation des Universités marocaines.

Ainsi fut créée au Maroc une grande Université islamique groupant tous les instituts et les anciens établissements sous le nom "Université Al Quaraouiyine". L'Université Al Quaraouiyine et les Instituts qui lui sont affiliés eurent un rôle important dans le développement de la science de l'Islam et de la culture arabe originelle. Ils formèrent des générations d'éminents oulémas dont la renommée a dépassé les horizons du pays, et qui assumèrent de la meilleure façon leur devoir scientifique.

L'Université Al Quaraouiyine, à travers ses différents établissements, s'attache avec abnégation à poursuivre son rôle historique en vue de former des oulémas dont le Maroc moderne a plus que jamais besoin. Elle s'évertue à donner à ses étudiants une solide formation religieuse et linguistique, conforme au niveau et aux exigences de sa réputation. Elle leur permet l'accès à toutes les sciences dont le citoyen a besoin dans sa vie quotidienne et son travail quel qu'il soit.

Ses étudiants apprennent aujourd'hui les sciences de la Chariâ, les sciences juridiques, linguistiques, humaines et sociales, les langues étrangères afin qu'ils puissent contribuer efficacement à l'édification du Maroc libre et indépendant tel que le conçoit Sa Majesté le Roi Hassan II que Dieu l'assiste et le glorifie.



Al Quaraouiyine University

Al Quaraouiyine University is considered a source of cultural enlightenment and the basis of Arabic and Islamic civilization in Morocco and the west of Africa. Throughout the history of Morocco, it has received continuous care and attention from the various rulers of Morocco, more particularly from the Alaouite Kings, a fact which ensured its vitality and continuity.

The University, in order to keep up with the developements of modern times, went through an intensive process of modernization of its organizational structure, as well as the content and methodology of its curricula.

The University consists of four Faculties namely ;

- The Faculty of Islamic law in Fes
- The Faculty of Arabic Language in Marrakesh
- The Faculty of Principles of Islam in Tetuan
- The Faculty of Islamic law in Agadir.

1- The Faculty of Islamic law in Fes

The Faculty of Islamic law in Fes is considered to be the 'mother' Faculty ; it is a historical extension of the old Al Quaraouiyine University. This Faculty,which was founded on February 6, 1963, offers courses in Islamic religion and law. It has two separate departments:

- The Department of Interpretation, the Principles of Islamic Religion, and the Prophet's Tradition.
- The Department of Legal Studies and Related Disciplines.

2- The Faculty of Arabic Language in Marrakesh

The Faculty of Arabic Language in Marrakesh is a historical extension of Ibn Yussuf Faculty in Marrakesh. This Faculty, founded on February 6, 1963, offers Islamic and Arabic Studies and consists of two departments:

- The Department of Arabic Language.
- The Department of Arabic Literature and Literary Criticism.

3- The Faculty of Principles of Islam in Tetuan

The Faculty of the Principles of Islam in Tetuan is a historical extension of the High institute for Religious Studies, which existed in Tetuan. This Faculty was also founded on February 6, 1963, and it offers courses related to the study of the Kuran, the Prophet's tradition and Islamic Philosophy. It has two departments:

- The Department of the Science of the Principles of Religion and the History of Religions.
- The Department of Islamic Philosophy, Thought and Civilisation.

4- The Faculty of Islamic law in Agadir

The Faculty of Islamic Law in Agadir is the second of its kind in the Kingdom. It was founded on June 29, 1979. It offers courses on Islamic Religion and Law and consists of two departments:

- The Department of Interpretation, the Prophet's Tradition and the Principles of Religion.
- The Department of Legal Studies and Related Disciplines.

It is, then, obvious, considering what has been said above, that Al Quaraouiyine University offers courses which are characterized by a great deal of variety. The aim behind this is to provide students with a solid Islamic education which is liable to help them preserve their identity as well as assist them in keeping up with, and meeting the requirements of modern times.

The system of studies , curricula, examinations and degrees awarded implemented at Al Quaraouiyine University is the same as that implemented in other Universities and Institutes in Morocco.

The students, following their studies at Al Quaraouiyine University, come from various parts of Morocco as well as from Mauritania, Senegal, Nigeria, Sierra Leone, Sudan, Mali, Camerun, Thailand, Malaysia, Jordan, Turkey etc...

The development of Al Quaraouiyine University has been characterized by a substantial increase in student intake.

The University has witnessed a continuous evolution in relation to the number of its students (at present 7000) , of its teaching staff (at present 125) and of its administrative staff (at present 230).

Al Quaraouiyine University plays a significant cultural and scientific role and encourages research in all fields. Thus it regularly organizes national and international scientific conferences and study days. The University has also created a centre for Islamic Research, the aim of which is to promote research in religious, linguistic and scientific studies. Concerning publication, the University issues a yearly journal entitled Al Quaraouiyine ; besides, each of its Faculties publishes a number of scientific and religious periodicals. The University is also planning to revive some of the most significant ancient Moroccan and Islamic research works.

Concerning cultural co-operation the University has established cultural links with many Arab,Islamic, and Western Universities and scientific research centres such as the Arabic Centre for Legal and Judicial Research, Rabat, Al Azhar University in Cairo, Egypt, etc...

Al Quaraouiyine University occupies a special cultural, religious and scientific position in Morocco as a whole. This is because it is the oldest University in the country and also because of the important role it has played,and continues to play, in the preservation of the Moroccan Arabo-Islamic identity.

This leading role is not limited to Morocco but it extends to the other Arab as well as African and Islamic countries. This is why Al Quaraouiyine University is famous on the national, African and international levels.

Al Quaraouiyine University was founded in 245 Hegira (859) by Oum Al Banin Fatima, daughter of Mohamed son to Abdullah Al Fihri. Since then and during its long life-span, the University has undergone restoration and development work. Successive rulers of Morocco have contributed to this development, more particularly the Alaouite monarchs. It is the latter who have been,and continue to be, the most active and persevering in the preservation and modernisation of the Univertsity.

To have an idea, though brief, of the significant changes which the University has witnessed throughout its history one should consider the following points:

1- A reorganization of its system of studies following the model of other Moroccan schools and Universities. Thus, its present system of studies consists of three phases:

a - Primary Education (three years)
b - Secondary Education (six years)
c - Higher Education (four years)

2 - Reorganisation of educational curricula and the innovation of their content and methodology.

3 - Appointment of the most prominent among Moroccan scholars as teachers at the University.

4 - Setting-up of libraries, public and private.

5 - Improvement of the living and financial conditions of the students and staff.

6 - Building of students' halls of residence.

In addition to the above changes and in which the Alaouite kings have played a significant role - the thing which shows their respect and encouragement of students, scholars and science - we have to add, also, the organisation of the " Prince of Students Festival " : During this event,which lasts fifteen days and which is a tradition unique to Morocco, the students

elect their own "government" which receives financial support from the king, give seminars, organize conferences and study-days and hold poetic contests. At the end of this festival the King visits the "Prince of Students", bestows presents on him, to be distributed among students, and also meets some of the Prince's requests.

During the French colonization of Morocco, Fes lost its position as a capital to Rabat and Al Quaraouiyine University nearly lost its privileged and significant status as a centre of learning and research. It was thanks to the special efforts deployed by his Majesty King Mohamed V that the University resumed and preserved its place within the cultural and scientific tradition of Morocco and the Arab and Islamic World.

The University has all along received all the care and support - moral and financial - it needs from his Majesty King Hassan II. His Majesty is firmly convinced of the significant role which the University plays not only in education but also in the preservation of the Arabo-Islamic culture and identity. His Majesty has, thus, personally supervised the modernization of the University on the organizational, educational and pedagogic levels. The aim of His Majesty is to ensure that this university will continue to assume, in the best ways possible, its cultural, religious and scientific responsibilities in relation to the present, as well as the coming generations.

Ancient schools:

A number of schools have been established and annexed to Al Quaraouiyine University. The reason behind this is to enable the University to continue assuming its role in the spread of knowledge as well as enable it to cater for the incessantly increasing number of students wishing to follow their studies in it. The following is a list of the most important schools that have been created and annexed to Al Quaraouiyine University:

1- Al Murabitin School, founded in 462 (Hegira), 1096.

2- Al Halfaouiyine School, founded in 670 (Hegira), 1271, by Abu Youssef Yacub Al Marini.

3- Fes Al Jadid School in Fes, founded in 720 (Hegira), by Abu Said Al Marini and renovated in 1204 (Hegira), by Sultan Sidi Mohamed Ben Abdellah.

4- Al Attarine School, founded in 723 (Hegira), by Abu Al Hassan Al Marini.

5- Assahrij School, founded in 723 (Hegira), by Abu Al Hassan Al Marini.

6- Al Wadi School, founded in 723 (Hegira), by Abu Al Hassan Al Marini.

7- Al Masbahiya School, founded in 745 (Hegira), by Abu Al Hassan Al Marini.

8- Al Inaniya School, founded in 755 (Hegira), by Abu Inane Al Marini.
9- Al Sharatin School, founded in 1081-1089 (Hegira), by Moulay Rachid and achieved by Moulay Ismaïl.
10- Al Abdullaouiya School, founded by Moulay Abdallah.
11- Al Muhammadia School, founded in 1359 (Hegira), by the late Mohamed V.

Libraries:

In addition to schools, a number of libraries were created in different parts of the city, more particularly those not far from Al Quaraouiyine University. These libraries include:

1- Abu Yussuf Al Marini library.
2- Abu Inan Al Marini library.
3- Al Mansour Assaâdi library.

A large number of important books, journals, periodicals and manuscripts were brought to these libraries from different parts of Morocco as well as from some foreign countries.

Donations and their role in the management of the University in the past:

The University's scholars,students and schools benefited a great deal from donations. This is an important factor which ensured the University's continuity. These donations were received in the form of:

a- Grants for the students.

b- Wages for scholars and teachers.

c- Funds to repair and equip the University and its schools.

d- Funds to purchase the books, manuscripts, journals and periodicals which the libraries were in need of.

Classical Education outside Fes:

In addition to the great number of schools which existed in Fes, we find important institutes in other Moroccan cities designed to preserve the Arabic language, the Islamic culture and the Moroccan identity.

Among these institutes we find Ibn Yussuf Faculty in Marrakesh. It was created in 514 (Hegira) by His Majesty Sultan Abu El Hassan Ali Ibn Yussuf Lamtouni Al Morabiti. Throughout its history it has been a centre of knowledge and culture, but also a centre for the establishment of the Moroccan state on solid foundations. A great number of scholars and thinkers were appointed by the Sultan to teach at this Faculty. Not surprisingly it was thanks to this Faculty that Marrakesh became one of the most famous cultural, scientific, literary and spiritual capital cities of the world.

In addition to Al Quaraouiyine University and Ibn Yussuf Faculty,we also find centres for classical education in Tetuan, the most important of which is the High Institute which is considered to be one of, if not the pillar of this education, in a city with an ancient tradition in knowledge, science and civilization ; Tetuan.

Similar schools and centres also existed in various parts of Morocco, among these we can mention:

- The schools of Souss, famous for their scholars and the scientific standards they maintained.
- The schools of the Sahara, also famous for their scholars and historical figures.
- We also find famous scholars from Rabat and Meknes who contributed a great deal to the advancement of learning.

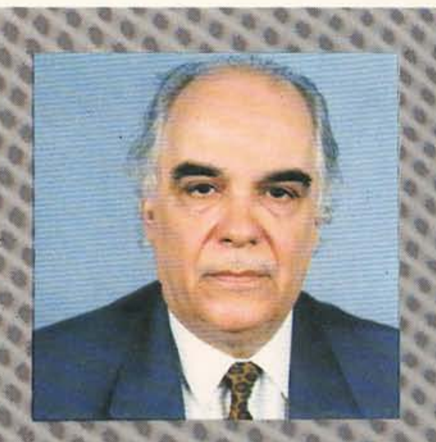
Thus, we can say that Al Quaraouiyine University together with the other centres and institutes played a significant role in the expansion of culture, knowledge and science in urban and rural communities throughout the kingdom. Fes has always been the centre of attraction for students and scholars wishing to further their studies,given that it was in this city that the greatest scholars and most important disciplines were to be found.

Al Quaraouiyine University today:

As the necessity has been felt for a new system for Al Quaraouiyine University so as to enable it to keep up with the requirements and developments of modern times, a number of Royal Decrees were issued for this purpose, especially those of 1963 and 1975. These Royal Decrees paved the way for the creation of a large Islamic University in Morocco encompassing all the ancient schools and institutes scattered throughout Morocco. This University is Al Quaraouiyine University.

Al Quaraouiyine University today attempts very seriously to continue its historical role in educating and turning out modern scholars that Modern Morocco is in need of, and in providing its students with a religious, linguistic, legal and sociological education, thus preparing them to contribute to the development of the free, independent and Modern Morocco that His Majesty King Hassan II wishes our country to be.

مطبعة فضالة
زنقة ابن زيدون ـ المحمدية (المغرب)
الهاتف: 32.46.45 (03) الفاكس: 32.46.43 (03)



العميد العلامة عبد الوهاب التازي سعود

- من مواليد مدينة فاس، سنة 1933.
- تلقى تعليمه الأولي بجامعة القرويين، فثانوية مولاي ادريس بفاس، ثم تابع دراسته العليا بجامعة محمد الخامس ـ الرباط.
- منذ حداثة سنه مارس التدريس والإشراف الإداري بمؤسسات عليا فتولى منصب :
  - أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس.
  - نائب عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس.
  - نائب مدير المدرسة العليا للأساتذة بفاس.
  - عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ـ فاس.
  - عميد جامعة القرويين منذ سنة 1991.
- أهلته اختصاصاته المتنوعة وتمكنه من لغات أجنبية لأن :
  - يقوم بمهمة أستاذ زائر للعديد من الجامعات.
  - يمثل الجامعة المغربية في لقاءات ومؤتمرات عربية وإفريقية ودولية.
  - يعين عضوا بالمجلس العلمي الإقليمي بفاس.
  - يشغل منصب الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية.
  - يساهم في الدروس الدينية التي تلقى في حضرة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، خلال شهر رمضان الابرك.
- حظي بتقديرات هامة وأوسمة وجوائز متميزة :
  - وسام العرش من درجة فارس (1974).
  - وسام العرش من درجة ضابط (1987).
- تنوعت إسهاماته القيمة في مجال التاليف والنشر فتناولت :
  - أبحاثا لسانية.
  - تحقيق نصوص لغوية من التراث العربي.
  - دراسات إسلامية ومقالات فكرية حضارية باللغتين العربية والفرنسية.



«.. إن من بين الإصلاحات التي أخذت اهتمامنا واسترعت أنظارنا وتوجهت إليها عنايتنا، مسألة التعليم والتربية بالمعاهد والكليات، وخصوصا هذه الكلية العامرة، هذه الكلية الزاهرة بماضيها المجيد، المملوء بما يفيد وبمفاخر آبائنا العلمية في ميادين التهذيب والدين والوطنية، هذه الكلية المشهورة بما قدمته للإنسانية من خدمات، وأنجبت من أبناء وبنات، ونشرت من حضارات، هذه الكلية العظيمة التي كانت منذ العهود القديمة مقعد الراغبين، وقبلة المتعطشين وكعبة الطالبين. فهي حرية بكل اعتبار ورعاية وإكبار».

جلالة المغفور له محمد الخامس
(13 يوليوز 1956)

«.. ولقد كان دورَ جامعة القرويين من بين هذه الأدوار دور الواسطة من العقد والحوض من الروض، إذ أنها خدمت بتفان وإخلاص أنواع المعرفة وفنون الثقافة، فما من مجال علم أو ميدان فن طرقه العرب والمسلمون إلا وكان لعلماء القرويين فيه جولات موفقة وصولات ظاهرة».

جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله
(22 أكتوبر 1965)

المشاركون

علال الفاسي	الحاج احمد ابن شقرون
عبد الله كنون	أمال جلال
عبد الهادي بوطالب	احمد ولد الحسن
علي الصقلي	محمد الحلوي
علي القاسمي	محمد الكتاني
ادريس خليفة	محمد يسف
يوسف الكتاني	محمد الشاد
حسن جلاب	محمد بن عبد العزيز الدباغ
الحسن السايح	محمد المختار ولد اباه
لحسن العبادي	محمد أبو الفضل
محمد العلمي	امشيش العلمي حمدان

